# ملامح الأدب

# في

# العصر العباسي الأول


دكتور

عبد الهادي عبد الله عطية

جامعة الإسكندرية



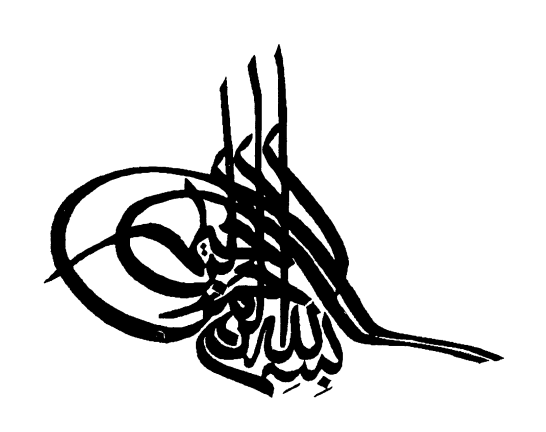
2005

مكتبة بستان المعرفة

طباعة ونشر وتوزيع الكتب

☎: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨

٠١٢٣٥٣٤٨١٤ &٠١٢١١٥١٢٣٧



# إهداء

إلى عالم فاضل وأستاذ من أساتذة الجيل في الإسكندرية، ومصر والعالم العربي، إلى الأديب الشاعر الناقد، دمث الخلق، رقيق القلب، الأستاذ الدكتور محمد زكي العشماوي، أستاذ الأدب العربي بجامعة الأسكندرية، آية حب ومودة.

# مقدمة

أحمد الله ربى تبارك وتعالى، وأصلى وأسلم على أشرف الخلق نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن دراسة تاريخ الأدب العربى يعوزها الكثير من الجهد، والدأب، والعمل، والإخلاص، إذ إن الأدب العربى بحر واسع المدى، بعيد الغور، شديد العمق، لأن العرب تميزوا بهذه الميزة الواضحة، وهى الفصاحة، والبلاغة، والبيان.

والله سبحانه وتعالى يمن على الإنسان فى كتابه الكريم بأنه سبحانه وتعالى علمه البيان، ولا غرو إذا كانت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم قرآنا كريما هو الغاية فى الفصاحة، والبلاغة، والبيان، فهو معجز.

وأمة على هذا القدر من البيان لا جدال فى أن نتاجها الأدبى غزير، وواسع، وعريض، وعميق، ومتشعب، ولا أعتقد أن دراسة عصر أدبى يمكن أن نلم بها فى كتاب، أو مجلد، وإنما يتسع ذلك الجهد الأدبى للكثير من المجلدات.

وهـأنذا أقـدم عجالة فى دراسة تاريخ الأدب العربى فى العصـر العباسـى، وقد بدأت هذه العجالة بدراسة تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول، آملا أن تكون بمثابة شمعة تضئ بعض الضوء، وتنير بعض الإنارة فى دروب هذا العصر الأدبى العريض، ومسالكه، الذى أعده بمثابة عصر ازدهار الأدب عامة، والشعر خاصة، وذلك مـنذ دولـة بـنى العباس، سنة اثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة، والتى امتد حكمها، أو لنقل اسمها حتى سنة ست وخمسـين وستمائة من الهجرة، مما حدا بعض مؤرخى الأدب أن يقسموا هذا العصر العريض إلى عصور أدبية أقل زمنا، وأقصر فترة.

فقد قسم بعض مؤرخى الأدب هذا العصر إلى عصرين، همـا: عصـر الخلفاء، وعصر الملوك، وقسموا عصر الخـلفاء إلى عصـرين: عصر الخلفاء القوى، وعصر الخلفاء الضعيف، كما قسموا عصر الملوك إلى عصرين: عصـر مـلوك الديـلم، أو بـنى بويـه، وعصر ملوك السلاجقة.

وقد أرخوا لعصر الخلفاء القوى، من سنة اثنتين وثلاثين ومائـة من الهجرة، إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من

الهجـــرة، من خلافة أبى العباس السفاح إلى نهاية خلافة الواثـــق، وهى مائـــة ســـنة، ولى فيها تسعة خلفاء، هم الســـفاح، المنصـــور، والمهـــدى، والهـــادى، والرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق.

كمـــا أرخوا لعصر الخلفاء الضعيف، بمائة سنة واثنتين، أى إلى ســـنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ولى فيها اثنا عشر خـــليفة، هـــم المتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهـــتدى، والمعـــتمد، والمعتضد، والمكتفى، والمقتدر، والقاهـــر، والراضى، والمتقى، والمستكفى الذى ملك بنو بويه فى عهده.

كما أرخوا لعصر ملوك الديلم، أو بنى بويه، بالفترة حتى ســـنة ســـبع وأربعين وأربعمائة من الهجرة، وهى فترة ثـــلاث عشـــرة ومائـــة سنة تولى فيها خمسة خلفاء هم: المســـتكفى، والمطيـــع، والطـــائع، والقادر، والقائم، أما السلطان فهو من بنى بويه، يقيم ببغداد.

كمـــا أرخـــوا لعصر ملوك السلاجقة، بالفترة حتى سنة تســـعين وخمسمائة، أى مدة ثلاث وخمسين ومائة سنة، وقـــد ولى فى هـــذه الفترة أحد عشر خليفة هم: المقتدى، والمستظهر، والمسترشد، والراشد، والمتقى، والمستنجد،

والمستضـــئ، والناصـــر، والظاهـــر، والمستنصـــر، والمستعصـــم، وكـــان السلطان من السلجوقيين يقيم ببلاد الجبل، لا فى بغداد.

أمـــا الفـــترة الأخيرة فهى من سنة تسعين وخمسمائة من الهجرة، حتى سقوط الدولة العباسية فى يد التتار سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة، على يد هولاكو، ولم يكن خـــلفاء بنى العباس تحت سلطان أحد، بل كانوا مستقلين بالحكم.

وقد قسم بعض مؤرخى الأدب العصر العباسى أدبيا إلى ثلاثة أقسام:

أولهـــا: مـــن بداية القرن الثانى الهجرى، حتى منتصف القرن الثالث الهجرى.

ثانيها: من منتصف القرن الثالث الهجرى، حتى منتصف القرن الخامس الهجرى.

ثالـــثها: من منتصف القرن الخامس الهجرى حتى نهاية الدولة العباسية.

وقد اعتمدت اعتمادا كبيرا على النصوص الشعرية، لأنها عدة الباحث، وتأكيد لفكرته، وإثبات لرأيه، وفى رأيى أن النصوص الأدبية هى التى تعبر بحق عن العصر الأدبى،

واتجاهـات الشعراء، واتجاهات الشعر خاصة، والأدب عامة.

والله أسأل أن يوفقنى إلى تنوير حول هذا العصر الأدبى، فقد هذبت ما استطعت، وأردت إظهار ذلك الأدب فى هذا الكـتاب، الجزء الأول، الذى أقدمه للطلاب والدارسين، آمـلا أن يـنال استحسـان محبى الأدب العربى عامة، والعباسى خاصة، والقائمين على التأريخ له، والبحث فيه، ونقده.

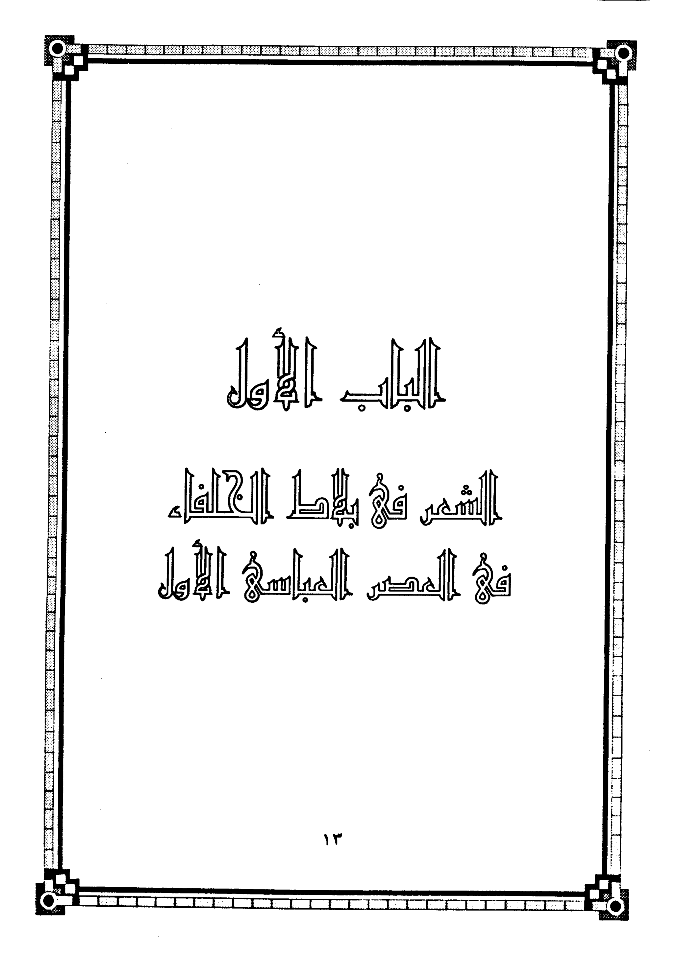
فـإن ظفرت بهذا الاستحسان فذلك الفضل من الله، وإلا فحسـبى أنـنى قـد أخلصـت فى العمـل، والله يجزى المخلصين، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

الخميس ٢٧ من شعبان سنة ١٤٢١ هـ

٢٣ من نوفمبر سنة ٢٠٠٠ م

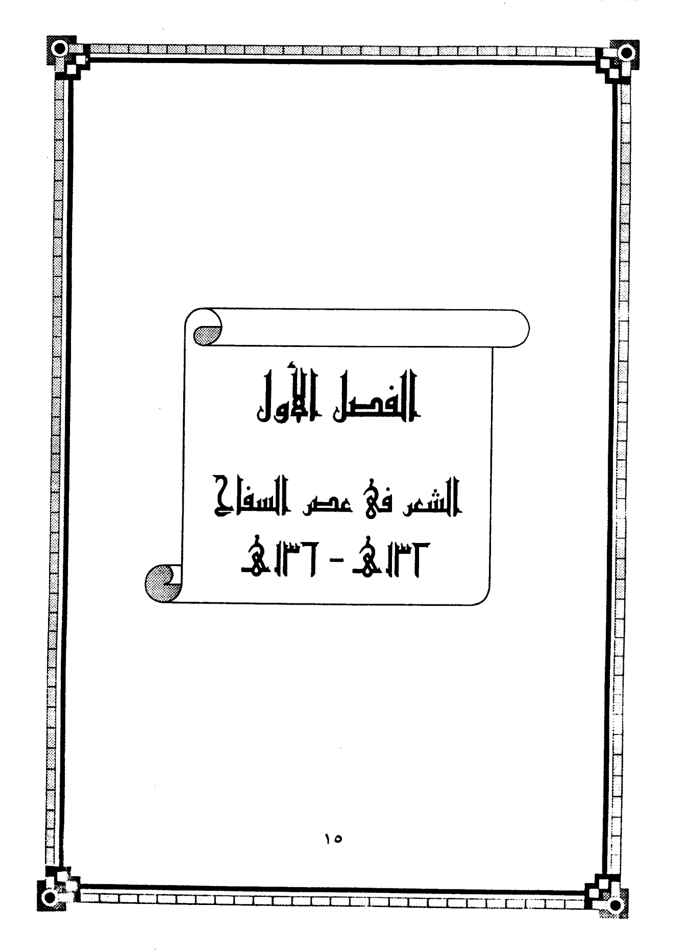
**دكتور**

**عبدالهادى عبدالله عطية**



# الباب الأول

## الشعر في بلاط الخلفاء في العصر العباسي الأول



# الفصل الأول

## الشعر في عصر السفاح

## ١٣٢هـ - ١٣٦هـ

أبـــو العباس السفاح ١٣٢هـــ - ١٣٦هـــ هوالخليفة العباسى الأول، وهـــو أبـــو العباس عبدالله بن محمد على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطـــلب، بويع له فى الكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت مـــن ربيـــع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفى بالأنبار لثلاث عشـــرة ليـــلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، وأمه ريطة، وهى عربية، وله ولد وبـــنت ســـميت ريطة، تزوجها المهدى، وكان أبو سلمة حفص بن ســـليمان الخـــلال وزيرة أول من لقب بالوزارة، فقتله أبو العباس، واستوزر بعده خالد بن برمك إلى أخر أيامه[١].

•••

على رغم انشغال أبى العباس السفاح بتأسيس الدولة العباسية، والقيام بأعـــبائها السياسية، ومعاركها الحربية، إلا أنه لم يكن غير بعيد عن هـــذا الفـــن العربى الذى يعلى قيمة من تكون لهم بإلهاماتهم، وفنهم عـــبقرية خلاقـــة تحلق فى سماء هذا الفن الجميل، وهو فن الشعر، خاصـــة إذا علمـــنا أن الشعر هو وسيلة الإعلام التى تعلو على كل الوسائل الأخرى فى العصر القديم.

ولمـــا كـــان خـــلفاء بنى العباس يريدون أن يؤلفوا القلوب حولهم، وينشـــروا ســـيرتهم، وسياستهم بين الناس، التفت من ثم أغراضهم

---

(١) العقد الفريد ٢٩٩/٣

والشـــعر، والشعراء، فاتخذوا الشعراء للوصول إلى هذا الهدف الذى يكشف عن سياستهم، ويبين عن دورهم فى الحياة والمجتمع، وينشر صفاتهم وسجاياهم بين الناس.

•••

روى أنه لما جئ برأس مروان بن محمد، آخر خلفاء دولة بنى أمية، ووضـــع بيـــن يدى أبى العباس السفاح سجد، فأطال، ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذى لم يبق ثأرى قبلك، وقبل رهطك، الحمد لله الذى أظفرنى بك، وأظهرنى عليك.

ثـــم قال: ما أبالى متى طرقنى الموت، وقد قتلت بالحسين وبنى أبيه مـــن بنى أمية مائتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمى زيد بن على، وقتلت مروان بأخى إبراهيم.

وتمثل بقول الشاعر:

لو يشربون دمى لم يرو شاربهم ولا دماؤهم جمعا ترويني

ثم حول وجهه إلى القبلة، فأطال السجود، ثم جلس، وقد أسفر وجهه.

وتمثل بقول العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه من أبيات له:

أيا قومنا إن تنصفونا فأنصفت قواطع فى أيماننا تقطر الدمـــا

تدرين من اشياخ صدق تقدموا بهن إلى يوم الوغى متقدمـــا

إذا خالطت هام الرجال تركنها      كبيض نعام فى الوغى قد تحطما[1]

والشاهد أن أبا العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس يستشهد بالشعر فى كـل موقف يطرأ عليه وذلك يدل على اهتمامه بالشعر، وحفظه إيـاه، وتربيـته التربية اللغوية، والأدبية على يد المؤدبين من علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته.

كمـا يـدل على أن فن الشعر يحتل منزلة عالية فى بلاط دولة بنى العباس، وعلى ألسنة خلفائها أنفسهم. كما يدل على أنه لا يستطيع أن يعـبر السـفاح عن غيظه وحنقه إلا بالشعر الذى يصور هذا الحنق على صفته الصحيحة.

ويـدل أيضـا عـلى اهتمام السفاح بالشعر القديم، وطرائقه الفنية، وسماته، ومعانيه، مما يجعلنا نعده من أنصار مدرسة المحافظين فى الشـعر العربى القديم، نظرا لأنه كان ظلا للمؤدبين من رواة اللغة ونقدة الأدب ورواة الشعر، والفقهاء، والمحدثين، وغيرهم ممن كان همهم ينصب على الشعر القديم الذى يساير علمهم، وعملهم.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ١١٨، مروج الذهب ٢/٢٠٥
هشام هو الذى قتل، وأحرق، وصلب زيد بن على، مروان هو مروان بن محمد أخر خلفاء بنى أمية، ابراهيم هو ابراهيم بن محمدين على بن عبدالله بن العباس، أخو أبى العـباس السـفاح، وأبى جعفـر المنصور، لم يرو: بالبناء للمجهول، قواطع : جمع قاطعة، بمعنى أدلة قاطعة، أو بمعنى فواصل، وكسور، تدرين : تحلبين، أشياخ: جمع شيخ. الوغى الحرب، هام: جمع هامة. وهى الرأس،بيض النعام: يضرب به المثل فى أنه يهمل.

•••

روى أنـــه قدم الغمر بن يزيد بن عبدالملك الأموى على أبى العباس السـفاح فى ثمـانين رجلا من بنى أمية، ثم دخل سديف بن ميمون الشاعر، وشبل بن عبدالله الشاعر، فأنشد شبل بن عبدالله الشاعر:

| | |
|---|---|
| أصبح الملك ثابت الأســاس | بالبهاليل من بنى العبـــاس |
| طلبوا وتر هاشم فشفوهـــا | بعد ميل من الزمان ويـــاس |
| لا تقيلن عبد شمس عثــارا | اقطعوا كل نخلة وغــراس |
| ذلها أظهر التودد منهـــا | وبها منكم كحز المـــواسى |
| ولقد غاظنى وغاظ سوائــى | قربهم من نمارق وكــراس |
| أنزلوها بحيث أنزلهم اللـــ | ـــه بدار الهوان والإتعــاس |
| واذكروا مصرع الحسين وزيدا | وقتيلا بجانب المهـــراس |
| وقتيلا بجوف حران أضحى | تحجل الطير حوله فى الكناس |
| نعم شبل الهراش مولاك شبل | لو نجا من حبائل الإفلاس[1] |

---

(١) العقـد الفـريد ٢٠٦/٣، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٨-٤٠، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١٧٤/٥، الأغانى ٣٥٣/٤-٣٥٤

البهاليل: جمع بهلول، بضم الباء، وهو السيد الجامع لصفات الخير، والمرح الضحاك، الأساس: أصل البناء، وترا بكسر الواو، الثأر والزحل، وياس: يأس، وخففت الهمزة، عـبد شـمس: جد الأمويين، يقصد بنى أمية، أقال الله عثرته: أنهضه من سقوطه، أو صفح عنه وتجاوز، والعثار: الزلة والسقوط، والغراس: بكسر الغين، ما يغرس وقيل النخـلة، نمـارق: جمع نمرق، ونمرقة، بضم النون والراء وسكون الميم، والنمرقة، بكسر النون والراء، الوسادة الصغيرة، أو الطنفسة التى فوق الرحل، والكرسى، بضم الكـاف أو كسـرها، الحسـين هو ابن على رضى الله عنهما، وزيد بن على، وقتيلا بجانب المهراس: يريد حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم المقتول

ثـم أذن أبـو العـباس السفاح للأمويين مرة ثانية في الدخول عليه، ودخل الشيعة، وقام سديف بن ميمون، فأنشد أبا العباس السفاح:

قد أتتك الوفود من عبد شمس — مستعدين يوجعـون المطيـا
عنوة أيها الخليفة لا عـن — طاعة بل تخوفوا المشرفيـا
لا يغرنك ما ترى من رجـال — إن تحت الضلوع داء دويـا
فضع السيف وارفع السوط حتى — لا ترى فوق ظهرها أمويا(١)

قيل: كان سليمان بن هشام بن عبد الملك حاضرا، فالتفت إلى سديف، وقال: قتلتني ياشيخ، ثم دخل السفاح وأخذ سليمان، فقتل(٢):

ثم قام خلف بن خليفة الأقطع الشاعر، فأنشد:

إن تجاوز فقد قدرت عليهم — أو تعاقب فلم تعاقب بريا

---

بـأحد، والمهـراس: مـاء بأحد، والقتيل الذى بحران: هو إبراهيم الإمام قتل صبرا، حران: مكان، تحجل: بضم الجيم وكسرها: تمشى مشية المقيد، الكناس: بكسر الكاف: موضع الظبى فى الشجر، شبل: ولد الأسد، الهراش: التحريش، أو المنازعة، حبائل: جمـع حـبالة: وهى شـرك الصائد، الإفلاس: مصدر أفلس، أى صار مفلسا، كأنما صارت دراهمه فلوسا وزيوفا، أو صار إلى حال يقال فيها: ليس معه فلس، وزيد هو زيـد بن على بن أبى طالب، قتله هشام، لما خرج بخراسان، فقتل وصلب، والرقلة: النخلة الطويلة.

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧.

الوفود: جمع وفد، عبد شمس: جد الأمويين، يقصد بنى أمية، يوجعون: يؤلمونها من الحث فى السير، المطى: جمع مطية، وهى كل ماركب ظهره، عنوة: قوة وغصبا، المشرفى: السيف، نسبة إلى مشارف الشام، دويا: شديدا، ضع السيف: أعمله، ارفع السوط: اتركه، ظهرها: ظهر الأرض.

(٢) الكامل فى التريخ لابن الأثير ٥/١٧٤.

أو تعاتبهم على رقة الديـــ      ن فقد كان دينهم سامريا[1]

وكان من بين جلساء أبى العباس الغمر بن يزيد بن عبدالملك الأموى فقال له أبو العباس: كيف ترى هذا الشعر؟

فقال الغمر: والله إن هذا لشاعر، ولقد قال شاعرنا ما هو أقعد، يقصد شعراء بنى أمية.

قال أبو العباس السفاح: وما قال شاعركم؟

فأنشده الغمر بيتا فى مدح بنى أمية يقول:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم      وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا[2]

فشـــرق وجه أبى العباس بالدم، وقال: كذبت، إنى لأرى الخيلاء فى رأسك بعد.

فأمر بهم فقتلوا، ووقف عليهم سديف الشاعر مع الشيعة، وقال:

طمعت أمية أن سيرضى هاشم      عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد وإلهه      حتى يبيد كفورها وخؤونها[3]

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧.
تجـــاوز: تتجاوز، وحذف حرف المضارعة، بريا: بريئا، رقة الدين: ضعفه، سامريا: نســبة إلى الســامرى، وهو ساحر منافق من قوم يعبدون البقر فى عهد موسى عليه السلام، جمع الحلى من القبط، وصنع منها عجلا، ودعاهم إلى عبادته.
(٢) العقد الفريد ٣/٢٠٧.
شمس العدواة أى عداوة واضحة بغير نفاق، يستقاد: من القود، وهو القصاص، بمعنى يثأر، أحلاما: عقولا.
(٣) العقد الفريد ٣/٢٠٧.

ويقال إن الذى فعل ذلك بالأمويين بإنشاد شبل بن عبدالله هو عبدالله بن على عم السفاح[1].

•••

وقيل: لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس، وولى منهم السفاح اتصل الخـبر بسـديف، وهو إذ ذاك بمكة، فتوجه نحو أبى العباس، وهنأه بالخلافه، وأنشده قصيدته:

أصبح الملك ثابت الأساس    بالبهاليل من بنى العباس

فعملت فى أبى العباس، وحركت منه فقال بنو أمية:

أعرابى جلف جاف لا يدرى ما يخرج من رأسه.

فـلما كان من الغد استدعاهم أبو العباس، ومعهم سيدهم سليمان بن هشـام، وكان يكنى أبا الغمر، وكان صديقا لأبى العباس من قبل أن تفضـى إليـه الخلافـة، يكاتبه، ويقضى حوائجه، فرفع أبو العباس مجالسهم، وأجلس أبا الغمر سليمان بن هشام عن يمينه على سريره، وجـاء سديف حين سمع باجتماعهم، حتى استأذن على أبى العباس، فلما مثل بين يديه، ونظر إلى مجالسهم أنشأ سديف ينشد:

لا يغرنك ما ترى من رجال    إن تحت الضلوع داء دويا

---

كفورهـا: مبالغة فى الكفر، خؤونها: مبالغة فى الخيانة، أمية: يقصد بنى أمية، هاشم: يقصـد بنى هاشم، زيدها: هو زيد بن على، حسينها: هو الحسين بن على، رضى الله عنهم.

(1) الكامل لابن الأثير ١٧٤/٥، الأغانى ٣٥٣/٤-٣٥٤.

واســتمر فى القصــيدة، حتى أتى على أخرها، وأبو العباس يغتاظ، ويحنق، ويتلون، فأمر أبو العباس بهم، فقتلوا جميعا[1].

فقــد تأثر السفاح بإنشاد شبل بن عبدالله إياه الشعر الذى يحرضه فيه عــلى بنى أمية، وقد أثر فى السفاح فعلا، حتى إنه قتل جلساءه من بنى أمية.

وقــد تأثر السفاح أيضا بإنشاد خلف بن خليفة الأقطع، ثم كان التأثير الأكــبر بإنشاد الغمر الأموى، حيث أنشد بيتا لشاعرهم فى مدحهم، مما غاظ السفاح، وأمر بهم أن يقتلوا جميعا.

والــرواية تؤكــد أن سديف الشاعر وقف على الأمويين من جلساء السفاح، ينشد السفاح شعرا، فيه شماتة بالأمويين، وسمع السفاح هذا الشعر، ورضى عنه، ولم ينكر على الشاعر.

••••

روى أن أبــا العــباس الســفاح قــد قتل سبعين من بنى أمية كانوا يطعمون على مائدته، فأنشده بعض الشعراء قصيدة مدحه بها، فأقبل الســفاح على بعض الأمويين فى مجلسه، فقال: أين هذا مما مدحتم به؟

فقــال الأموى: هيهات، لا يقول، والله، أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا، يقصد فى الأمويين:

---

(1) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٨-٤٠.

ما نقموا من بنى أمية إلــ لا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملــوك ولا تصلح إلا عليهم العــرب[1]

فقال له السفاح: أو إن الخلافة لفى نفسك، خذوهم، فأخذوا، وقتلوا.

فقد كان السفاح، كما تذكر هذه الرواية، سعيدا بالمدح الذى سمعه من بعــض الشــعراء، لذا أقبل على بعض الأمويين فى مجلسه، ليعرف موقــع هذا الشعر، وقدره، والمقارنة بينه وبين شعر المدح الذى قيل فى الأمويين.

فلما سمع من أحد الأمويين فى مجلسه أن الشعر الذى مدح به السفاح لا يصــل فى قدره إلى حد الشعر الذى قاله عبدالله بن قيس الرقيات فى الأموييــن، ومؤدى هذا الشعر مدح الأمويين بالحلم، وأنهم خلقوا ليكونوا ملوكا، وأن العرب لا تصلح إلا إذا كان الأمويون ملوكها.

آنــئذ ضاق السفاح بالأمويين، بسبب هذا الشعر، وأمر بقتلهم، ولعل الشــرارة التى ألهبت حماس السفاح لقتل هؤلاء الأمويين هى إنشاد هذا الشعر فى مدح بنى أمية.

•••

روى أن أبــا العــباس الســفاح حيــن نزل عن المنبر بعد أن بويع بالخلافة أنشده السيد الحميرى قوله:

---

(١) الفخرى ص ١٣٤-١٣٥، الأغانى ٣٤٦/٤.
معدن: أصل وجوهر، يحلمون: يتصرفون بحلم.

| | |
|---|---|
| دونكموها يا بنى هاشم | فجددوا من عهدها الدارسا |
| لوخير المنبر فرسانه | ما اختار إلا منكم فارسا |
| قد ساسها قبلكم ساسة | لم يتركوا رطبا ولا يابسا |
| ولست من أن تملكوها | إلى مهبط عيسى فيكم آيسا[1] |

فسر أبو العباس السفاح بذلك، وقال للسيد الحميرى الشاعر: أحسنت يا إسماعيل، سلنى حاجتك.

قال السيد الحميرى: تولى سليمان بن حبيب الأهواز.

فولى أبو العباس السفاح سليمان بن حبيب الأهواز بشفاعة السيد الحميرى الشاعر.

يقول السيد الحميرى لأبى العباس السفاح بعد ما نزل عن المنبر، وبويع بالخلافة: خذوا الخلافة يا بنى هاشم، لتجددوا عهدها الذى فنى فى عصر بنى أمية، ولو خيرنا المنبر لاختاركم فرسانه، وقد ساس الخلافة قبلكم الأمويون فنهبوها، لكننى لا أيأس من أنكم سوف تملكون الخلافة إلى قيام الساعة.

---

(1) الأغانى ٧/٢٤٠

دونك: أى خذ، الدارس: البالى الفانى، بنو هاشم: يقصد العباسيين، المنبر: يقصد منبر الصلاة والخلافة، فرسانه: ملوكه، خير: بالبناء للمجهول، لم يتركوا رطبا ولا يابسا: أى أهلكوا ونهبوا كل شئ، مهبط عيسى: علامة القيامة.

ولا شك أن هذا الشعر يروق لأبى العباس السفاح، لأنه تأييد لدعوتهم، وبقاء الخلافة فيهم، وتنديد بالأمويين وسياستهم، وهو مدح يسعد به العباسيون، والسفاح الخليفة الأول فى العباسين.

ولما أعلن السفاح سروره لهذا الشعر، واستحسنه، قال للشاعر: سلنى حاجتك.

والعجيب أن الشاعر سأل الخليفة أن يولى سليمان بن حبيب الأهواز، والأعجب أن يوافق الخليفة على ذلك المطلب، ويأمر بتنفيذه، وما ذلك إلا إعلاء لدولة الشعر فى بلاط العباسيين.

•••

روى أنه ساير عبدالله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأنبار وهو ينظر إلى بناء قد بناه أبو العباس، ويدور به.

فأنشد عبدالله بن الحسن أبا العباس السفاح:

ألم ترجو شنا لما تبنى ... بناء نفعه لبنى بقيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح ... وأمر الله يحدث كل ليله[1]

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١/١٢٢، الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٦٩، العقد الفريد ٣/٢٧٥، ٤/٢٦١.

تبنى: بفتح التاء والباء، والنون المشددة، بقيلة، وليلة: بالهاء فيهما لضرورة القافية، عمر نوح: حيث عاش نوح أكثر من ألف سنة، ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وأمر الله: قضاؤه وقدره، ويروى: أضحى ليبنى قصورا نفعها لبنى نفيلة.

فقال السفاح: لو علمنا لاشترطنا حق المسايرة، فاعتذر له عبدالله بن الحســن، وطلب منه الصفح، فوافقه السفاح، وأمره أن يأخذ فى غير هذا المعنى أو الشعر.

وذلــك دليــل على أن السفاح قد فهم الأبيات، وعرف مغزاها، فهى أبيات قالها بصير بالأدب والشعر، وسمعها من هو أشد بصرا بالأدب والشعر منه.

والعجيــب، أن البيتين فيهما موعظة جميلة، ويعبران عما يريد قوله عبدالله بن الحسن.

والأعجــب أن الاســتجابة من أبى العباس السفاح كانت على الفور، وكان رده السريع على إنشاد ابن الحسن إياه هذين البيتين.

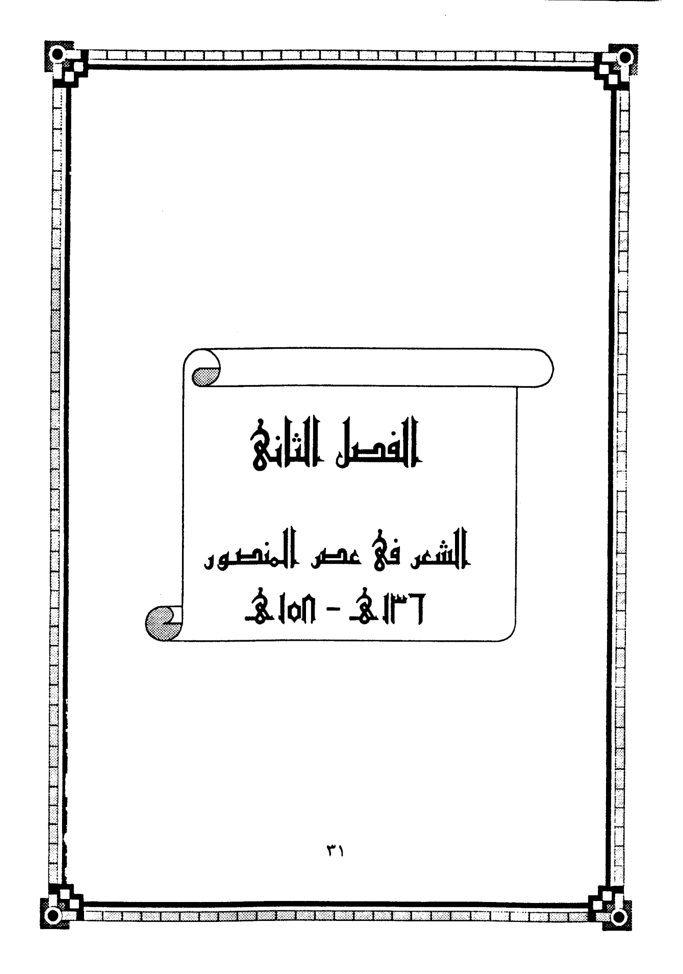
إن ابن الحسن قد ضرب بأبياته هذه فى عدة اتجاهات، أو أغراض، فــهى أولا موعظة جميلة، إذا ذكرت مجردة عن الموقف الذى قيلت فيه.

وهى ثانيا تنطبق على ما فعله أبو العباس السفاح، حين أمر ببناء هذه البناية، وجعل ينظر إليها، ويدور بها، فأراد أن يقول له: إن جو شنا لمــا بنى بناء كان نفعه لغيره، وكان يؤمل أن يعيش عمر نوح عليه السلام، مع أن قضاء الله، وقدره يحدث كل وقف، وحين.

وهــذا المعنى يضرب أبا العباس السفاح الخليفة العباسى فى مقتل، وكأنــه يقــول له: إنــك تبنى هذا البناء، ولن يطول عمرك، فسوف تموت وتترك هذا البناء.

- إن هذا المعنى فى هذا الموقف مما يبعث على الطيرة، والتشاؤم، وكــان الخلفاء يعتقدون فى التفاؤل، والتشاؤم، كما ذكرت كتب الأدب، ومعاجم البلدان فى مثل هذه المواقف، عند بناء البنايات، أو المدن.
- إن الرواية تذكر أن أبا العباس السفاح كان مكرما لأبن الحسن، ومعظمــا لحقــه، لذا بين له أنه لو علم أنه سيقول ذلك لاشترط عليه حق المسايرة.
- إن ابــن الحســن اعتذر عن قول الشعر بأن ذلك يدخل فى باب بوادر الخواطر، وأغفال المسالخ، بغير روية، ولا ذكر، ورجاه الإقالة من هذا الخطأ، والصفح عنه، وهذا الاعتذار دليل على أن ابن الحسن فهم المعنى المقصود من الأبيات كما فهمه السفاح.
- إن الســفاح قد قبل العذر من ابن الحسن، وقال له: خذ فى غير هذا، وترك مؤاخذته على الشعر.

***



# الفصل الثاني

## الشعر في عصر المنصور

## ١٣٦هـ - ١٥٨هـ

**المنصور، ١٣٦هـ - ١٥٨هـ هو أبوجعفر المنصور اسمه عبدالله بـن محمـد بـن علي بن عبدالله بن العباس، وهو أخو أبى العباس السفاح، بويع فى اليوم الذى توفى فيه أخوه، لثلاث عشرة خلت من** ذى الحجـة سنة ست وثلاثين ومائة، وتوفى بمكة قبل التروية بيوم، لسـبع خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وهو محرم، وكـانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثمانية أيام، وأمه اسمها سلامة، وجنسها بربرية، وهو والد الخليفة المهدى(١).

وهو ثانى الخلفاء العباسين، ومن ورائه الربيع مولاه.

***

كـان الخـليفة أبو جعفر المنصور عالما بالشعر، ذا بصر به، يفهم دقائقـه، ينقد الشعر حينا، ويقرض الشعر أحيانا، ويتمثل بالشعر فى مواقف كثيرة، ويعرف للشعر الجيد قيمته حين ينشده الشعراء شعرا فى أغراض مختلفة.

فقـد كتب شعرا فى موقف سياسى فى غاية الدقة، ومع ذلك الموقف لجأ إلى الشعر يستعين به على التعبير عن موقفه هذا.

***

روى أنه لما خرج محمد بن عبدالله بن الحسن بالمدينة، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة، قال سديف بن ميمون الشاعر:

(١) العقد الفريد ٣/٢٩٩-٣٠٠

إن لحمامة يوم لشعب من حضن    هاجت فؤاد محب دائم الحزن
إنا لنأمل أن ترتد ألفتنـــــا    بعد التباعد والشحناء والإحن
وتنقضى دولة أحـــكام قادتها    فيها كأحكام قـــوم عابدى وثن
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا    إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن
لا عز ركن نزار عند نائبـــة    إن اسلموك ولا ركن لذى يمن
ألست أكرمهم يوما إذا انتسبوا    عودا وأنقاهم ثوبا من الــدرن
وأعظم الناس عند الله منزلة    وأبعد الناس من عجز ومن أفن[1]

فــلما سمع أبو جعفر المنصور هذه الأبيات استطير بها، فكتب إلى عبدالصـــمد بن على أن يأخذ سديفا الشاعر، فيدفنه حيا، ففعل الوالى ذلك.

***

وروى أن هــذه الأبيات لعبدالله بن مصعب الشاعر، وإنما كان سبب قتل سديف بن ميمول الشاعر أنه قال أبياتا مبهمة، وكتب بها إلى أبى جعفر المنصور، وهى هذه الأبيات:

أسرفت فى قتل الرعية ظالما    فاكفف يديك أضلها مهديها

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٨٢-٢٨٣، العقد الفريد ١/٥٨-٥٩
الشعب: بكسر الشين المشددة، الطريق فى الجبل، حضن: مكان، الإحن: بكسر الهمز، وفــتح الحاء، جمع إحنة، وهى الحقد، وثن: صنم، بنو الحسن: هم بنو الحسن بن على بــن أبى طـــالب، عودا: فرعا، الدرن: القذر والوسخ، أفن: فساد العقل والرأى، دولة: يقصــد دولـــة العباســين، بيعـــة: يقصد البيعة بالخلافة، نزار: قبيلة، نائبة: مصيبة، أسلموك: خذلوك، لذى يمن: يقصد اليمنيين

فلتأتينك راية حسنيـــــــة        جرارة يقتادها حسنيهـــا[١]

فأمـــر أبـــو جعفـــر المنصور حازم بن خزيمة أن يتهيأ بهيئة السفر متنكرا إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وأن ينظر عـــند الســـارية الثالثة إلى شيخ آدم، يكثر التلفت، طويل كبير، وأن يـــتوجع لآل أبى طـــالب، ويذكر شدة الزمان عليهم ثلاثة أيام، وأن يقول فى اليوم الرابع: من يقول هذه الأبيات؟ وهى الأبيات المذكورة آنفا.

ففعل حازم بن خزيمة ذلك، فقال له الشيخ:

والله مـــا قـــلت هذا الشعر، ولا قاله إلا سديف بن ميمون، فإنى أنا القائل، وقد دعونى إلى الخروج مع محمد بن عبدالله:

دعونى وقد سالت لإبليس راية        وأوقد للغاوين نار الحباحـــــب

أبا لليث تغترون يحمى عرينه        وتلقون جهلا أسده بالثعالـــــب

فلا نفعتنى السن إن لم يؤزركم        ولا أحكمتنى صادقات التجارب[٢]

قال: وأنا الشيخ إبراهيم بن هرمة.

---

(١) العقد الفريد ٢٨٣/٣

الرعية: المحكومون، اكفف: امنع، حسنية: نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب، جرارة: يقصد كتيبة جرارة، أى تجر السلاح، يقتادها: يقودها.

(٢) العقد الفريد ٢٨٣/٣

الغاوون: الضلال، السن: العمر، أسده: جيوشه الأسود، الثعالب: يقصد الضعاف من الرجال.

فذهــب حــازم بن خزيمة إلى أبى جعفر المنصور، فأخبره الخبر، فكــتب إلى عبدالصمد بن على، وكان سديف بن ميمون فى حبسه، فأخذه، فدفنه حيا.

وعلى أى الروايتين فإن كلا منهما تدل على أن الشعر قد أثر فى أبى جعفــر المنصور أيما تأثير، حتى إنه استطير بهذا الشعر، وأمر أن يدفن سديف بن ميمون الشاعر حيا، وقد كان، ففعل ذلك وإليه.

وذلــك لأن هذا الشعر ينطق بعلوية شيعية واضحة، وذم لدولة بنى العباس، فما كان من المنصور إلا هذا العقاب الشديد، فى مقابلة هذا الشعر.

والــرواية الأولى واضــحة فى أنها تعلى من قيمة العلويين، وتتمنى انقضاء دولة بنى العباس.

أما الرواية الثانية فإنها تدل على أن المنصور قد اغتاظ أيما غيظ من لهجة الشعر الذى خاطبه به سديف بن ميمون الشاعر، ذما لشخصه، ورغبة فى ظهور دولة العلويين.

كما أن الرواية الثانية تدل على أن المنصور بحث عن قائل الأبيات، حــتى اهــتدى إليه، وقتله، وأن إبراهيم بن هرمه الشاعر خاف من العقــاب، وأنكر أن تكون الأبيات له، كما بين أن الأبيات لسديف بن ميمــون، وأنه ما قال شعرا فى الهجاء، وإنما قال شعرا فى تعضيد دولــة بنى العباس، مما يدل على أن المنصور كان يتعقب من ينشد

شــعرا لصالح غير بنى العباس، مما يدل على أن الشعر كان سلاحا فى يد الشعراء، والأحزاب السياسية.

•••

روى أن المنصــور الخــليفة العباســى لما قتل محمد بن عبدالله بن الحســن، وكــان عبدالله أبوه فى السجن، بعث رأسه إليه، مع الربيع حاجبه، فوضع بين يديه.

فقــال: رحمك الله أبا القاسم، فقد كنت من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، ثم تمثل:

فتى كان يحميه عن الذل سيفه ويكفيه سوآت الأمور اجتنابها[1]

ثم التفت عبدالله بن الحسن إلى الربيع، فقال له:

قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة، ومن نعيمك مثلها، والموعد الله تعالى.

قــال الربيع: فما رأيت المنصور قط أكثر انكسارا منه، حينً أبلغتهِ الرسالة.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٢٢/١
سيفه: فاعل، وكذلك اجتنابها.

والشـــاهد هنا أن عبدالله بن الحسن تمثل بالشعر فى حاله، وحال ابنه حين عرف أن المنصور الخليفة العباسى قد قتل ابنه، فرثى ابنه رثاء جميلا ببيت، غاية فى التعبير عن قصده.

ولعـــل المنصـــور قد سمع البيت، وتأثر به عند إبلاغه الرسالة. أما البيت الشعرى الذى تمثل به عبدالله بن الحسن، فهو على إيجازه ذو تعبير صادق عن معنى المروءة، كما يجب أن تكون المروءة، وهى من صفات المدح، والرثاء عند العرب فى الشعر القديم.

فيقول: إنه فتى، وفى هذه اللفظة ما فيها من معنى، وإيحاء.

ويصـــفه بالشـــجاعة، والعـــزة، فقد كان يحميه عن الذل سيفه، فهو عزيز، شجاع.

وكـــان ذا مـــروءة تمنعه من إرتكاب سوآت الأمور، أو اتباعها، أو إتيانها، فكان يكفيه هذه السوآت اجتنابه اياها.

وهـــذا البيت على إيجازه فى التعبير عما فى نفس الوالد، حين يرثى ولده بعد قتله إنما لينطق بالكثير مما لم يقله البيت، وإنما انعكس من التعبير الأدبى فى البيت إذا علمنا الموقف الذى قيل فيه.

إلى هـــذا الحد كان الشعر أداة التعبير عن النفس البشرية، وأغوارها السحيقة، وشجونها المؤلمة.

•••

روى أن الأحـوص الشـاعر شبب بامرأة من بنى جعفر، فاستعدى أخوهـا والى المديـنة آنـئذ، وهـو ابن حزم الأنصارى للوليد بن عبدالملك، فتحامل ابن حزم على الأحوص.

فما كان من الأحوص إلا أن مدح الوليد بن عبدالملك، ثم شخص إليه فى الشام، وأنشده قوله:

لا ترثين لحزمى رأيت بـه    ضرا ولو ألقى الحزمى فى النار
الناجشين لمروان بذى خشب    والمدخلين على عثمان فى الدار[1]

فعزل الوليد بن عبدالملك ابن حزم الأنصارى، وأمر بقبض أموال آل حزم، وإسقاطهم من الديوان، وأن لا يأخذوا لأموى عطاء أبدا.

فـلما انقضـت دولة بنى أمية، وجاءت دولة بنى العباس، وولى أبو جعفـر المنصور قدم عليه أهل المدينة، فكانوا ينتسبون له إذا قاموا بين يديه، فلما دخل عليه ابن حزم الأنصارى قال: يا أمير المؤمنين، أنا ابن حزم الأنصارى، الذى يقول فيه الأحوص:

لا ترثين لحزمى رأيت بـه    ضرا ولو ألقى الحزمى فى النار
الناجشين لمروان بذى خشب    والمدخلين على عثمان فى الدار

---

(١) العقد الفريد ٢٩٨/٣
تـرثى: تشفق، حزمى: منسوب لآل حزم، النجش: أن تزيد فى البيع ليقع غيرك وليس من حاجتك، فى الدار: دار عثمان التى قتل فيها يوم الدار.

ثم قال: يا أمير المؤمنين، حرمنا العطاء منذ سنين، وقبضت أموالنا وضياعنا.

فقال له أبو جعفر المنصور: أعد على البيتين، فأعادهما عليه.

فقال أبو جعفر: أما والله لئن كان ذلك ضركم فى ذلك الحين لينفعكم اليوم.

ثـم كـتب إلى عـامل المدينة أن يرد جميع ما اقتطعه بنو أمية من ضـياع ابن حزم، وأموالهم، ويحسب لهم ما فاتهم من عطائهم، وما اسـتغل من غلاتهم من يرمئذ، فيخلف لهم جميع ذلك من ضياع بنى مروان، ويفرض لكل واحد منهم مائتى دينار فى السنة.

ثـم قال أبو جعفر المنصور: على الساعة عشرة آلاف درهم، تدفع إلى هذا الفتى لنفقته[1].

فقد طلب المنصور من ابن حزم أن يعيد عليه البيتين اللذين أنشدهما الأحـوص الشـاعر، الوليـد بـن عبدالملك، ثم أمر برد ضياعهم وأموالهم، وذلك لأنه رأى فى البيتين ما يعلى من ابن حزم لأنه كان ضـد الأمويين، فوجد المنصور فى هذا الشعر ضالته المنشودة فى الوقوف مع العباسيين.

كذلـك فإن ابن حزم إذا كان قد أصيب بالضرر من جراء الشعر فى عصر بنى أمية، فلينتفع بهذا الشعر فى العصر العباسى.

(١) العقد الفريد ٣/٢٩٨-٢٩٩

واللافت النظر أن ابن حزم يعرف نفسه لأبى جعفر المنصور، حين دخل عليه بأنه الذى يقول فيه الأحوص هذا الشعر، وكان الشعر مادة مشهورة معروفة له، وللخليفة، وكأن هذا الشعر قد سار كل مسير.

•••

روى أنـــه لمـــا وفـــد إبراهيم بن هرمه على أبى جعفر المنصور، ومدحه، استحسن شعره، ووصله، وقال له: سل حاجتك.

قـــال إبراهيم بن هرمة تكتب لى إلى عامل المدينة أن لا يحدنى. إذا أتى بى سكران.

فقال أبو جعفر: هذا حد من حدود الله تعالى لا يجوز أعطله.

قال ابن هرمة: فاحتل لى يا أمير المؤمنين.

فكـــتب أبـــو جعفر المنصور إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران، فاجلده مائة، واجلد ابن هرمة ثمانين.

فكـــان الشـــرط يمرون به مطروحا فى سكك المدينة، فيقولون: من يشترى مائة بثمانين[1].

وهذه الرواية لها دلالات كثيرة:

---

(١) زهر الآدب ونمر الألباب ١٢٨/١.
يحدنى: يقيم على حد الشرب، الشرط: بضم الشين المشددة وفتح الراء، جمع شرطى، سكك: جمع سكة، بكسر السين فيهما، بمعنى طريق.

-فـــهى تـــدل عـــلى مـــدى ما بلغه الشعراء من مكانة عند الخلفاء العباســـيين إلى هـــذا الحـــد الذى بلغه ابن هرمة عند أبى جعفر المنصور، بشاعريته، وموهبته الفنية.

-إن مكافأة ابن هرمة من الخليفة المنصور لم تكن فى حدود المتاح، أو المباح، لكنها تجاوزت ذلك المباح، أو المتاح إلى حد جد بعيد، كما ظهر فى مطلب ابن هرمه من المنصور.

-إن ابن هرمة تجرأ على المنصور، وهو خليفة المسلمين العباسى، والـــتمس مـــنه أن يكتب إلى عامل المدينة أن لا يحده، إذا أتى به الشـــرط إليـــه، وهو سكران، وهذا مطلب لا يستطاع التماسه من خليفة، ولا يستطاع تنفيذه.

-إن ابـــن هـــرمة لما سمع الرد من المنصور أن هذا حد من حدود الله، لا يدخـــل فى اختصاص عمله، التمس فيه أن يحتال على حد الله، حتى يتحقق مطلبه الأول، وحتى ينعم بفعل هذا المنكر الإثم.

-إن أبـــا جعفر المنصور احتال بطريقة عجيبة على حد من حدود الله، حتى يمنع الشرط من الإمساك بابن هرمة، إذا وجدوه سكران، وقد تحقق ذلك لابن هرمة، لأن الشرط قد ابتعدوا عنه.

•••

وروى أن المنصور أو المهدى الخليفة العباسى كان قد كسا أبا دلامة الشاعر ساجا، وهو الطيلسان الأخضر، أو الأسود، فأخذ بأبى دلامة، وهو سكران، فأتى به إلى المنصور الخليفة العباسى.

فأمر المنصور بتمزيق الساج عليه، وأن يحبس فى بيت الدجاج.

فــلما كان فى بعض الليل، وصحا أبو دلامة من سكره، ورأى نفسه بيــن الدجاج، صاح فى السجان، فعرف أنه. أتى به أمير المؤمنين وهــو ســكران، فأمر بتمزيق ساجه، وحبسه مع الدجاج، فطلب أبو دلامة من السجان أن يوقد سراجا، ويجيئه بدواة وورق.

فكتب أبو دلامة إلى المنصور الخليفة العباسى:

أمن صهباء صافية المــزاج كأن شعاعها لهب الســـراج
تهش لها النفوس وتشتهيهــا إذا برزت ترقرق فى الزجاج
وقد طبخت بنار الله حـــتى لقد صارت من النطف النضاج
أمير المؤمنين فدتك نفــسى علام حبستنى وخرقت ساجى
أقاد إلى السجون بغير ذنــب كأنى بعض عمال الخـــراج
ولو معهم حبست لهان وجدى ولكنى حبست مع الدجـــاج
دجاجات يطيف بهن ديـــك يناجى بالصياح إذا يناجـــى
وقد كانت تخبرنى ذنوبـــى بأنى من عذابك غير ناجـــى

على أنى وإن لاقيت شـــــرا   لخيرك بعد ذاك الشرراجـــى[1]

ثم قال أبو دلامة للسجان: اوصلها إلى أمير المؤمنين. فأوصلها إليه لسجان، فلما قرأها أمير المؤمنين أمر بإطلاقه وأدخله عليه وسأله: اين بت الليلة، أبا دلامة؟

قال أبو دلامة: مع الدجاج يا أمير المؤمنين، كنت أقاقى معهن حتى أصبحت أو أصبت.

فضحك المهدى وأمر له بصلة جزيلة، وخلع عليه كسوة شريفة.

***

وروى أن أبـــا دلامة دخل على المنصور، ومدحه، فمنحه المنصور ثيابـــا، وساجا، فخرج من عنده، ومضى يشرب فى بعض الحانات، فســـكر، وانصرف، وهو يميل، فلقيه العسسن فأخذه، وقالوا له: من أنت، وما دينك؟

---

(1) العقد الفريد ٣٠٣/١، الأغانى ٢٥١/١٠-٢٥٢، مهذب الأغانى ٢٧/٩
صـــهباء: الخمر، السراج: المصباح، تهش: تسر وتسعد، برزت: ظهرت، ترقرق، أى تـــترقرق، وحذفـــت تـــاء المضـــارعة، الزجاج: يقصد الكأس، طبخت: غلت وفارت واشتدت، وقذفت بالزبد كما يقول الفقهاء، بنار الله، أى بغير نار، النطف: بضم النون المشـــددة، جمع نطفة، وهى الماء الصافى قل أو كثر، النضاج: بكسر النون المشددة، جمـــع ناضـــجة، أميـــر المؤمنين، بالنصب على النداء بحرف نداء محذوف، الساج، الطيلســـان الأخضـــر أو الأسود، أفاد بالبناء للمفعول، عمال الخراج: أى العمال على الولايات لجباية الخراج من الأرض، حبست: بالبناء للمجهول، وجدى: حزنى، يناجى الصـــبح: يصـــيح، تخـــبرنى: بضـــم التاء وفتح الخاء، وكسر الباء المشددة، من خبر الرباعى المشدد، راجى: أمل.

قال أبو دلامة:

دينى على دين أبى العبـــاس
ما ختم الطين على القرطاس
إنى إصطبحت أربعا بالكاس
فقد أدار شربها براســــــى
فهل بما قلت لكم من باس[1]

فـــأخذوه، ومضـــوا، وخـــرقوا ثيابـــه، وساجه، وأتى به أبو جعفر المنصور، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس، فحبسه مع الدجاج فى بيت، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة، وجاريته مرة، فلم يجبه أحد. وبيـــنما هو فى ذلك إذ سمع صوت الدجاج، وزقاء الديوك، فأخبره الســـجان بخـــبره، وأنه فى الحبس بأمر أمير المؤمنين، وقد خرق طيلسانه الحرص.

فطـــلب أبـــو دلامة من السجان أن يأتيه بدواة وقرطاس، فكتب أبو دلامة إلى أبى جعفر الأبيات السابقة.

فضحك الخليفة، وخلى سبيله، وأمر له بجائزة.

فـــلما خـــرج قـــال الربيع: إنه شرب الخمر، يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله: وقد طبخت بنار الله، يعنى الشمس؟

---

(١) مهذب الأغانى ٢٦/٩
اصطبحت: شرب فى الصباح، باس، أى بأس، أو شدة، وسهلت همزة بأس.

فأمر الخليفة برده، ثم قال: ياخبيث، شربت الخمر؟

أفلم تقل: طبخت بنار الله، تعنى الشمس؟

قـال أبو دلامة: والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة، التى تطلع على فؤاد الربيع.

فضحك الخليفة، وقال: خذها يا ربيع، ولا تعاود.

-والشـاهد فى هـذه الرواية أن الخليفة أمر بإطلاق أبى دلامة من الحبس، على رغم علمه بشربه الخمر، وأن العسس قد أمسكوا به، وهـو سكران، وهذا تسامح لا ينبغى فى حق الخليفة، ولا فى حق حد من حدود الله تعالى.

-إن الخـليفة قـد عفا عن أبى دلامة لشعر قاله، والغريب أن هذا الشـعر لا يتبرأ فيه أبو دلامة مما صنع، من شرب الخمر، وإنما اشـتملت الأبيـات على وصف الخمر وصفا يدل على حبه لها، وشربه إياها.

-إن الأبيات أيضا، لم تخل من التهكم، والسخرية، أو روح الدعابة والمـرح، الـتى تميـز أبـا دلامة فى شعره، وحياته، مما أثبتته المصادر الأدبية التى هى مظنة بحث هذه الحقبة من الزمن.

-إن الشـاعر لـم يخـل شعره من شعاع نور يضئ الحياة فى هذا العصـر، لنعـلم جانبا من الحياة الإجتماعية، فى ذلك العصر، إذ

يـــتهكم أبو دلامة بعمال الخراج، ويغمز ذممهم، وأعمالهم، وأنهم يلقون المصير فى السجن، حتى صار السجن مثابة لهم:

- إن الشـــاعر قد أكد على أنه يعلم أنه لن ينجو من عقاب الخليفة، وذكـــر ذلـــك بوضـــوح فى اعتذاره للخليفة، مما يعطينا صورة واضحة للحياة فى ظل الدولة العباسية.
- إن الشاعر فى شعره قد أكد أنه يثق فى خير الخليفة بعد هذا الشر الذى حدث لهن ولو لم يثق فى هذا الخير ما صنع فعلته هذه.
- إن الشاعر حين أمسك به العسس لم ينكر أنه شرب الخمر، وأنشد أبياتـــا يشـــرح فيها ما فعل به هذا السكر الذى يبدو عليه، ويجاهد بقوله: فهل بما قلت لكم من بأس؟
- وهـــذه جرأة غريبة كان من ورائها تسامح الخليفة مع الشاعر إلى هذا الحد الذى تحكيه هذه الرواية.
- إن الشـــاعر لم يخل حديثه مع الخليفة من التملح، إذ وصف له ما كان يصنع مع الدجاج، حين قال: أقوق معهن.
- إن الـــربيع حين أوضح للخليفة أن الشاعر قد شرب الخمر، وأتى بشـــاهد من شعره، واستفسر الخليفة من الشاعر، رد الشاعر ذلك القول بصفعة للربيع، حين قلب عليه المعنى، وقد قبل الخليفة ذلك، وأمـــر الـــربيع أن لا يعـــاود، ولم ينه الشاعر عن شرب الخمر، وإنشاد الشعر فيها.

كل ذلك يدل على مكانة الشعر عند الخليفة، مما ينعكس على مكانة الشعراء فى البلاط العباس.

•••

روى أن أبـــا جعفـــر المنصـــور عتب على قوم من الكتاب، فأمر بحبسهم.

فرفعوا إليه رقعة، ليس فيها إلا هذا البيت:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا الكرام الكاتبينا[1]

فعفا المنصور عنهم، وأمر بتخليه سبيلهم.

حيـــن أنشد الكتاب هذا البيت استعطافا، واسترقاقا للمنصور، ابتغاء عفـــوه عـــنهم، وأعجب المنصور بهذا البيت من الشعر، عفا عنهم، وخلى سبيلهم.

والعجـــب أنهم كتاب، ومع ذلك كانت وسيلتهم الشعر، وليس النثر، لأنهم عرفوا أن للشعر قيمة عالية عند المنصور.

كمـــا أن هـــذا الـــبيت الشـــعرى لا يخلو من طرافة، وتملح قدره المنصور، مع أنه فى موقف غضب عليهم، مما يستلزم عقابهم، ومع ذلك استلوا سخيمته بهذا البيت الشعرى.

•••

---

(١) العقد الفريد: ٣/١٦، العمدة ١/٧٠
الكاتبون: كتاب الدواوين، الكرام الكاتبون: الملائكة.

وروى أن عيســى بن موسى لما وجهه المنصور، الخليفة العباسى، إلى المدينة، لمحاربة بنى عبدالله بن الحسن، وجعل يوصيه، ويكثر، قال: يا أمير المؤمنين، إلى متى توصينى؟

إنى أنا ذاك الحسام الهندى.

أكلت جفنى وفريت غمدى.

فكل ما تطلب عندى عندى[1]

وهــذه الأبيــات دليل على أن الشعر كان مادة الحديث، والاستعداد لــلحرب، ومــادة الحــوار بيــن الخليفة والقائد الذى أرسله لحرب العلويين.

ورد القائد على الخليفة بالشعر دلالة على اعتزاز كل منهما بالشعر، ومكانته فى عصر بنى العباس.

والرواية تقول إن الخليفة المنصور جعل يوصى قائده، ويكثر، فلما أدرك ذلــك القائد أراد أن يهدئ روع الخليفة، ويطمئنه إلى موقفه، وحالــه، قبل توجهه إلى الحرب، فأراد أن يأتى بالقول الفصل الذى يــريح الخليفة، فما كان منه إلا أن ينشده شعرا، وقد نجح فى ذلك، حتى إن الرواية لتذكر أن الخليفة لم يتكلم بعد سماع الشعر.

---

(١) العقد الفريد ١/١٥٨، ٣/٢٨٢

الحســام: الســيف، الهندى: نسبة إلى الهند، التى تصنع أجود السيوف، الجفن: الغمد، فرى: مزق، وأبلى، وروى: فكل ما تطلب منى عندى.

إن الشـــعر الـــذى أنشده القائد أمام الخليفة كان فخرا بالنفس، ليبين شـــدته، وشـــجاعته، وقوتـــه، وهى الصـــفات التى أرادها الخليفة المنصـــور، لذا طمأنه بقوله فى البيت الثالث: فكل ما تطلب عندى، وأكد قوله مرة ثانية: عندى.

وهـــذا الشـــعر الـــذى أنشـــده القائد أمام الخليفة إنما يعبر عما أراد الخليفة، وما أراد القائد، وكأنه يلزم للقائد الحربى أن يكون ذا ثقافة عاليـــة فى الشـــعر العـــربى، ومعرفة جيدة بالأسلوب الشعرى فى التعبير، وفى ذلك إعلاء لدولة الشعر فى العصر العباسى الأول.

•••

روى أنـــه لمـــا صارت الخلافة إلى أبى جعفر المنصور، كتب إليه رجل من إخوانه:

| | |
|---|---|
| إنا بطانتك الألـــــــــى | كنا نكابد ما تكابـــــد |
| ونرى فنعرف بالعـــــدا | وة والبعاد لمن تباعد |
| ونبيت من شفق عليـــــ | ك ربيئة والليل هاجد |
| هذا أوان وفاء مـــــــــا | سبقت به منك المواعد[1] |

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٤٣، ٣٠٤
بطانـــة: خاصة، وحاشية، ومن حول الرجل، نكابد: نعانى، من كابد الرباعى، وكذلك: تباعد، فنعرف: بالبناء للمجهول، هاجد: ساكن، أوان: وقت، المواعد: الوعود، ربيئة: هو الطليعة الذى يرقب العدو من مكان عال، لئلا يدهم قومه.

فوقـــع أبـــو جعفر المنصور على كل بيت منها: صدقت، ثم دعابه، وألحقه فى خاصته. وذلك يدل على أن المنصور كان يعرف للشعر قيمـــته، وللشعراء مكانتهم، فقد وقع على كل بيت: صدقت، ثم أثاب الشاعر على شعره بإلحاقه فى خاصته، دلالة على صدق الشاعر فى شعره، وقيمة شعره الفنية.

إن المكافـــأة لهـــذا الشاعر كانت عظيمة، إذ إن المنصور ألحق هذا الشـــاعر فى خاصته، وهى مكافأة دونها كل مكافأة، وذلك يدل على أن الشـــعراء كـــانوا يحتـــلون أسمى المناصب فى بلاط خلفاء بنى العباس.

***

روى أن الخـــليفة أبا جعفر المنصور كان جالسا فى مجلس بمدينته فى أعلى باب خراسان، مشرف على دجلة، إذ جاء سهم غائر، حتى سقط بين يديه، فذعر المنصور منه ذعرا شديدا.

ثم أخذه، فجعل يقلبه، فإذا مكتوب عليه بين الريشتين:

أتطمع فى الحياة إلى التنادى     وتحسب أن مالك من معاد
ستسأل عن ذنوبك والخطايا     وتسأل بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الأخرى:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت     ولم تخف سوء ما يأتى به [illegible]
وساعدتك الليالى فاغتررت بها     وعند صفو الليالى [illegible]

ثم قرأ عند الريشة الأخرى:

هى المقادير تجرى فى أعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه ... إلى السماء ويوما تخفض العالى[١]

وإذا على جانب السهم مكتوب: همذان، منها مظلوم فى حبسك.

فــبعث المنصور من فوره بعدة من خاصته، فوجدوا شيخا فى بيت من الحبس، موثوقا بالحديد، فسئل عن بلده، فقال: همذان.

فحمــل، ووضـــع بيـــن يدى المنصور، فسأله عن حاله، فأخبره أن الــوالى أراد أخذ ضيعته، فامتنع، فكبله فى الحديد، وطرحه فى هذا المكان، مذ أربعة أعوام.

فرد المنصور عليه ضيعته، وولاه همذان، وحكمه فى الوالى، فقبل الشيخ الضيعة، ورفض الولاية، وعفا عن الوالى.

فأمر له المنصور بمال جزيل، وبر واسع، واستحله، وحمله إلى بلده مكرما.

ثم أنشأ المنصور يقول:

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه ... يوما وللدهر إحلاء وإمرار
لكل شئ وإن دامت سلامتـــــه ... إذا انتهى فله لابد إقصـــار[٢]

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥٣٠
التــنادى: يــوم التــنادى وهو يوم القيامة، معاد: عودة، يقصد الأخرة، الخطايا: جمع خطيــئة، القــدر: قدر الله تعالى، صفو: حسن، الكدر: الحزن، المقادير: جمع مقدار، وهو القدر، أعنتها: زمامها، جمع عنانى، خسيس: وضيع حقير.
(٢) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥٣٠

والــرواية تــدل على أن المنصور قرأ الشعر المكتوب على السهم، وأدرك معـــنى هـــذا الشـــعر، ثم أمر بما يدل على إحساسه بما هو مكتوب على السهم.

كذلك فالمنصور بعد ما رد الحق إلى صاحبه تمثل بيتين من الشعر يـــدلان عـــلى موقفه، وتصرفه، والعبرة التى نتعظ بها فى مثل هذا الموقف، ويكاد البيتان يكونان غاية فى الحكمة التى تنجم عن تدبر، وتعقل، وفهم.

كذلك فإن المنصور شاعر، وحافظة للشعر، يستطيع أن ينشد فى كل موقف بما يلائم هذا الموقف بدقة، وفهم، وبصيرة.

•••

روى أن أبا جعفر المنصور أقام صالحا ابنه، فتكلم فى أمر فأحسن. فقـــال شبيب بن شيبة: تا الله، ما رأيت كاليوم أبين بيانا، ولا أعرب لسانا، ولا أربط جأشا، ولا أبل ريقا، ولا أحسن طريقا، وحق لمن كان المنصور أباه، والمهدى أخاه، أن يكون كما قال زهير بن أبى سلمى:

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما　　على تكاليفه فمثله لحقـــــا
أو يسبقاه على ما كان من مهل　　فمثل ما قدما من صالح سبقا[1]

---

تصرف الدهر: تقلبه، إحلاء، وإمرار: من الحلاوة والمرارة، يقصد السرور والحزن، إقصار: تراجع، ووقوف.

(١) العقد الفريد، المكتبة التجاريو ١/٢٢٧

شأو: منزلة، أو مكانة، تكاليفه: مشاقه، أو ما يستلزمه

وذلــك نقــد من شبيب بن شيبة لصالح بن المنصور، وكأنه تدريب لصالح على مواجهة المواقف المختلفة أمام أبيه، وكأنه امتحان شديد نجــح فيـــه، وكان الممتحن ابن المنصور، والناقد شبيب بن شيبة، والمترقب لذلك كله المنصور، وكأنه يضع ابنه فى مقام التعلم المفيد. ثم كان الحكم من شبيب بن شيبة، ونطق بالحكم بطريق الشعر أمام المنصـــور، مستشـــهدا ببيتين من شعر زهير بن أبى سلمى، ارتاح لإنشادهما المنصور أيما راحة.

•••

وروى أنه دخل حماد عجرد الشاعر على أبى جعفر المنصور، بعد موت أخيه أبى العباس، فأنشده:

أتوك بعد أبى العباس إذ بانـــا ... يا أكرم الناس أعراقا وعيدانا

لو مج عود على قوم عصارته ... لمج عودك فينا الشهد والبانا[1]

فأمر المنصور لحماد بخمسة آلاف درهم.

وذلـــك يدل على أن المنصور يرى للشعر قيمته، حتى فى مثل هذا الموقف الذى يمثل وداع خليفة رحل، واستقبال خليفة ولى الأمر.

---

(١) العقد الفريد ١/٣٦٥

بـــان: فـــارق، يقصد مات، أعراقا: جمع عرق، وهو الأصل، عيدان: يقصد الفروع، جمع عود، مج: رمى، عصارته: ما يعصر منه، البان: شجر خشبه ذو رائحة طيبة.

وقـد مدح حماد عجرد الشاعر المنصور بصفات تعلى شأنه، وتدل عـلى قيمـته ومكانته أصلا، وفرعا، وطيب معدنه، وشرف عوده وكرم محتده، ورفعة أصله.

•••

روى أن الـربيع حـاجب المنصـور قـال يوما للمنصور الخليفة العباسـى: إن الشـعراء ببابك، وهم كثيرون، طالت أيامهم، ونفدت نفقاتهم.

فقـال المنصـور: اخـرج إليهم، فاقرأ عليهم السلام، وقل لهم: من مدحـنى مـنكم فلا يصفنى بالأسد، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا بالحيـة، فإنمـا هى دويبة منتنة تأكل التراب، ولا بالجبل، فإنما هو حجـر أصم، ولا بالبحر، فإنما هو عطامط، بضم العين، أى عظيم الأمواج، لجب.

ومن ليس فى شعره هذا فليدخل، ومن كان فى شعره فلينصرف.

فانصـرف الشـعراء كلهم إلا إبراهيم بن هرمة، فإنه قال له: أنا له ياربيع، فأدخلنى.

فأدخل الربيع ابن هرمة، فلما مثل بين يديه، قال المنصور: يا ربيع، قد علمت أنه لا يجيبك أحد غير ابن هرمة، هات يا ابن هرمة.

فأنشد ابن هرمة قصيدته التى يقول فيها:

له لحظات عن حفافى سريره    إذا كرها فيها عذاب ونائل

لهم طينة بيضاء من آل هاشم إذا اسود من كوم التراب القبائل

إذا ما أبى شيئا مضى كالذى أبى وإن قال إنى فاعل فهو فاعل[1]

فقال المنصور: حسبك، ها هنا بلغت، هذا عين الشعر قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم.

فقام ابن هرمة إليه، وقبل رأسه، وأطرافه، ثم خرج، فلما كاد أن يخفى على عينيه سمع المنصور يقول: يا إبراهيم.

فأقبل إليه فزعا، فقال: لبيك، فداك أبى وأمى.

قال المنصور: احتفظ بها، فليس لك عندنا غيرها.

فقال ابن هرمة: بأبى وأمى أنت، أحفظها، حتى أوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ.

فهذه الرواية توضح موقفا فنيا من المنصور، إذ إنه طلب من الشعراء مدحا فيه وصف معين حدده المنصور، وألغى أوصافا أخرى حددها أيضا.

أمر ثان هو أنه إدراكه أنه لن يجيبه فى هذا المطلب من الشعراء إلا ابن هرمة مما يدل على معرفة أقدار الشعراء، ومسالكهم،

---

(1) العقد الفريد ١/٣٧٠

حفافى: مثنى حفاف، يقصد ناحيتى سرير الملك، كرها: أرسلها، كوم: جمع كومة، لحظات: جمع لحظة: بمعنى النظرة السريعة.

وموهبـــتهم، ودروبهـــم، ومسالكهم الفنية، وذلك يدل على بصر تام بالشعر والشعراء فى عصره.

أمر ثالث أنه أثاب ابن هرمة على قصيدته، مما يدل على استحسانه القصـــيدة أولا، وعـــلى أنه أدرك أنها تساير الشروط التى وضعها المنصور.

***

روى أنه لما وجه المنصور عيسى بن موسى فى محاربة بنى عبدالله بـــن الحسن، أوصاه، ثم قال: فهذه وصيتى إياك، لا كما أوصى بها يزيد بن معاوية، مسلم بن أبى عقبة، حين وجهه إلى المدينة، وأمره أن يقتل من ظهر إلى ثنية الوداع، وأن يبيحها ثلاثة أيام، ففعل.

فـــلما بلغ يزيد بن معاوية ما فعله مسلم بن أبى عقبة تمثل يزيد بن معاوية يقول ابن الزبعرى فى يوم أحد، حيث قال:

ليت أشياخى ببدر شهدوا    جزع الخزرج من وقع الأسل[1]

ثـــم أوصاه ثانية، وقال: فهذه وصيتى، لا كما أوصى به الذى وجه الحجـــاج إلى مكة، فأمره أن يضع المجانيق على الكعبة، وأن يلحد فى الحرم بظلم، ففعل ذلك.

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٨٢
أشـــياخ: جمـــع شيخ، يقصد أشياخه من أهل مكة الذين قاتلوا الرسول صلى الله عليه وســـلم والأنصـــار والمهاجرين، بدر: موقع كانت عنده غزوة بدر الكبرى، الخزرج: قبيلة من الأنصار من سكان المدينة، الأسل: جمع أسلة، وهى الرمح.

فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن احد علينـــــا فنجهل فوق جهل الجاهلينـــا

لنا الدنيا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا[1]

هــنا يذكر المنصور موقفي يزيد بن معاوية مع مسلم بن أبى عقبة، والــذى وجه الحجاج بن يوسف السقفى مع الحجاج، ويذكر أن يزيد تمــثل بــبيت شعر لابن الزهرى فى غزوة أحد، وتمثل من أرسل الحجاج ببيت شعر لعمرو بن كلثوم.

وهذا يدل على أنه يحفظ الشعر العربى، حتى إنه ليتمثل بالشعر فى المواقف التى تعرض له.

كمــا يــدل على أنه يعرف الواقعة، وما قيل فيها من الشعر، وكأن رواية الواقعة ترتبط بالشعر الذى قيل فيها.

•••

روى أنـــه لما دخل أبو جعفر المنصور المدينة، قال للربيع: ابغنى رجلا عاقلا عالما بالمدينة، ليقفنى على دورها، فقد بعد عهدى بديار قومى.

---

(١) العقد الفريد ٢٨٢/٣، الروائع من الأدب العربى ٢٦٩/١
البيتان من معلقة عمرو بن كلثوم، والبيت الثانى أسبق من البيت الأول فى المعلقة.

فالتمس له الربيع فتى من أعقل الناس، وأعلمهم، فكان لا يبتدئ بأخبار، حتى يسأله المنصور، فيجيبه بأحسن عبارة، وأجود بيان، وأوفى معنى.

فأعجب المنصور به، وأمر له بمال، فتأخر عنه، ودعته الضرورة إلى استنجازه، فاجتاز ببيت عاتكة، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة، الذى يقول فيه الأحوص:

يا بيت عاتكة التى أتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل

أصبحت أمنحك الصدور وإننى ... قسما إليك مع الصدود لأميل(١)

ففكر المنصور فى قوله، وقال: لم يخالف عادته بابتداء الأخبار، دون الاستخبار، إلا لأمر.

وأقبل يردد القصيدة وينصفها بيتا بيتا، حتى انتهى إلى قوله فيها:

إن امرأ قد نال منك وسيلة ... يرجو منافع غيرها لمضلل

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق اللسان يقول ما لا يفعل(٢)

---

(١) زهر الداب وثمر اللباب ٢٤٧/١، شعر الأحوص الأنصارى ص ١٦٦، الأغانى ٩٥/٢١

بيت عاتكة: يضرب مثلا للموضع الذى تعرض عنه بوجهك، وتميل إليه بقلبك، ويروى أن عبدالله بن المقفع مر ببيت نار للمجوسن فتمثل بهذا البيت، والذى بعده، أتعزل: أتنحى، وأتجنب، وأكون بمعزل عنه، العدا: جمع عدو، أمنحك: أعطيك، والقصيدة للأحوص فى مدح عمر بن عبدالعزيز.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ٢٤٧/١، شعر الأحوص الأنصارى ص ١٧١

مذق: أصله من مذق اللبن بالماء، إذا خلطه، ومعناها يمزج الجد بالهزل، مضلل: بصيغة اسم المفعول، مذق: بضم الميم، وكسر الذال، ومذق اللسان: مخلوطه، غير خالصه.

فقال المنصور: يا ربيع، هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا به؟

فقال الربيع: أخرته عنه لعلة، ثم ذكرها الربيع.

فقال المنصور: عجله له مضاعفا.

وهذا ألطف تعريض من الرجل، وحسن فهم من المنصور.

•••

وروى صاحب ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، فقال:

لمـــا توفيـــت أمرأة أبى بكر الهذلى، جزع عليها جزعا شديدا، وبلغ ذلـــك المنصور، فأمر الربيع بأن يأتيه، ويعزيه ويوجه إليه بجارية نفيسة، لها أدب وظرف، تسليه عن زوجه، وتقوم بأمور داره، وأمر له معها بفراش، وكسوة، وصلة.

فلم يزل الهذلى يتوقعها، ونسيها المنصور.

ثم إن المنصور رجح، ومعه الهذلى، فقال له المنصور، وهو بالمدينة: إنى أحب أن أطوف الليلة فى المدينة، فأطلب لى رجلا يعرف منازلها، ومســـاكنها، وربوعهـــا، وطرقها وأخبارها، وأحوالها، وليكون معى فيعرفنى جميعها.

فقال الهزلى: أنا لها يا أمير المؤمنين.

فـــلما أرخى الـــليل سدوله، خرج المنصور على حمار، يطوف مع الهـــزلى فى سكك المدينة، وهو يسأل عن كل ربع، وسكة وموضع

فيخبره. ثم قال الهزلى: وهذا يا أمير المؤمنين بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص:

يا بيت عاتكة الذى أتعزل　　　حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فأنكـــر المنصور ابتداءه بذكر بيت عاتكة، من غير أن يسأله عنه، فلما رجع إلى منزله، أمر القصيدة كلها على قلبه، فإذا فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم　　　مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فعـــلم المنصور أنه لم يصل إلى الهزلى ما وعده اياه من الجارية، والكسوة، والفراش، فحمل إليه واعتذر له(١).

وذلـــك يـــدل على ذكاء الفتى حيث كان يتوقع معرفة المنصور هذا الشعر.

كمـــا يـــدل عـــلى أن المنصـــور يحفظ الكثير من الشعر القديم من العصور التى سبقت العصر العباسى.

ويدل أيضا على ذكاء أبى جعفر المنصور الذى أدرك ببيت شعرى واحد مبتغى الفتى، حين أمر على القصيدة كلها، فوجد ضالة الفتى، وهو البيت الذى يعبر عما يريد.

إلى هذا الحد كانت معرفة المنصور بالشعر العربى.

***

---

(١) ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ص ٣١٧-٣١٨

وروى صــاحب الأغانى: أن رجلا من أهل المدينة من الأنصار قد انقطـــع إلى الــربيع زمانا، فقال له الربيع، تهيأ، فإنى أظن جدك قد تحرك، إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أسايره برجل يعرف المدينة، وأهــلها، وطرقها، وحيطانها، ودورها، فتحسس موافقته، ولا تبتدئه بشـــئ حـــتى يســألك، ولا تكتمه شيئا، ولا تسأله حاجة، فغدا عليه بالرجل، فسار الرجل مع المنصور يخبره عما سأل، حتى خرج من أبيات المدينة.

فأقــبل عليه المنصور وسأله عن نفسه، وأهله، وولده، ومنزله، فلما عرف المنصور أنه لم يتزوج، وليس له خادم، ولا منزل، أمر له بأربعة آلاف درهم.

فــلما أراد الانصراف قال الرجل للربيع: يا أبا الفضل، قد أمر لى أمير المؤمنين بصلة، إن رأيت أن تنجزها لى.

قال الربيع: هيهات.

قال الرجل: فأصنع ماذا؟

قـــال الــربيع: لا أدرى والله. أو قال: ما أمر لك شئ، ولو أمر لك لدعانى، وقال أعطه أو وقع إلى.

فقال الفتى: هذا هم لم يكن فى الحساب.

وقــال الربيع للفتى: إنه خارج بعد غد، فاحتل لنفسك، فإنه والله إن فاتك فإنه آخر العهد به.

فسار معه وأقبل عليه، فقال: يا أمير المومنين، هذا بيت عاتكة.

قال المنصور: وما بيت عاتكة.

قال الفتى: الذى يقول فيه الأحوص.

يا بيت عاتكة التى أتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل

قال المنصور: فمه.

قال الفتى: إنه يقول فيها:

إن امرأ قد نال منك وسيلـــة ... يرجو منافع غيرها لمضـــلل

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق الحديث يقول ما لا يفعل(١)

فقال له المنصور: لقد رأيتك أذكرت بنفسك، وأمر أن يعطوه أربعة آلاف درهـــم، فأعطيهـــا. ويروى أن المنصور ضحك، وقال: قاتلك الله، ما أظرفك، يا ربيع، أعطه ألف درهم.

فقال الفتى: يا أمير المؤمنين، إنها كانت أربعة آلاف درهم.

فقال المنصور: ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل.

•••

روى أن الطـــريح الثقفى كان ناسكا شاعرا، فلما قال فى أبى جعفر المنصور قوله:

أنت ابن مستبطح البطاح ولم ... تعطف عليه الحنى والولـــــج

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ... ج عليه كالسيل يعتلــــــــج

(١) الأغانى ٢١/١٠٦-١٠٧

لهم أو كاد أو لكان لـــــــه      فى سائر الأرض عنك منعرج(1)

قيل: فكيف ذلك، وهو يقول للسيل: دع طريقك.

روى أن الذى قال ذلك أبو جعفر المنصور، فبلغ ذلك الطريح الثقفى فقال: الله يعلم أنى إنما أردت: يارب لو قلت للسيل: دع طريقك.

فقــد روى أن أبــا جعفر المنصور هو الذى نقد هذا الشعر، قائلا: فكيــف ذلــك المعنى، وهو يقول للسيل: دع طريقك، فكان الرد من الشــاعر أنه ما أراد ذلك، وأن هذه الأبيات يخاطب بها ربه سبحانه وتعالى.

وعــلى أية حال فهذه وجهة نظر نقدية جميلة تكشف عن قدرة نقدية تستطيع فهم المعانى، ونقد ما يمكن نقده منها.

وهذا نقد يعتمد على المعنى، وفهمه.

***

روى أن المنصـــور الخليفة العباسى قال لمعن بن زائدة: ما أظن ما قيل عنك من ظلمك أهل اليمن، واعتسافك عليهم إلا حقا.

قال معن: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

---

(1) العقد الفريد ٣/٤٠٢

الــبطاح: جمع الأبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى، واستبطح: جعله بطاحا، الحــنى: المحنى، وهو ما انحنى من السيل، أو البطاح، وهو جمع الحنو، وهو متعرج الــوادى، الولج: الدخول، يمتلج: يشتد، لهم: أى هم بالتنفيذ، منعرج: منعطف الوادى يمنة ويسرة.

قال المنصور: بلغني عنك أنك أعطيت شاعرا لبيت قاله ألف دينار، فأنشده البيت، وهو:

معن زائدة الذي زيدت به هذا بيت شعر فخرا إلى فخر بنو شيبان.

قــال معــن: نعم يا أمير المؤمنين، قد أعطيته ألف دينار، لكن على قوله:

مازلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان[1]

فاســتحيا المنصور، وجعل ينكث بالمخصرة، ثم رفع راسه، وقال: اجلس أبا الوليد، أحسنت يا معن.

فقــد عــاتب المنصور معن زائدة أولا على أنه أعطى شاعرا لبيت شــعر قاله في مدحه ألف دينار، مستكثرا هذه المكافأة السخية على هذا البيت الواحد، فلما أوضح له معن بن زائدة أنه منح الشاعر ألف ديــنار حقــا، لكــن ليس على هذا البيت، ولكن على بيتين آخرين، يجعلان الممدوح خادما أمينا مخلصا في دولة بني العباس، وحكمهم، فلما عرف المنصور ذلك، استحسن مكافأة معن بن زائدة الشاعر.

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٤٢/١، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٩١

مــنعت: حميــت، حوزة: حمى، وما يحوزه المرء، وقاء: وقاية، وقع: ضرب، مهند: ســيف، سنان: سنان الرمح، ويروى: زادت به شرفا إلى شرف، والشاعر مروان بن أبي حفصة، وروى: مائة ألف درهم.

فى هذين الموقفين دليل على فهم المنصور الشعر، فقد أنف أن يمدح أحد من يقومون بالعمل فى ولاياته بهذا المدح المبالغ فيه، وينال هذه المكافأة المبالغ فيها، فلما عرف أن الشعر فى مدح الممدوح لأنه فى خدمـــة دولة بنى العباس صارت المكافأة فى حجم المدح، وذلك يدل على تقدير المنصور الشعر تقديرا دقيقا.

•••

روى أنه لما مات جعفر بن أبى جعفر المنصور، اشتد عليه حزنه، فلما فرغ من دفنه ألتفت إلى الربيع.

قال المنصور: يا ربيع، كيف قال مطيع بن اياس فى يحيى بن زياد؟

فأنشده الربيع:

| | |
|---|---|
| يا أهل بكر لقلبى القـــــــرح | وللدموع الذوارف الســفح |
| زجوا بيحيى ولو تطاوعنى الــ | أقدار لم تبتكر ولم تــرح |
| يا خير من يحسن البكاء به الــ | يوم ومن كان أمس للمدح |
| قد ظفر الحزن بالسر وروقــد | ألم مكروهه من الفــرح[1] |

(١) العقد الفريد ٢/١٧٤

القــرح: بفتح القاف وسكون الراء، الجراح، وبضم القاف ألم الجراح. الذوارف: جمع ذارفة، وهى السائلة الدموع، زجوا: دفعوا، لم تبتكر: لا تعمل فى البكور، لم ترح: لا تعمل فى الرواح، وهما الوقتان أول النهار، وآخره، من يحسن البكاء به اليوم، لموته، ومــن كــان امس للمدح. أى كان ممدحا فى حياته، ظفر الحزن بالسرور: غلبه، ألم: نزل، من الفرح: أى بدلا من الفرح.

والأبيـــات صادفت موقعها، والموقف الذى قيلت فيه أيما مصادفة، وذلك يدل على أن المنصور ذا بصر بالشعر، وفهم له، ومعرفة تامة بكـــنوزه، وأنـــه يحفـــظ شعرا كثيرا فى مواقف مختلفة، وأغراض متباينة، حتى أنه يستطيع أن يتمثل بالشعر وقت ما يريد.

والعجـــب هو حسن انطباق القول على الموقف، ذلك لا يستطيعه إلا من كان على شاكلة المنصور فى حفظ الشعر، وفهمه.

فقد عبر المنصور عن حزن القلب، وسفح الدموع، وموت ابنه الذى كـــان بالأمس ممدحا، واليوم صار يبكى عليه، وكأن هذا الشعر قد أنشده الشاعر خصيصا له فى مثل هذا الموقف الذى ألم به.

•••

روى أن أبـــا جعفر المنصور حين فجع بموت ابنه جعفر طلب من ينشده من أهل بيته قصيدة أبى ذؤيب الهذلى فى رثاء بنيه:

أمن المنون وريبها تتوجع      والدهر ليس بمعقب من يجزع[1]

فـــلما لـــم يجد فيهم من يحفظها أسف على جهلهم بها أسفا أشد من حزنه لفقد ابنه.

---

(١) الأغانى ٦/٢٧٢-٢٧٤
المنون: المنايا، بمعقب، ويروى بمعتب:
يجزع: من الجزع، وهو عدم الصبر أو الهلع والفزع والحزن.

ولما جئ بشيخ مؤدب لينشده اياها استعاد إنشاده المطلع مرات، حتى إذا بلغ الشيخ فى إنشاده قول أبى ذؤيب:

والدهر لا يبقى على حدثانه

استعاده المنصور مرات، وهو يقول: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول. فهـــو يريد أن يسلو عن موت ابنه، فلم يجد سلوى أفضل من إنشاد الشـــعر، وقد عرف ببصيرته فى الشعر واحدة من عيون الرثاء فى الشـــعر القديم، وهى قصيدة أبى ذؤيب الهذلى فى رثاء بنيه، فطلب من أهل بيته من ينشده اياها، فلما لم يجد من أهل بيته من يحفظ هذه القصيدة أسف لذلك أسفا أشد من حزنه لفقد ابنه.

ولمـــا جئ بشـــيخ مـــؤدب، فأنشده القصيدة استعاد المطلع مرات، وعرف سلو أبى ذؤيب، وموضعه من القصيدة.

وذلـــك يدل على فهمه العميق والدقيق للشعر القديم، ومعرفته عيون الشعر العربى فى الأغراض المختلفة، ويعرف قدر الشعر وقيمته فى مواقف عديدة.

***

لمـــا عـــزم أبـــو جعفـــر المنصـــور الخليفة على الفتك بأبى مسلم الخراســـانى فـــزع من ذلك عيسى بن موسى، فكتب إلى أبى جعفر المنصور:

إذا كنت ذا رأى فكن ذا تدبـــر فإن فساد الرأى أن تتعجلا

فأجابه أبو جعفر المنصور:

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة　　　فإن فســاد الرأى أن تترددا
ولا تمهل الأعداء يومــا بغدوة　　　وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا[1]

والعجب أن يكتب عيسى بن موسى إلى المنصور شعرا، فيرد عليه المنصــور بالفن نفسه، وهو الشعر، وكل منهما قد عبر عما يريد، وكأنه قد أنشأ هذا الشعر إنشاء، على رغم أن هذا الشعر قد تمثل به كــل منهما. وربما كان هذا الشعر إنشادا على البديهة، وذلك يعلى منزلة المنصور فى الشعر، فهمه، وحفظه، وإنشاده.

والعجب أيضا أن البيت الذى أنشده عيسى بن موسى ابتداء قد أنشد المنصــور على وزنه وقافيته شعرا ينقض فيه رأيه، ويستدل على صــدق رأيــه، وفكرته، وذلك كله على البديهة إنشاء، وإنشادا، أو حفظا وإنشادا.

***

روى أن أبا جعفر المنصور أنشد فى رثاء عمرو بن عبيد، فقال:

صلى الإله عليك من متوســد　　　قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مؤمنا متخشعــــا　　　صدق الإله ودان بالقــرآن

---

(1) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٥٨-٢٥٩
تدبــر: الحكمـــة والــتعقل، تتعجل: تتسرع، غدوة: الوقت أول النهار، بادرهم: أسرع إليهم.

وإذا الرجال تنازعوا فى سنة    فصل الحديث بحكمة وبيان
فلو أن هذا الدهر أبقى صالحا    أبقى لنا حيا أبا عثمـــان[1]

وقال أبو جعفر المنصور أيضا فى عمرو بن عبيد:

كلكم يطلب صيد

كلكم يمشى رويد

غير عمرو بن عبيد .

وهنا كان المنصور هو الشاعر الذى يرثى وينشد الشعر فى موقف حـــزين مثل هذا الموقف، مما يدل على أن قول الشاعر لم يكن من الشـــعراء موجها إلى الخلفاء، والأمراء، وعلية القوم، وإنما قد ينشد الشعر الخلفاء أنفسهم، فليس فى ذلك عيب.

إن المنصور قد رثى عمرو بن عبيد رثاء يعلى فيه من صفاته التى تســتحق الإشادة بها من مثل الإيمان، والخشوع، تصديق الله تعالى فى دينه، التدين بالقرآن الكريم، فهم السنة الشريفة، الصلاح.

وذلك يدل على معرفته بمواطن الإشادة فى الرثاء، لمعرفته بالشعر، وبصره به.

***

(1) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥٤٢
متوســد: مــتخذ وسادة، مران: بفتح الميم، وتشديد الراء، بلدة بين مكة والبصرة، أبا عثمان: هو عمرو بن عبيد، وكان زعيم المعتزلة، رويد: على مهل.

روى أن الخليفة أبا جعفر المنصور جلس في قصره بباب الذهب، ونظر إلى التجار، وطبقات السوقة.

فتمثل بهذين البيتين:

كما قال الحمار لسهم رام ... لقد جمعت من شتى لأمر

جمعت حديدة وجمعت نصلا ... ومن عقب البعير وريش نسر[1]

وهذا أيضا تمثل بشعر يعبر عن الموقف الذى يعيشه، فكما أن التجار، والسوقة شتيت جمع فى هذا المكان فإن السهم أيضا قد جمعت أصوله من أمور كثيرة، الحديدة، والنصل، وعقب البعير، وريش النسر.

ومن عجب أن يأتى المنصور ببيتين من الشعر من محفوظه الأدبى القديم ليعبر بهما عن الموقف الذى يراه، وكان التعبير مطابقا أيما مطابقة، إنها لمحة الناقد الحصيف، أو الراوية الذكى، أو عالم الشعر المتقن.

•••

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ١١٢، ٢٢٠
الحمار: حمار الوحش، لأنه الذى يصطاد، شتى: متفرق، لأمر: أى شديد، حديدة: هى حديدة السهم، النصل: حد السهم، والسيف، والسكين، والرمح، والريش يساعد السهم على القصد للرمية، ولذلك يقولون: سهم مريش، أى فيه الريش، عقب: مؤخر.

**روى أن أبـــا جعفر المنصور العباسى كتب إلى عبدالله بن الحسن، حيـــن عـــلم المنصور أن عبدالله، وابنيه محمد وإبراهيم قد أرسلوا الكتب إلى خراسان، للدعوة لهم.**

فكتب المنصور إلى عبدالله وبنيه:

أريد حياته ويريد قتلى ... **عذيرك من خليلك من مراد**

**فكتب إليه عبدالله بن الحسن:**

وكيف أريد ذاك وأنت منى ... **وزندك حين تقدح من زنادى**

وكيف أريد ذاك وأنت منى ... بمنزله النياط من الفـــؤاد[1]

فقــد أرســل عبدالله بن الحسن، وابناه محمد بن عبدالله بن الحسن، وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن الكتب إلى خراسان، للدعوة للعلويين، ممـــا يـــناقض الدعـــوة العباســية، أى أنها دعوة إلى الثورة على العباسيين، ليتولى العلويون الحكم.

فى هذا الموقف تمثل المنصور ببيت يقول:

إننى أريد لكم الحياة، وأنتم تريدون قتلى

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٧٦

عذيـــرك: بفـــتح العيـــن: عاذرك، ويقال: من عذيرى: أى من يعذرنى فى هذا الأمر، الـــزند: العود الأعلى الذى تقدح به النار، بفتح الزاى، وسكون النون، والزناد: بكسر الزاى، النياط للقلبَ: ما علق به إلى الرئتين، الفؤاد: القلب.

فــرد عليه عبدالله بن الحسن مبينا أنهما معا أهل بيت واحد، وأسرة واحــدة، ومــا بينهما أقوى من أية رابطة، فالعلويون أبناء عمومة للعباسيين، فرضى المنصور بهذا الرد.
والشــاهد أن الرسالتين اتخذتا الشعر وسيلة معبرة عن هذا الموقف السياسى.

•••

روى أن عبدالله بن على بن عبدالله بن العباس حين خالف على أبى جعفر المنصور، ودعا إلى نفسه، زاعما أن أبا العباس السفاح جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان بن محمد.
فــلما بــلغ المنصـــور الخليفة العباسى ذلك من فعل عبدالله فى دير الأعور، كتب المنصور إليه:

سأجعل نفسى منك حيث جعلتها    وللدهر أيام لهن عواقب[1]

ثم بعث إليه بأبى مسلم الخراسانى فهزمه.
والشــاهد هــنا أن الخليفة المنصور أرسل إلى عمه، حين زعم أن الخلافــة مــن حقه، ودعا إلى نفسه، فى هذا الموقف العصيب لجأ المنصـــور إلى الشعر، فكتب إلى عمه يبين له أنه سيجعل نفسه من

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٥٥
عواقب: جمع عاقبة، نفسى حيث جعلتها: أى تعاديك نفسى كما عاديتها، أيام: أحوال، وتقلبات.

عمـــه حيث جعل عمه نفسه منه، أى سيكون خصما له، وحذره من عاقــبة عمله، وذكر حكمة طيبة تدل على عميق التجربة، يقول له فيها: وللدهر أيام لهن عواقب.

فهو تحذير، وتنبيه، وتهديد، بلهجة متأنية حكيمة، بأسلوب راق، فى بيـــت واحد من الشعر، جاء على لسان خليفة عباسى، هو أبو جعفر المنصور الخليفة الثانى فى دولة بنى العباس.

***

روى الـــربيع قال: خرجنا مع المنصور منصرفنا من الحج، ثم راح المنصور، ورحنا معه فى يوم شديد الحر، وقد قابلته الشمس، وعليه جبة وشى.

فالـــتفت المنصور إلينا، وقال: إنى أقول بيتا من الشعر، فمن أجازه منكم، فله جبتى هذه.

قالوا: يقول أمير المؤمنين.

فقال المنصور:

وهاجرة نصبت لهــــا جبينى     يقطع حرها ظهر العصابه

فبدر بشار فقال:

وقفت بها القلوص ففاض دمعى     على خدى وأسعدنى عصابه[1]

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٤، الأغانى ٣/١٧٨-١٧٩

فخرج المنصور لبشار عن الجبة.

فلقيه الربيع بعد ذلك، فسأله عما فعل بالجبة، فقال بشار: بعتها بأربعة آلاف درهم، وقيل بأربعمائة دينار.

وهنا ينشد المنصور شعرا، ويطلب من رفاقه فى الرحلة أن يجيزوا البيت ببيت مثله على وزنه وقافيته، فأجازه بشار بن برد، وذلك يدل على أمور:

- أن المنصور كان يستصحب الشعراء فى سفره، ليتنا شدوا الشعر.
- أن المنصور كان يعد الشعر خير تسلية له، ولرفاقه.
- أن المنصور كان يغرى الشعراء بقول الشعر، فقد فتح لهم باب القول بهذا الإغراء.
- أن الرواية تذكر أنه أجاز بشار بن برد ببردته التى قدرت بأربعة آلاف درهم.

***

خطب الخليفة أبو جعفر المنصور حين خرج إلى الشام، فبدأ خطبته بقوله:

---

وهاجرة، اى ورب هاجرة، والهاجرة: الوقت عند منتصف النهار، حيث يشتد الحر، فيهجر الناس العمل إلى الظل، أو البيت، نصب: أتعب، الجبين: الجبهة، العصابة: الجماعة من الناس والخيل والطير، والعصابة أيضا: غطاء الرأس، القلوص: هى الناقة الشابة، ويروى: ظهر العظاية، وأقصروا عظايه.

شنشنة أعرفها من أخزم        من يلق أبطال الرجال يكلم[1]

وهو ابتداء يدل على اهتمامه بالشعر أولا، وإدراكه قيمة الشعر في التعـبير في المواقـف المختلفة، وأنه لا يجد غضاضة في البدء في خطبه بالشعر. كما أن هذا البيت يحمل في طياته مثلا عربيا قديما له دلالة طيبة على الموقف المقصود.

كما يدل على أن المنصور لا يتورع أن يتمثل بالشعر في أي موقف يعرض له.

***

روى أن أبا جعفر المنصور قال: خرجت أريد الشام، أيام مروان بن محمـد، وهـو آخـر خلفاء بني أمية، فصحبني في الطريق رجل ضـرير، هـو أبـو العـباس الأعمى الشاعر، فسألته عن مقصده، فأخـبرني أنه يريد مروان بن محمد، الخليفة الأموي، بشعر امتدحه به، فاستنشدته إياه، فأنشدني قوله في مروان:

ليت شعري أفاح رائحة المسـ        ك وما إن أخال بالخريف إنسي
حين غابت بنو أمية عنـــه        والبهاليل من بني عبد شمـس
خطباء على المنابر فرســا        ن عليها وقالة غير خـرس
لا يعابون صامتين وإن قــا        لوا أصابوا ولم يقولوا بلبـس

(١) العقد الفريد ٣٨٣/٢
شنشنة: الخلق والطبيعة والعادة الغالبة، وهو مثل يضرب في قرب الشبه في الخلق.

بحلوم إذا الحلوم تقضـــــت ووجوه مثل الدنانير ملـــس[١]

قـــال أبـــو جعفـــر المنصور: فوالله ما فرغ أبو العباس الأعمى من إنشاده، حتى توهمت أن العمى قد أدركني، وافترقنا.

قال المنصور: فلما أفضت الخلافة إلى خرجت حاجا، فنزلت أمشى بجبل زرود، فبصرت بأبى العباس الضرير، ففرقت من كان معى، ودنوت منه، فقلت له: أتعرفنى؟

قال أبو العباس: لا.

فقـــلت: أنا رفيقك، وأنت تريد الشام، أيام مروان بن محمد، فقال أبو العباس:

| | |
|---|---|
| أمت نساء بنى أمية منهـــم | وبناتهم بمضيعة أيتـــــام |
| نامت جدودهم وأسقط جدهم | والنجم يسقط والجدود تنام |
| خلت المنابر والأسرة منهم | فعليهم حتى الممات سلام[٢] |

(١) الأغانى ١٦/٢٩٩-٣٠٠

فـــاح: تضوع، أخال: أظن، الخيف: مكان، البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الشريف، عبد شمس: جد الأمويين، خطباء: جمع خطيب، المنابر: جمع منبر، إنسى: بشر، قالة: جمـــع قـــائل، خرس: جمع أخرس، لبس: شك، حلوم: جمع حلم، وهو العقل، وجوه: جمع وجه، ملس: جمع أملس، الدنانير: جمع دينار.

(٢) الأغانى ١٦/٢٩٩-٣٠٠

أمـــت: صارت، مضيعة: مكان الضياع، أيتام: جمع يتيمة، وهى من البشر من فقدت الأب، الجـــدود: جمع جد، وهو الحظ والبخت والنصيب، النجم: المقصود نجم الحظ، المنابر: جمع المنبر، والأسرة: جمع سرير.

فقـــال أبو جعفر المنصور: وكم كان مروان بن محمد أعطاك، بأبى أنت؟

قال أبو العباس: أغنانى أن اسأل أحدا بعده.

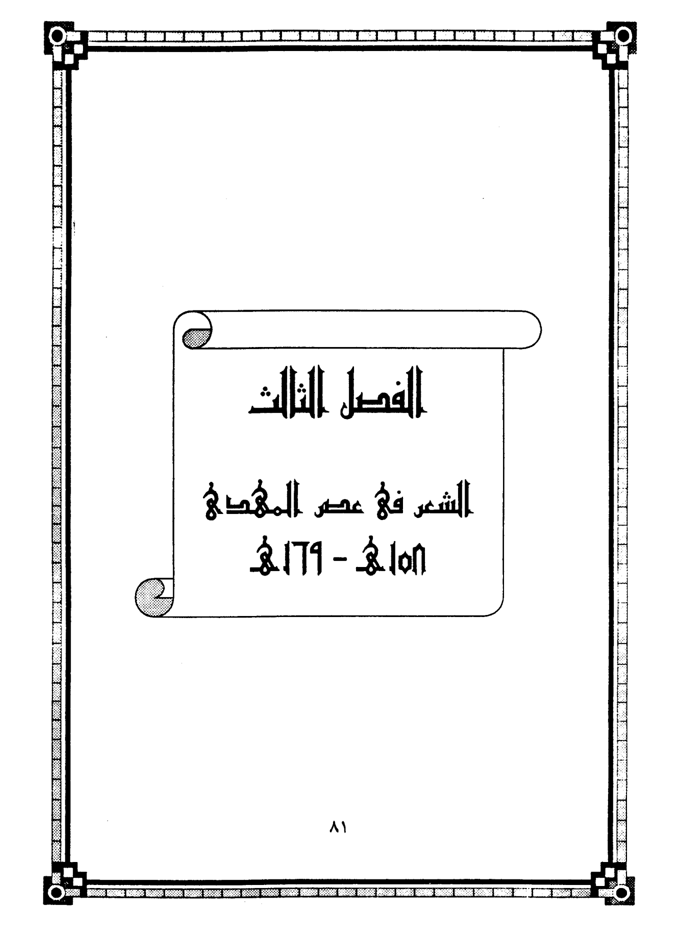
والأبيـــات الأولى تحســـر عـــلى ماض لبنى أمية، ومدح لهم، بأنهم خطباء على المنابر، فرسان فصاحة، وقالة بيان، يعرفون فى بلاغة قولهـــم الصمت فى موضعه، والإصابة عند القول، والوضوح بغير لبس، ولهم عقول ناضجة، ووجوه مشرقة.

وقـــد كـــان هذا الشعر قويا مؤثرا فى أبى جعفر المنصور حتى إنه قال: فوالله ما فرغ أبو العباس الضرير من إنشاده، حتى توهمت أن العمى قد أدركنى.

أمـــا الشـــعر الثانى الذى أنشده أبو العباس أبا جعفر المنصور، فقد أنشـــده فى العصر العباسى، وهو يعلم أن عصر الأمويين قد ولى، كما أن المنصور حين رآه فى الحج كشف له عن نفسه أنشده شعرا، يبين فيه أن نساء بنى أمية صاروا أيتاما بمضيعة لقتل رجالهم، وأن حظوظهم قد نامت، وقد خلت منابرهم وأسرتهم منهم، فعليهم السلام حتى الممات.

وقـــد تأثر أبو جعفر المنصور بهذا الشعر، فسأل أبا العباس الشاعر عن عطاء مروان له، فقال أبو العباس: أغنانى أن اسأل أحدا بعده.

والعجيـــب أن أبا جعفر المنصور تركه، ولم يرد عليه، ولم يعاقبه، واحترم مذهبه السياسى، برغم شعره هذا فى بنى أمية، لكنه احترام الفـــن الشـــعرى، وصاحبه، وليس ذلك بغريب على مثل أبى جعفر المنصور.



# الفصل الثالث

## الشعر في عصر المهدي

## ١٥٨هـ - ١٦٩هـ

المهدى، ١٥٨ هـ-١٦٩هـ ثالث الخلفاء العباسيين، وهو أبو عبدالله محمد المهدى بن عبدالله المنصور، وهو ابن الخليفة أبى جعفر المنصور، بويع صبيحة اليوم الذى توفى فيه أبوه المنصور، لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة من الهجرة، وتوفى فى المحرم سنة تسع وستين ومائة من الهجرة، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة وأربعين يوما، تزوج ريطة بنت أبى العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين، وهو والد موسى الهادى، وهارون الرشيد، أنجبهما من الخيزران التى أعتقها، وتزوجها، ومن وزرائه يعقوب بن داود السلمى(١).

•••

روى أن إبراهيم بن هرمة الشاعر كان مغرما بالشراب، وحده ولاة المدينة، فلما ضاق بهم دخل على الخليفة المهدى بشعره الذى يقول فيه:

| | |
|---|---|
| له لحظات فى خفاء سريرة | إذا كرها منها عقاب ونائل |
| لهم طينة بيضاء من آل هاشم | إذا اسود من لؤم التراب القبائل |
| إذا ما أتى شيئا مضى كالذى أتى | وإن قال إنى فاعل فهو فاعل(٢) |

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٠-٣٠١

(٢) العقد الفريد ٤/٣٤٣

لحظات: جمع لحظة، وهى النظرة بالعين، سريرة: السر الذى يكتم، كر: هجم، طينة: أصل، أو خلق.

فأعجب المهدى بشعره، وقال: سل حاجتك.

قال ابن هرمة: تأمر لى بكتاب إلى عامل المدينة أن لا يحدنى على شراب.

فقـــال المهدى لوزرائه: إن عندى له حيلة، اكتبوا إلى عامل المدينة: مـــن أتـــاك بابن هرمة سكرانا فاضرب ابن هرمة ثمانين، واضرب الذى يأتيك به مائة، فكان ابن هرمة إذا مشى فى أزقة المدينة يقول: من يشترى مائة بثمانين؟

هـــذه رواية ثابتة حقيقية، وأكاد أزعم أنها من أغرب ما روى عن ـــليفة المهدى، ومع ذلك تثبت المصادر هذه الرواية التى تؤكد أن ـــدى الخـــليفة العباسى قد احتال حتى يبيح الشراب لإبراهيم بن ، مع أنه حد من حدود الله تعالى.

د الرواية أن المهدى قال لابن هرمة الشاعر: ويلك، إنه حد الله تعالى.

فقـ رمة: فاحتل لى، يا أمير المؤمنين.

فـــلم على جلسائه رفضوا ذلك، ففكر المهدى، وقال: عندى له حيلة، ربهذه الحيلة.

وهـــذه رة عجيبة من الخليفة المهدى احتال فيها حيلة من أجل شاعر يهوى راب، فهل بلغت قيمة الشعر، ومكانة الشعراء درجة تصل إلى هذا؟

إنـــنا نعلى من قيمة الشعر كفن راق جميل، لكننا نحرص فى الوقت ذاتـــه عـــلى حـــدود الله تعالى، خاصة فى العصر العباسى الذى قام خلفاؤه على أساس من القربى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نتصـــور أن يعطـــل حـــد مـــن حدود الله تعالى من أجل الشعر، أو الشاعر، فتلك منزلة ما كان يجب أن يبلغها الشعر. ولا الشعراء فى بـــلاط العباســـيين على يد الخليفة المهدى من أجل رغبة إبراهيم بن هرمة الشاعر، مهما كان شعره، ومهما كان إنتماؤه للعباسيين، ومهما كان مدحه للخليفة المهدى، الذى مدحه بالشدة والحزم، وكرم الأصل، ومضـــاء العزيمة، وصدق الفعل، وهى كلها ممادح لم تزد عما كان الشعراء يمدحون الخلفاء به.

•••

وروى أن أبا دلامة دخل على المهدى الخليفة العباسى، فأنشده أبياتا أعجب بها.

فقال الخليفة المهدى: سلنى أبا دلامة، واحتكم، وأفرط ما شئت.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، كلب أصطاد به.

قـــال الخليفة المهدى: قد أمرنا لك بكلب. وها هنا بلغت همتك، وإلى ها هنا انتهت أمنيتك.

قال أبو دلامة: لا تعجل على يا أمير المؤمنين، فإنه بقى على.

قال الخليفة المهدى: وما بقى عليك؟

قال أبو دلامة: غلام يقود الكلب.

قال الخليفة المهدى: وغلام يقود الكلب.

قال أبو دلامة: وخادم يطبخ لنا الصيد.

قال الخليفة المهدى: وخادم يطبخ الصيد.

قال أبو دلامة: ودار نسكنها.

قال الخليفة المهدى: ودار تسكنها.

قال أبو دلامة: وجارية نأوى إليها.

قال الخليفة المهدى: وجارية تأوى إليها.

قال أبو دلامة: قد بقى الآن المعاش.

قـــال الخليفة المهدى: قد أقطعناك ألفى جريب عامرة، وألفى جريب غامرة.

قال أبو دلامة: وما الغامرة يا أمير المؤمنين؟

قال الخليفة المهدى: التى لا تعمر.

قـــال أبـــو دلامة: أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيافى بنى أسد.

قال الخليفة المهدى: قد جعلتها كلها لك عامرة.

قال أبو دلامة: فيأذن لى أمير المؤمنين فى تقبيل يده؟

قال الخليفة المهدى: أما هذه فدعها.

قال أبو دلامة: ما منعتنى شيئا أيسر على أم ولدى فقدا منه[1].

وروى فى الأغـــانى أن هـــذه القصة كانت بين أبى دلامة والخليفة المنصور العباسى.

وقيل: كانت بين أبى دلامة، والخليفة السفاح.

وروى أن أبـــا دلامـــة قال للمهدى: والله، ما منعت عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها.

وقيل: كان أبو دلامة واقفا بين يدى السفاح الخليفة العباسى، فقال له السفاح: سلنى حاجتك.

وكان مما طلب أبو دلامة: ودابة أتصيد عليها.

قال السفاح: أعطوه دابة.

قـــال الجـــاحظ: فانظر إلى حذقه بالمسألة، ولطفه فيها، ابتدأ بكلب، فسهل القصة به، وجعل يأتى بما يليه، على ترتيب، وفكاهة، حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل إليه[2].

ونحـــن نقـــول رأيا آخر هو إن الشاعر تهيأ له من ملاطفة الخليفة، ومجالســـته، حـــتى يصـــل إلى هذه المرتبة من الدعابة، والفكاهة،

---

(١) العقد الفريد ١/٣٠٥-٣٠٦

الجـــريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل: عشرة آلاف ذراع، لا تعمر: لا نبات فيها.

(٢) مهذب الأغانى ٩/١٩-٢٠

والتملح فى مجلس الخليفة، مع الخليفة نفسه بشعره، وموهبته الشعرية.

فإذا كان الخليفة يمنحه كل ما يطلب، وأكثر مما يطلب، فإن الشاعر ليمنح الخليفة من فنه، وموهبته، وشعره ما يبقى على الدهر، ولقد ذهب ما أعطاه الخليفة الشاعر، من المال، وبقى ما أعطاه الشاعر الخليفة من الشعر، يردد على مر الأيام، ويؤثر عن الشاعر، ويؤثر للخليفة أبد الدهر، وتقرأه الأجيال بعد الأجيال.

فلا عجب إذا منح السفاح، أو المنصور، أو المهدى – كما تقول الروايات – أبا دلامة هذه المنح التى لا تكافئ ما قدمه لهم من مدح فى شعره الذى خلد على الدهر، ورواه الرواة، وأثبت فى المصادر الأدبية.

والعجيب أن الخليفة المهدى يقول لأبى دلامة: سلنى حاجتك، واحتكم، وأفرط ما شئت.

وذلك دليل على ما كان لأبى دلامة من مكانة عند الخليفة، حتى إنه ليمازح الخليفة على النحو الذى ذكرناه.

***

وروى أن أبا دلامة الشاعر لقى الخليفة المهدى، فى مصاد له، وهو والى العراق، فأخذ بعنان فرسه، وأنشده:

إنى حلفت لئن رأيتك سالمـــا بقرى العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبى محمـــــد ولتملأن دراهمــــا حجرى[1]

فقـــال المهـــدى: أما الصلاة على النبى، فنعم، صلى الله عليه وسلم. وأما الدراهم، فلما نرجع إن شاء الله تعالى.

قـــال أبـــو دلامة: لا تفرق بينهما، لا فرق الله بينك وبين محمد فى الجنة.

وروى أن أبـــا دلامة قال: جعلت فداك، لا تفرق بينهما. فاستلفها له وصبت فى حجره حتى أثقلته.

وروى أن أبا دلامة دخل على الخليفة المهدى لما قدم من الرى.

وقال ذلك، فلما رد عليه الخليفة المهدى، قال أبو دلامة للخليفة: أنت أكرم من أن تفرق بينهما، ثم تختار أسهلهما.

فأمر الخليفة المهدى بأن يملأ حجره دراهم[2].

ورويت هذه القصة بين أبى دلامة، ويزيد بن يزيد[3].

ورويت مع أبى دلف.

---

(١) العقد الفريد ١/٣٠٥، الأغانى ١٠/٢٥٣
حـــلفت: أقســـمت، قرى: جمع قرية، وفر: مال كثير، حجرى: يقصد جمع ثوبه من الأمام، يروى: نذرت

(٢) الأغانى ١٠/٢٥٣

(٣) العقد الفريد ٤/٣٩٤

وهذه حيلة عجيبة، إذ كيف ينذر أبودلامة أن يملأ الخليفة، أو الأمير حجره دراهم، والنذر يكون بالبذل، وليس بالأخذ، لكنها حيلة الشاعر للخليفة أو الأمير، وقد نجحت، ونال بها ما أراد.

وذلك يدلنا أن للشاعر مكانته فى البلاط العباسى، حتى إن حيلة على رغـم أنهـا لا تنطلى على الخليفة، أو الأمير، لكنها تعلة ينال بها، ويمـنحونه بسببها، لأنهم يرغبون فى منحه لفنه الشعرى الذى يمثل لهـم جانبا من الدعابة، والفكاهة، والسرور، قد لا يمثله شاعر أخر ممن يطوفون على الخلفاء، وذلك مما جعل لأبى دلامة ولشعره مكانة خاصة، على رغم الجانب الهزلى فيه.

***

وروى أن أبـا دلامة الشاعر ولد له ابنة ليلا، فأوقد السراج، وجعل يخيـط خريطة من شقق، فلما أصبح طواها بين أصابعه، وغدا بها إلى الخـليفة المهـدى العباسـى، فاستأذن أبو دلامة عليه، وكان لا يحجب عنه، فأنشده:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا من شعاع الشمس فى درج إلى السماء فأنتم أكرم الناس

قال له المهدى: أحسنت والله أبا دلامة، فما الذى غدا بك إلينا؟

قال أبو دلامة: ولدت لى جارية يا أمير المؤمنين.

قال المهدى: فهل قلت فيها شعرا؟

**قال أبو دلامة: نعم، قلت:**

**فما ولدتك مريم أم عيسى — ولم يكفلك لقمان الحكيم**

**ولكن قد تضمك أم سوء — إلى لباتها وأب لئيـــم[1]**

فضحك المهدى وقال: فما تريد أن أعينك به فى تربيتها أبا دلامة؟

قال أبو دلامة: تملأ هذه يا أمير المؤمنين، وأشار إليه بالخريطة بين إصبعيه.

فقال المهدى: وما عسى أن تحمل هذه؟

قال أبو دلامة: من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير.

فأمـــر المهدى أن تملأ مالا. فلما نشرت أخذت عليهم صحن الدار، فدخل فيها أربعة آلاف درهم.

•••

وروى أن أبا دلامة خرجت عليه بنت له، وهو جالس مع أبى عطاء السندى الشاعر، فقال فيها أبو دلامة:

فما ولدتك مريم أم عيسى — ولا رباك لقمان الحكيم

ثم قال: أجز يا أبا عطاء.

فقال أبو عطاء السندى الشاعر:

ولكن قد تضمك أم سوء — إلى لباتها وأب لئيم

---

(1) العقد الفريد ١/٣٠٢

أم سوء: بفتح السين، أب لئيم: يقصد نفسه.

فضـــحك أبـــو دلامة لذلك، ثم غدا أبو دلامة إلى الخليفة المنصور، فألقاه فى الرحبة، يصلح فيها شيئا يريده، فأخبره بقصة ابنته، وأنشده البيتين، ثم اندفع، فأنشده البيتين السابقين، وزاد بيتا ثالثا يقول:

وقدموا القائم المنصور رأسكم      فالعين والأنف والأذنان فى الراس

فاستحسنها المنصور، وقال: بأى شئ تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه؟(1)

وهـــذه الرواية تبين أن أبا دلامة كان يلقى من الرعاية، والإكرام من خـــلفاء العـــباس ما لا يحظى به من هم مثله، أو شاكلته من جلساء الخلفاء.

ولعل أبا دلامة كان يمثل الجانب الهزلى، أو الفكاهى، ويأتى بما يدل عـــلى الـــتهكم والسخرية، حتى من نفسه، وأسرته مما يجلب إسعاد الخلفاء، وبالتالى جوائزهم.

ولعلـــنا نعـــرف أيضا أن أبا دلامة فى البيتين السابقين يتهكم بابنته، وزوجته، ونفسه، لينال عون الخليفة إياه على تربية ابنته، وهى حيلة طريفة، توصل بها أبو دلامة إلى ما يريد.

إن أبا دلامة كان يعرف أنه سينال حتما منحة الخليفة، ولذلك ذكرت الرواية أنه كان قد خاط خريطة من الليل، وجعلها بين أصابعه، وغدا

---

(1) مهذب الأغانى ٩/٢٠

بها إلى الخليفة، ولما سأله الخليفة عما يجب أن يعينه به، قال: تملأ لى هذه الخريطة دراهم، حتى إن الخليفة سأله: وما عسى أن تحمل هذه؟

وهذا دليل مؤكد على أنه يعلم أنه لن يخيب فنه وشعره عند الخليفة.

***

روى أن الخليفة المهدى قال لبشار بن برد! فيم تعتزى؟

قال بشار: أما اللسان فعربى، وأما الأصل فكما قلت فى شعرى.

قال المهدى: وما قلت؟

فأنشده بشار:

| | |
|---|---|
| ونبئت قوما لهم إحنــــــة | يقولون من ذا وكنت العــلم |
| ألا أيها السائلى جاهـــــلا | ليعرفنى أنا أنف الكـــــــرم |
| نمت فى المكارم بى عامر | فروعى وأصلى قريش العجم |
| وإنى لأغنى مقام الفتـــى | وأصبى الفتاة فلا تعتصــــــم[1] |

وهى شنشنة أعرفها من أخزم، فبشار بن برد يفخر بأصله العجمى، ولعل هذه شعوبية بغيضة من بشار بن برد، كما أنه يعترف بالفستق، أو الفجور أمام الخليفة، وهو موقف عجيب، لا يستطيعه أحد، ولعل

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣٦/٢

إحنة: ثار، العلم: الجبل، أنف: قمة، عامر: قبيلة عربية، قريش العجم: يشير إلى أصله الفارســـى فى فارس كقريش فى العرب، أصبى: أجعلها تميل إلى الصبا، وروى: بهم جنة، بدلا من: لهم جنة، وروى: نمت فى الكرام بنى عامر.

ذلـــك الفجور كان سببا في نهي الخليفة إياه عن الغزل الماجن الذي اعتاده بشار.

وهذا الشعر أيضا فخر بالنفس، والقبيلة، والأصل أمام الخليفة، وهو مقـــام لا يصلح فيه الفخر، وإنما مدح الخليفة، ومع ذلك سمع الخليفة هـــذا الفخر، ورضي به، مما يدل على إعلائه قيمة فن الشعر بصفة عامة.

***

روى أن بشار بن برد لما أنشد:

| | |
|---|---|
| لا يؤيسنك من مخبـــأة | قول تغلظه وإن جرحـــا |
| عسر النساء إلى مباشرة | والصعب يمكن بعدما جمحا |

بـــلغ ذلك الخليفة المهدي، فغاظه، وقال: يحرض النساء على الفجور، ويسهل السبيل إليه.

فقـــال له خاله يزيد بن منصور الحميري: يا أمير المؤمنين، قد فتن النساء بشعره، وأي امرأة لا تصبو إلى مثل قوله:

| | |
|---|---|
| عجبت فطمة من نعتي لها | هل يجيد النعت مكفوف البصر |
| بنت عشر وثلاث قسمت | بين غصن وكثيب وقمـــــر |
| درة بحرية مكنونـــــة | مازها التاجـــر من بين الدرر |
| أذرت الدمع وقالت ويلتي | من ولوع الكف ركاب الخطر |
| أقبلت في خلوة تضر بها | واعتراها كجنــــون مستعر |

بأبى والله ما أحسنـــــــه　　　دمع عين غسل الكحل قطـــــر

أيها النوام هبوا ويحـــكم　　　وسلونى اليوم ما طعم السهر[(١)]

فأمـــره الخليفة المهدى أن لا يتغزل، فقال بشار أشعارا فى ذلك منها قوله:

يا منظرا حسنا رأيتــــه　　　من وجه جارية فديتـــــه

لمعت إلى تســــــومنى　　　ثوب الشباب وقد طويتــه

والله رب محمــــــــد　　　ما إن غدرت ولا نويتــه

أمسكت عنك وربمـــــا　　　عرض البلاء وما ابتغيته

إن الخليفة قد أبـــــــى　　　وإذا أبى شيئا أبيتـــــــه

ويشوقنى بيت الحبيــــــ　　　ـب إذا غدوت وأين بيتــه

قام الخليفة دونـــــــــه　　　فصبرت عنه وما قليتـــه

ونهانى الملك الهمـــــــا　　　م عن النساء فما عصيتــه

لا بل وفيت ولم أضـــــع　　　عهدا ولا رأيا رأيتـــــه[(٢)]

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/١٣٢-١٣٣
فطمة: فاطمة، وحذفت الألف لضرورة الوزن الشعرى، نعتى: وصفى، كثيب: مجتمع الـرمل، درة: لؤلـؤة، بحرية: منسوبة إلى البحر، مكنونة: مستورة، مازها: ميزها، أذرت: ســاقت، ويلتى: هلاكى، ولوع: مبالغة من الولع، ركاب: مبالغة من الركوب، أقبلت: أى الأم، اعتراها: أصابها، مستعر: شديد، بأبى: أى أفديه، قطر: نزل، النوام: جمع نائم، ويحكم: هلاكاكم.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/١٣٣
جارية: فتاة، فديته: أى جعل نفسه فداء له، لمعت: برقت، تسومنى: تساومنى، طويته: فـرغت مـن الشـباب، عرض: ظهر، ابتغيه: رغبته، الخليفة: أى المهدى العباسى، يشـوقنى: أشـتاق إليـه، أو يشتاق إلى، غدوت: سرت صباحا، وأين بيته: استفهام

وقال بشار أيضا:

| | |
|---|---|
| **والله لولا الخليفة مـــــا** | **أعطيت ضيما على فى شـــجن** |
| **قد عشت بين الندمان والرا** | **ح والمزهر فى ظل مجلس حسن** |
| ثم نهانى المهدى فانصرفت | نفسى صنع الموفق اللـــــقن |

وقال بشار أيضا:

| | |
|---|---|
| أفنيت عمرى وتقضى الشباب | بين الحميا والجوارى العذاب |
| فالآن شفعت إمـــــام الهدى | وربما طبت لحب وطـــــاب |
| لهوت حتى راعنى داعيـــــا | صوت أمير المؤمنين المجاب |
| لبيك لبيك هجرت الصبـــــا | ونام عذالى ومــــــات العتاب |
| أبصرت رشدى وتركت المنى | وربما ذلت لهن الرقـــــــاب |
| يا حـــــامد القول ولم يبله | سبقت بالسيل مساك السحاب |
| الفعــــــل أولى بثنـــاء الفتى | ما جاءه من خطأ أو صـــواب |
| دع قول واء وانتظر فعـــله | يثنى على اللقحة ما فى الحلاب |
| إذا غدا المهدى فى جنـــده | وراح فى آل الرسول الغضاب |
| بدا لك المعروف فى وجهه | كالظلم يجرى فى الثنايا العذاب[1] |

---

للاســـتبعاد، قام دونه: أى حجبه، قلى: أبغض، الملك: أى المهدى، الهمام: الشجاع ذو الهمة العالية.

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/١٣٣-١٣٤

الضيم: الظلم، شجن: حزن، الندمان: المشارك فى الشراب، الراح: الخمر، والمزهر: آلـــة موســـيقية، المهـــدى: الخليفة العباسى، اللقن: الملقن، أو الحافظ، الحميا: الخمر، الجوارى: جمع جارية، وهى الفتاة، العذاب: جمع عذبة، إمام الهدى: الخليفة المهدى،

وهـــذا موقف طيب يحسب للخليفة المهدى، وخاله، إذ هما يريان أن الفن له دور فى المجتمع، ولابد أن يكون الفن بانيا، لا هادما، فالهدم لا يفيـــد، والبـــناء يعلى من قيمة الفن، ويرفع من شأن الشاعر الذى ينشد هذا الفن، وإذا كان الفن قد أباح لنفسه أن يفسد المجتمع، ويذهب بالأخلاق فلا كان هذا الفن.

لـــذا نهى الخليفة المهدى بشار بن برد عن الغزل الذى يحرض على الفســـاد، طالمـــا لـــم يحترم عقيدة المجتمع، ومبادئه، وأخلاقه. ومن عجـــب أن بشار بن برد يحتال على الغزل، ويتغزل بهذه الطريقة، وإن كان يعلن فيها أنه انتهى عن الغزل بنهى الإمام إياه، لكنه على كل حال قد تغزل، وذلك لحاجة فى نفس بشار.

•••

روى أن المهـــدى الخليفة العباسى خرج متصيدا فسمع رجلا يتغنى بالقصيدة التى أنشدها أبو العتاهية فى عمر بن العلاء ومنها:

يا من تفرد بالجمال فما تـــرى عينى على أحد سواه جمـــــالا
أكثرت فى قولى عليك من الرقى وضربت فى شعرى لك الأمثالا
فأبيت إلا جفوة وقطيعـــــــة وأبيت إلا نخـــــــــوة ودلالا

---

طـــبت: ســـعدت نفســـى، المجـــاب: بصيغة اسم المفعول، الصبا: بكسر الصاد، فتوة الشباب، عذالى: جمع عاذل، وهو اللائم، واء: واعد، من الوأى، وهو الوعد، اللقحة: الناقة، الحلاب: أى الحلب، أو الحليب، وهو اللبن، الظلم: بفتح الظاء المشددة، وسكون اللام، الريق، الثنايا: جمع ثنية: الأسنان فى مقدم الفم.

باالله قولى إن سألتك واصدقى أوجدت قتلى فى الكتاب حـــلالا
أم لا ففيم جفوتنى وظلمـــتنى وجعلتنى للعالمين نكـــــــــالا
كم لائم لو كنت أسمع قـــــوله قد لامنى ونهى وعــــــد وقال[1]

فقال المهدى: على به.

فجاءه الرجل، فقال المهدى: لمن هذا الشعر؟

قال الرجل: لإسماعيل بن القاسم أبى العتاهية.

فقال المهدى: لمن يقوله؟

قال الرجل لعتبة جارية المهدى.

قال المهدى: كذبت، لو كانت جاريتى لوهبتها له.

وكـــانت عتبة لريطة بنت أبى العباس السفاح، وكان أبو العتاهية قد بلغ من أمرها كل مبلغ، وكل ذلك تصنع، وتخلق، ليذكر بذلك.

•••

وروى أن يـــزيد حوراء المغنى قال: كلمنى أبو العتاهية، أن أكلم له المهدى الخليفة العباسى، فى عتبة، فقلت: إن الكلام لا يمكننى، ولكن قل شعرا أغنيه إياه.

فقال أبو العتاهية:

---

(١) زهر الآداب وثمر اللباب ٢/٤١-٤٢
الرقى: جمع رقية، الكتاب القرآن الكريم، جفوتنى: قطعتنى، نكال: تنكيل وتمثيل، عد: عدد.

نفسى بشئ من الدنيا معلقة الله والقائم المهدى يكفيهـا

إنى لأيأس منها ثم يطمعنى فيها إحتقارك للدنيا وما فيها[(1)]

فعملت فيه لحنا وغنيته المهدى.

فقال المهدى: لمن هذا؟

فأخبره يزيد حوراء المغنى خبر أبى العتاهية.

فقال المهدى: ننظر فى أمره.

فأخـبر يزيد أبا العتاهية بذلك فمكث أشهرا، ثم أتاه، فقال: هل حدث خبر؟

فقال يزيد: لا.

فقال أبو العتاهية: غنه بهذا الشعر.

ليت شعرى ما عندكم ليت شعرى إنما آخر الجواب لأمـــــــر

ما جواب أولى بكل جميـــــل من جواب يرد من بعد شهر[(2)]

فغنى يزيد به المهدى، فقال المهدى: على بعتبة، فأحضرت.

فقال المهدى: إن أبا العتاهية كلمنى فيك وعندى لك، وله ما تحبان.

فقالت عتبة: قد علم مولاى أمير المؤمنين ما أوجبه من حق ملاتى، فأريد أن أذكر لها ذلك.

---

(1) زهر الآداب وثمر الألباب ٤٢/٢

القائم: أى القائم بأمر المسلمين، يقصد الخليفة المهدى.

(2) زهر الآداب وثمر الألباب ٤٢/٢

آخر: بالبناء للمجهول، يرد بالبناء للمجهول.

فقال المهدى: فافعلى.

فأعـــلم يزيد أبا العتاهية بما جرى، ومضت الأيام، فسأل أبو العتاهية يزيد معاودة المهدى.

فقـــال يـــزيد لأبى العـــتاهية: قد عرفت الطريق فقل ما شئت، حتى أغنيه.

فقال أبو العتاهية:

أشربت قلبى من رجائـــك ماله ... عنق إليك يحب بى ورسيم
وأملت نحو سماء صوبك ناظرى ... أرعى مخايل برقها وأشيم
ولقد تنسمت الرياح لحاجـــتى ... وإذا لها من راحيتك نســـيم
ولربما استيأست ثم أقـــول لا ... إن الذى ضمن النجاح كريم[1]

فغنيت المهدى بالشعر، فقال: على بعتبة.

فأتت، فقال المهدى: ما صنعت؟

قـــالت عتـــبة: ذكـــرت ذلك لمولاتى، فأبته، وكرهته، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد.

فقال المهدى: ما كنت لأفعل شيئا تكرهه.

فأعلم يزيد المغنى أبا العتاهية بذلك، فقال أبو العتاهية:

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٣٤؛
عنق، ورسيم: من أنواع السير، يخبك من الخبيب، وهو ضرب من السير، صوب: مطر، ناظرى: عينى، مخايل: جمع مخيلة، أشيم: أنظر، راحة: باطن اليد، عنق: بفتح العين والنون.

قطعت منك حبائل الأمــــال    وأرحت من جلى ومن شر حالى
ما كان أشأم إذ رجاؤك قادنى    وبنات وعــدك يعتلجن ببالى
ولئن طمعت الرب برق خلب    مالت بذى طمــــع وبرقة آل[1]

***

وروى أن المهــدى الخليفة العباسى ضرب أبا العتاهية مائة سوط، ونفاه إلى الكوفة لقوله فى عتبة:

ألا إن ظبيا للخليفة صادنى    ومالى على ظبى الخليفة من عدوى[2]

وقال المهدى: أبى يتمرس، ولحرمى يتعرض، وبنسائى يعبث، ونفاه إلى الكوفة.

فكان أبو العتاهية بالكوفة، لما نفى، يذكر عتبة، ويكنى باسمها، فمن ذلك قوله:

قل لمن لست أسمــــى    بأبى أنت وأمــــــى
بأبى أنت لقد أصـــــــ    ـبحت من أكبر همى
ولقد قلت لأهــــلى    إذ أذاب الحب لحمى

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٤٢-٤٣
قطعــت: بتشــديد الطاء، حبائل: جمع حبال، وهى شرك الصائد، حل: بكسر الحاء، إقامة، ترحال: ترحل وتنقلن، يعتلجن: يضطربن، بالى: خاطرى، برق خلب: هو الذى لا يعقب مطرا، أو مالا مطر فيه، مالت به: خدعته، أل: سراب.
(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٤٣
ظــبيا: يقصد عتبة، يصورها بالظبى، عدوى: من ينصفه عليه، سقمى: مرضى، قل: الخطـــاب لكل سامع، لست أسمى: يقصد عتبة جارية الخليفة المهدى، روحى ببغداد: يقصد عند عتبة فى بغداد، وفى الكوفة جسمى، حيث نفاه الخليفة

| | |
|---|---|
| وأرادوا لى طبيبـــا | فاكتفوا منى بعـــلمى |
| من يكن يجهل ما ألـــ | قى إن الحب ســـقمى |
| إن روحــــى لببغدا | د وفى الكوفة جسمى |

وقوله:

| | |
|---|---|
| أمسى ببغداد ظبى لست أذكره | إلا بكيت إذا ما ذكره خــــطرا |
| إن المحب إذا شطت منازلـــه | عن الحبيب بكى أوحن أو ذكرا |
| يارب ليل طويل بت أرقبـــــه | حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا |
| ما كنت أحسب إلا مذ عرفتكم | أن المضاجع مما ينب الإبــــرا |
| والليل أطول من يوم الحساب على | عين الشجى إذا ما نومه نفـــرا[1] |

•••

وروى أن عتبة لما قدمت بغداد قدم معها أبو العتاهية، وتلطف، حتى اتصـــل بهـــارون الرشـــيد، فى خلافة أبيه المهدى الخليفة العباسى، وتمكن منه، وبلغ المهدى خبره، فأحضره.

فقال المهدى: يا بائس، أنت مستقتل، وسأله المهدى عن حاله، فأنشده أبو العتاهية قصيدته التى يقول فيها:

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٤٤/١
ظبى: غزال، يقصد عتبة، شطت: بعدت، انفجر: أى ظهر، المضاجع: جمع مضجع، اســـم مكان، وهو مكان النوم، مما ينبت الإبر: يقصد أن مضجعه لا يسمح له بالنوم، يـــوم الحساب: يوم القيامة، ويضرب به المثل فى الطول، الشجى: الحزين، نفرك فر وهرب، أو بعد.

أنت المقابل والمـــــدا　　　بد فى المناسب والعديـــد
بين العمومة والخئـــو　　　لة والأبوه والجـــــــدود
فإذا انتميت إلى أبيـــــ　　　ك فأنت فى المجد المشيد
وإذا انتمى خال فمــــــا　　　خال بأكرم من يزيـــــد

يـــريد يزيد بن المنصور، وكانت أم المهدى أم موسى بنت منصور الحميرى.

وأنشده أبو العتاهية:

علم العـــــــالم أن المنايا　　　سامعات لك فيمن عصـــاكا
فإذا وجهتها نحــــو طاغ　　　رجعت ترعف منه قنـــاكا
ولو أن الريح بارتك يوما　　　فى سماح قصرت عن نداكا[1]

وأنشده أيضا:

أتته الخلافة منقـــــــادة　　　إليه تجرر أذيالــــــها
فلم تك تصــــلح إلا له　　　ولم يك يصلح إلا لـــها
ولو رامها أحد غـــيره　　　لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب　　　لما قبل الله أعمـــــالها[2]

---

(١) زهر الآداب وثمر الأباب ١/٤٤
المشيد: المبنى أو المعلى‌ن المناسب: جمع منسب، بمعنى النسب، العديد: العدد الكثير، المـــنايا: جمـــع مـــنية، بمعنى الموت، ترعف: تسيل دما، قناكا، القنا: جمع قناة، بفتح القـــاف فيهمـــا ولـــو أن: تسهل الهمزة لضرورة الوزن الشعرى، الريح: فى الأصل الرياح، والتصويب لموافقة الوزن الشعرى، الندى: الكرم.
(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٤٤-٤٥

فقـــال له المهـــدى: إن شئت أدبناك بضرب وجيع، لإقدامك على ما نهيت عنه، وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا، وإن شئت عفونا عنك فقط.

فقـــال أبو العتاهية: بل يضيف أمير المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه، ومكرمتان أكثر من واحدة، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته، وأتم كرمه.

فأمر له المهدى بثلاثين ألف درهم وعفا عنه.

فـــالمهدى الخـــليفة لمـــا سمع الرجل يتغنى بهذا الغزل الرقيق لأبى العتاهية الشاعر أعجب بهذا الغزل، لأنه ليس فيه إفحاش، وإنما هى مشـــاعر رائعـــة، ومعـــان جميـــلة، وأفكار مبتكرة فى فن الغزل، والوصـــف بالجمـــال إلى حـــد عمل الرقى خوفا من الحاسد، وذكر الجفوة والقطيعة، وقتله الذى يحرمه الكتاب، أى القرآن الكريم، وهو معـــنى مبتكر جميل، وذكر اللائمين وعذلهم. لذا طرب المهدى لهذا الشعر، وسأل عن التى يتغزل فيها أبو العتاهية، فلما عرف أنها عتبة جاريته قال: لو كانت جاريتى لوهبتها له، إعجابا بشعره.

والـــرواية الـــثانية توضـــح أن يزيد حوراء المغنى هو الذى أسمع المهـــدى شعر أبى العتاهية، حين غناه بشعر أبى العتاهية الذى ذكر فيـــه تعـــلق نفســـه بشئ من متاع الدنيا لا يكفيه إياه إلا الله تعالى،

---

منقادة: ذليلة، رامها: قصدها، لزلزت الأرض زلزالها: اقتباس من القرآن الكريم.

والخـليفة المهدى، وأنه ييأس من ذلك، لكنه يطمعه احتقار المهدى الدنيا وما فيها.
ثـم غـناه يـزيد حوراء بشعر أبى العتاهية الذى يتعجب فيه لتأخر الجـواب على تنفيذ وعد الخليفة بالنظر فى أمر أبى العتاهية، وعتبة جارية المهدى.
ثـم غـنى يـزيد حوراء مرة ثالثة المهدى بشعر أبى العتاهية الذى يوضـح فيـه رجاءه، وأمله، ويأسه، وطمعه فى كرم المهدى الذى ضمن نجاح ما ينبغى، وهو كريم فى هذا الضمان، فسوف يلبيه.
فاستشار المهدى عتبة جاريته، لكنها رجته أن تبلغ مولاتها، ورفض مولاتهـا هذا الأمر، فلما علم أبو العتاهية أنشد شعرا فى الزهد فى الدنيا وثمت رواية أخرى تقول: إن المهدى ضرب أبا العتاهية مائة سوط، ونفاه إلى الكوفة لتغزله فى عتبة، فكان أبو العتاهية يتغزل فى عتبة، لكنه لا يذكر اسمها، وإنما يكنى عن اسمها، من مثل قوله: من لسـت اسـمى، وقولـه: أمسى ببغداد ظبى لست أذكره، وذلك اتقاء الخليفة المهدى، حتى لا يصرح باسم عتبة جاريته.
وثمـت روايـة ثالثة تبين أن أبا العتاهية اتصل بهارون الرشيد فى خلافـة أبيـه المهدى، فاستدعاه المهدى، وسأله عن حاله، فمدح أبو العـتاهية المهـدى بعدة قصائد فيها مبالغات فى المدح، لكن المهدى

خيــره بيــن الضرب لأنه أقدم على ما نهاه عنه، وبين منحه ثلاثين ألف درهم جائزة على المدح، وبين العفو عنه.

فرغب أبو العتاهية فى اثنتين: الجائزة، والعفو، ففعل المهدى.

وذلــك الحدث قد وقع بين الخليفة المهدى، وشاعر، هو أبو العتاهية، وذلك دليل على قيمة الشعر عند الخليفة المهدى.

***

روى أن أبـــا دلامة الشاعر خرج مع الخليفة المهدى فى مصاد لهم، فعــن لهـــم ظـــبى، فرماه المهدى، فأصابه، ورمى على بن سلمان، فأخطأ وأصاب الكلب، فضحك المهدى، وقال لأبى دلامة: قل شعرا فى هذه الواقعة:

فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدى ظبيا ... شك بالسهم فــؤاده

وعلى بــــــن سليما ... ن رمى كلبا فصاده

فهنيئا لهمــــــا كل ... ل امرئ يأكل زاده[1]

وأبــو دلامـــة الشـــاعر قد عرف فى شعره بهذه الطرافة، والتملح، والمداعبة، والخليفة المهدى يعرف ذلك فى أبى دلامة، ومن ثم أمر أبا دلامة أن ينشده شعرا فى واقعة الصيد هذه، لأن فى الواقعة نفسها

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٩٣-٣٩٤

رمى: يقصد بالسهم، شك: وجأ، زاده طعامه.

طرافة، والمهدى الخليفة يعرف أن أبا دلامة سيذكر طرفة فى شعره فى هذه الواقعة خاصة، ليمتحن أبا دلامة من ناحية، وليتسلى بالشعر من ناحية ثانية.

فلما أنشد أبو دلامة هذه الأبيات وجد المهدى بغيته، وقد ذكر أبو دلامة الواقعة التى حدثت كما هى فى بيتيه الأولين، ثم أتى بالطرفة فى بيته الثالث. وهى أن كل صائد يأكل صيده، فالمهدى صاد الظبى، وعلى بن سليمان صاد الكلب، فهنيئا لكل منهما أكل ما صاده.

وما كان أبو دلامة يجرأ على مثل هذا القول إلا بتشجيع الخليفة المهدى. فهو يريد أن يسلى الخليفة، ويضحكه، وفى سبيل هذا الغرض يهون الأمر.

•••

روى أن أبا دلامة الشاعر دخل على الخليفة المهدى، وعنده وزيره محمد بن الجهم، وكان المهدى يستثقله، فقال المهدى لأبى دلامة: والله لا تبرح مكانك، حتى تهجو أحد الثلاثة.

فهم أبو دلامة بهجاء ابن الجهم، ثم خاف شره، فرأى أن هجاء نفسه أقل ضررا عليه، فقال:

ألا أبلغ لديك أبا دلامة ... فليس من الكرام ولا كرامه

إذا لبس العمامة كان قردا ... وخنزيرا إذا وضع العمامه

وإن لبس العمامة كان فيها          كثور لا تفارقه الكمامـــــه[1]

وهذه الرواية أيضا من قبيل الدعابة والطرفة كالرواية السابقة، فحين اجـتمع الثلاثة: الخليفة، ووزيره، وشاعره، أمر الخليفة الشاعر أبا دلامة أن يهجو أحد الثلاثة فى المجلس، فهل يهجو أبو دلامة الخليفة أو الوزير؟

ولمـــا فكـــر أبو دلامة فى الخلاص من هذا المأزق اتجه إلى هجاء نفسه، إذ هو أقل ضررا عليه من هجاء جليسية.

والخليفة المهدى يقصد إيقاع أبى دلامة فى هذا المأزق، ليرى كيف يتخـــلص أبـــو دلامة منه، وقد أحسن أبو دلامة فعلا التخلص بهجاء نفسه، وكانت طرفه وملحة ضحك لها المهدى كثيرا، وأثابه عليها.

•••

وروى أن مـــروان بـــن حفصــــة قال: دخلت على الخليفة المهدى، فاستنشدنى، فأنشدته الشعر الذى أقول فيه:

**طرقتك زائرة فحى خيالـــها          بيضاء تخلط بالحياء دلالـــها**

**قامت فؤادك فاستقاد ومثلها          قاد القلوب إلى الصبا فأمالها**

حتى انتهيت إلى قولى:

**شهدت من الأنفال أخر أيــــة          بتراثهم فأردتمو إبطالـــها**

---

(1) العقد الفريد ٣٩٤/٤

وضع: خلع، الكمامة: بكسر الكاف، ما يكم به فم البعير يمنعه الرعى.

أو تجحدون مقالة من ربـــكم ... جبريل بلغها النبى فقالها
هل تطمسون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالها[(١)]

•••

قال مروان بن أبى حفصة، وأنشدت الرشيد أيضا شعرى الذى أقول فيه:

يا ابن الذى ورث النبى محمدا ... دون الأقارب من ذوى الأرحام
الوحى بين بنى البنات وبينكم ... قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة ... نزلت بذلك سورة الأنعـــــام
أنى يكون وليس ذاك بكائـــن ... لبنى البنات وراثة الأعمـــام
ألغى سهامهم الكتاب فحاولوا ... أن يشرعوا فيها بغير سهـــام
ظفرت بنو ساقى الحجيج بحقهم ... وغررتمو بتوهم الأحـــلام[(٢)]

---

(١) العقد الفريد ١/٣٥٩-٣٢٦٠، شعر مروان بن أبى حفصه ص ٩٦
زائـــرة: يقصد صاحبته على الغزل، دلالها: التملح، قادت: ساقت، الصبا بكسر الصاد المشـــددة، الشباب، الأنفال: سورة الأنفال، وهى السورة الثامنة فى القرآن الكريم على ترتيب المصحف، آخر آية: يقصد قول الله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كـــتاب الله، تراثهم: إرثهم، يجحد: ينكر، فأردتم: تنطق: فاردتمو لضرورة الوزن الشعرى، طرق: زار وألم، استقاد: خضع وغنقاد، الصبا: جهل الفتوة واللهو.
(٢) العقد الفريد ١/٣٦٠، شعر مروان بن أبى حفصة ص ١٠٤
الذى ورث النبى محمدا صلى الله عليه وسلم، يقصد العباس بن عبدالمطلب عمه، ذوو ألرحام: يقصد أولاد فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم، ورضى الله تعالى عنهما، وهـــم أبـــناء عـــلى بن أبى طالب رضى الله عنه، بنى البنات: يقصد أبناء فاطمة من العـــلويين، بيـــنكم: يقصـــد العباســـيين، الخصام: المخاصمة، النساء: يقصد فاطمة، والـــرجال يقصـــد العـــباس، الأنعام: السورة السادسة فى القرآن الكريم على ترتيب المصحف، بنى البنات: يقصد أبناء فاطمة، الأعمام: يقصد العباس، سهامهم: نصيبهم

قال مروان بن أبى حفصة: فلما أنشدت الخليفة المهدى الشعرين قال: وجـــب عطـــاؤك على هؤلاء، وكان عنده جماعة من أهل بيته، قد أمـــرت لك بثلاثين ألفا، وفرضت على موسى الهادى خمسة آلاف، وعلى هارون الرشيد مثلها، وعلى على أربعة آلاف، وعلى العباس كذا، فحسبت سبعين ألفا.

قال مروان بن أبى حفصة: فأمر بالثلاثين ألفا، فأتى بها، ثم قال: اغد على هؤلاء، وخذ ما فرضت لك.

فأتيت موسى الهادى، فأمر بخمسة آلاف، وأتيت هارون الرشيد فأمر بمثـــلها، وأتيت عليا، قال: قصر بى دون إخوتى، فلن أقصر بنفسى، فأمر لى بخمسة آلاف، فأخذت من الباقين سبعين ألفا[1].

وهـــذه الـــرواية تؤكـــد أن الشـــعراء كـــانوا يدخلون على الخلفاء، ليمدحوهـــم، فـــلما دخل مروان بن أبى حفصة على الخليفة المهدى عرف المهدى أنه قدم لينشده مدحة له، فاستنشده المهدى.

فأنشده مروان بن أبى حفصة شعرا سياسيا، فيه إثبات حق العباسين فى الخلافـــة، والـــرد عـــلى العلويين فى إدعاء الخلافة، وهو شعر يصادف هوى فى نفوس العباسين، وخاصة الخليفة.

---

فى الميـــراث، الكتاب: القرآن الكريم، بنو ساقى الحجيج: يقصد العباسين، وذلك للقيام بأمر سقاية الحاج، شرع: أخذ، لات حين خصام: ليس وقف الخلاف

(١) العقد الفريد ١/٣٦٠

والــرواية أيضـــا تؤكد أن مروان بن أبى حفصة قد أنشد الرشيد بن المهــدى قصـــيدة أخرى، تمثل الإتجاه نفسه، وهو الشعر السياسى، الــذى يؤكــد حــق العباسين فى الخلافة، وينتصر لهم، ويدافع عن قضـــيتهم، وحقهـــم، وإقامة الحجة على العلويين، وتفنيد دعواهم فى حقهم فى الخلافة.

وهنا كانت الأريحية من الخليفة المهدى، إذ أوجب عطاء مروان بن أبى حفصــــة على جلسائه من أهل بيته، ففرض على كل واحد منهم عطاء لمروان الشاعر.

وكان عطاء المهدى الخليفة لمروان بن أبى حفصة سخيا بلغ سبعين ألـــف درهـــم، وهو عطاء يقابل ما قاله مروان فى تعضيد الخلافة العباســـية، وتلك قضية تبين انتماء الشاعر لبنى العباس، وهى قضية عـــول الخـــلفاء عـــليها كـــثيرا، وكانت لهم فى هذه القضية مواقف مشهودة، ومشهورة مع الشعراء وغيرهم.

***

وروى صـــاحب الأغـــانى أيضـــا: قال مروان: دخلت على الخليفة المهدى فى قصر السلام، فلما سلمت عليه، وذلك عقب سخطه على يعقـــوب بن داود، فقلت: ياأمير المؤمنين، إن يعقوب رجل رافضى، وإنه سمعنى أقول فى الوراثة:

أنى يكون وليس ذاك بكائـــن ... لبنى البنات وراثة الأعمـــام

فذلك الذى حمله على عداوتى، ثم أنشدته:

كأن أمير المؤمنين محمـــــدا لرأفته بالناس للناس والـــــــد

على أنه من خالف الحق منهم سقته يد الموت الحتوف الرواصد[1]

فقـــال له الخـــليفة المهـــدى: والله، ما أعطيك إلا من صلب مالى، فـــاعذرنى، وأمـــر لى بـــثلاثين ألف درهم، وكسانى جبة، ومطرفا، وفرض لى على أهل بيته، ومواليه ثلاثين ألفا أخرى.

هـــذه الرواية نجح فيها مروان بن أبى حفصة فى الوصول إلى قلب الخليفة، بعد ما أثاره ضد يعقوب بن داود وزير المهدى، إذ وشى به عن الخليفة بأنه رافضى، ضاق من مروان حين دافع بشعره عن حق العباسيين فى الخلافة، ونفى حق العلويين فيها.

ثم أنشد مروان بن أبى حفصة الخليفة المهدى قصيدة مدح، وهنا نجح مروان بن أبى حفصة فى استمالة قلب المهدى، ومنحه مكافأة سخية، وفرض له مكافأة أخرى على أهل بيته.

وأنا أرى أن الخليفة منح الشاعر هذه المنح، لأنه أظهر ميوله ناحية العباســـيين، ودافع عن حقهم فى الخلافة، واحتج لهم ضد العلويين، وكان من شعراء العباسيين، فاستحق المكافأة منهم.

---

(١) مهذب الأغانى ٩/٨١-٨٢، شعر مروان بن أبى حفصة ص ٣٨

أنى: للأســـتبعاد، لبـــنى النـــبات: يقصد أولاد فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم، ورضـــى الله عنها، الأعمام: يقصد العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم، ورضى الله عنه، وحمد: يقصد الخليفة المهدى، الحتوف: المهالك، الرواصد: جمع راصد.

***

وروى صاحب الأغانى أن مروان بن أبى حفصة دخل على المهدى الخليفة العباسى، فأنشده مديحا فيه، فقال له المهدى: ألست القائل، فى معن بن زائدة، وكان معن قد توفى:

أقمنا باليمامة بعـد معن مقاما لا يزيد بـه زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا[1]

قد ذهب النوال، فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا، لاشئ لك عندنا. فـلما كـان مـن العام المقبل تلطف، حتى دخل مع الشعراء، وإنما كانت الشـعراء تدخـل على الخلفاء كل عام مرة، فمثل بين يدية، وأنشد بعد رابع، أو خامس من الشعراء:

طرقتك زائرة فحى خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

ومنها:

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبى حرامها وحلالها
ملك تفرغ نبعة من هاشـم مد الإله على الأنام ظلالها
جبل لأمته تلوذ بركنـه رادى جبال عدوها فأزالها
لم يغشها مما يخاف عظيمـة إلا أجال لها الأمور مجالها
حتى يفرجها أعز مهـذب ألفى أباه مفرجا أمثالهـا

(١) مهذب الأغانى ٩/٨٠، شعر مروان بن أبى حفصة ص ٨٣
زوالا: مفارقة، النوال: العطاء.

ثبت على زلل الحوادث راكب | من صرفهن لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها | للمسلمين وللعدو وبالهـــا
وقعت مواقعها بعفوك أنفـس | أذهبت بعد مخافة أوجالهـا

ومنها:

رفع الخليفة ناظـــرى وراشنى | بيد مباركة شكرت نوالــــها
وحسدت حتى قيل أصبح باغيـا | فى المشى مترف شيمة مختالها
ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى | نعلا ورثت عن النبى مثالها[1]

فــزحف المهدى من صدر مصلاه، حتى صار على البساط، إعجابا بما سمع، ثم قال: كم هى؟

قال مروان: مائة بيت.

فأمــر المهدى لمروان بمائة ألف درهم، فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر فى أيام بنى العباس.

(١) مهذب الأغانى ٩/٨٠-٨١
محمــد: الأميــن الخليفة العباسي، نبعة: شجر صلب ينبت فى رؤوس الجبال، الأنام: الخلق، تلوذ: تلجأ، أجال: حرك، أغر: ذو الغرة، أوجال: جمع وجل، وهى المخاوف، راشــنى: أمــدنى، أو أحاطــنى وأعطانى، حرامها وحلالها: التحريم والتحليل للحرام والحــلال، رادى: فــانى، أجال لها الأمور مجالها: وضع الأمور فى نصابها، الثبت: الفــارس الشــجاع، الصرف: التغير، النوال: العطاء، الوبال: الهلاك، الباغى: الجائر، المــترف: المنعم، الشيمة: الطبيعة والخلق، المختال: المتكبر المتبختر، والبيت الأخير يعنى أنه اقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أفعاله.

هـذه الرواية تكشف عن قيمة الشعر، ودوره في الحياة، كما تكشف عن منزلته كفن سائر، يعرف بين الناس، وينتشر في المجتمع، ليعلي من مكانة الممد وحين.

فقد مدح مروان بن أبي حفصة الخليفة المهدي، لكن المهدي رد عليه بأنـه مـدح أحـد الـولاة بمدح يفهم منه أن النوال قد ذهب بذهاب الممدوح، فلم جاء مروان الشاعر يطلب نوال المهدي؟

لـذا لم ينل المهدي مروان بن أبي حفصة شيئا، قائلا له: لا شئ لك عندنا.

فـلما كـان العـام التالي دخل مروان بن أبي حفصة الشاعر على الخـليفة المهدي، وأنشده قصيدة مدح، أعجبت المهدي، حتى زحف من صدر مصلاه، ومنح الشاعر ألف درهم على كل بيت من الشعر، وكانت أول مائة ألف درهم أعطيت لشاعر في عصر بني العباس.

وتلك القصة تبين لنا إلى حد كبير قيمة الشعر في بلاط العباسيين.

***

وروى أن عـبدالله بـن مـالك الخزاعي دخل على الخليفة المهدي، وعـنده ابن دأب، وقيل: المفضل الضبي، وهو ينشد قول الشماخ بن ضرار الأسدي:

| | |
|---|---|
| واشعث قدقد السفار قميصـــه | يجر شواء بالعصا غير منضج |
| دعوت إلى ما نابني فأجـابني | كريم من الفتيان غير مزلـــج |

فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه      ويضرب فى رأس الكمى المدجج

فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة      ولا فى بيوت الحى بالمتولج(1)

فــرفع المهدى الخليفة العباسى رأسه إلى عبدالله بن مالك الخزاعى، وقال: هذه صفتك أبا العباس:

فقال ابن مالك: بك نلتها يا أمير المؤمنين.

فضحك المهدى إلى ابن مالك، وقال: هل تنشد من الشعر شيئا؟

قال ابن مالك: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال المهدى: فأنشدنى.

فأنشده ابن مالك قول السموءل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه      فكل رداء يرتديه جميـــــل

---

(1) العقد الفريد ١/٢٨٨، ديوان الشماخ بن ضرار الزبيانى ص ٨٠-٨٢
أشـــعث: المغبر الشعر، رث الثياب مختل الأمر من العمل أو السفر، قد قطع، السفار: السفر، أى رب أشعث شقت كثرة السفر، وكثرة العمل لرفقانه ثوبه، وجر الشواء مما أعـــان عـــلى تمـــزيق ثيابـــه، غير منضج للتسرع فى الإطعام، دعوت إلى ما نابنى: اســـتغثت بـــه، مـــزلج: لئيم، ما نابنى: أى من حدثان الدهر، وقيل: المزلج: البخيل، والـــناقص المروءة، الشيزى: خشب أسود تتخذ منه القصاع، ويطلق على الجفان التى تسوى منه، ويروى سنانه، أى سنان رمحه من دماء الأعداء يصفه بالكرم، والشجاعة، الكـــمى المدجـــج: القـــرن التام السلاح، الكمى بعين الصحاب، وهو لا يرضى بأدنى المـــتين، وأدون المعيشتين، ولا يداخل البيوت القريبة، ولا يخالط النساء للريبة، يضعه بالعفـــة، والجـــد، وصيانة النفس، وارتفاع الهمة عما يزيل الحشمة، ويدنس المروءة، ولكـــنه يطـــلب معالى الأمور، منضج، مزلج، المدجج بصيغة اسم المفعول، المتولج: بصـــيغة اسم الفاعل، شواء: بكسر الشين، وضمها، اللحم المشوى، السفار: مرفوعة، وقميصـــة منصوبة، كريم: مرفوعة، الشيزى: بكسر الشين المشددة، يروى: رباعى، من أروى.

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل
إذا المرء أعيته المروءة يافعـــا فمطلبها كهلا عليه ثقيـــل
تعيرنا أنا قليــــــــل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليـــل
وما ضرنا أنا قليل وجارنـــــا عزيز وجار الأكثرين ذليل
ونحن أناس لا نرى القتــــل سبة إذا ما رأته عامر وســلول
يقرب حب الموت آجالنا لنــــا وتكرهه أجالهم فتطــــول
وما مات منا سيد حتف أنفـــــه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد السيوف نفوسنـــا وليست على غير السيوف تسيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
فنحن كماء المزن ما فى نصابنـــا كهام ولا فينا يعد بخيـــل
وأسيافنا فى كل شرق ومغـــرب بها من قراع الدارعين فلول[1]

---

(١) العقد الفريد ١/٢٨٨-٢٨٩، الروائع من الأدب العربى ١/١٨٣-١٨٥
العرضــن بكســر العيــن، وســكون الراء، كل ما يدافع عنه الإنسان، وعرضه هنا مــرفوعة، يدنــس من دنس الثلاثى، فهى مفتوحة ياء المضارعة، اللؤم: كلمة جامعة لخصال السوء، الضيم: بفتح الضاد المشددة، وسكون الياء، الظلم والهواء، والمقصود إهانة النفس طلبا للحق، واكتسابا للمجد، المروءة: الشرف، يافعا: شابا، العديد: العدد، عيــر بتشــديد الياء المفتوحة، عد عارا، ما: حرف نفى، فالمعنى: لم يضرنا، أو اسم استفهام على طريق التقرير، والمعنى: أى شئ يضرنا؟ مبة: بضم السين، وفتح الباء، مــا يسب به الإنسان، عامر وسلول: قبيلتان، حب: مرفوعة، أجالنا: منصوبة، أجالهم مــرفوعة، مــات حتف أنفه: أى على فراشه، وأصلحه: حتفه بانفه، أى بالأنفاس التى خــرجت مــن أنفه عند خروج الروح، وليس دفعة واحدة كما يحدث عند القتل، وطل دمــه: بالبــناء لــلمفعول: أى ذهــب هدرا دون أن يثار له، نفوسنا: بالرفع، قولهم: بالــنقيض، المــزن: السحاب، الكهام: بفتح الكاف، الكيل الحد الضعيف، قراع: نزال

فقال الخليفة المهدى: أحسنت، اجلس، بهذا بلغتم، سل حاجتك.

قـــال عبدالله بن مالك يا أمير المؤمنين، تكتب لى فى العطاء ثلاثين رجلا من أهلى.

قال المهدى: نعم، فرض على إذا وعدت.

فقال ابن مالك: يا أمير المؤمنين، إنك متمكن من القدرة، وليس دونك حاجز عن الفعل، فما معنى العدة؟

فنظر المهدى إلى ابن دأب، كأنه يريد منه كلا ما فى فضل الموعد.

فقال ابن داب.

حلاوة الفعل بوعد ينجز     لا خير فى العرف كنهب ينهز

فضحك المهدى، وقال:

الفعل أحسن ما يكـــــو     ن إذا تقدمه ضمـــــــــان[1]

وهذه الرواية تدل على عدة أمور:

- إن الخليفة المهدى العباسى كان حديثه فى مجلسه الشعر القديم، لذا أنشده جليساه شعرا للشماخ بن ضرار الأسدى، والسموعل بن عاديـــا، ممـــا يدل على ثقافته بالشعر القديم، واعتداده به، وأن الخـــلفاء من أنصار مدرسة المحافظين فى الشعر، تبعا لمؤدبيهم

---

وحـــرب، الدارعيـــن: الذين يلبسون الدروع خوفا من الطعنات، الفلول: ما يكون فى السيف من تثليم، بسبب كثرة الاستخدام، وشدة الضرب.

(١) العقد الفريد ١/٢٨٧-٢٨٩

ينجز، وينهز: بالبناء للمجهول.

مـــن علماء اللغة، ورواة الأدب، ونقدته، لذا أنشده جليساه شعرا للشماخ، والسموءل، ولم ينشداه شعرا لشاعر محدث، أو مولد من شـــعراء العصر العباسي الأول، أو القرن الثاني الهجري الذي كان زمن هذه الرواية.

- إن الخليفة المهدي سأل جليسه الأول: هل تتشد من الشعر شيئا، فــلما أجابـــه بالإثـــبات، طلب منه أن ينشده، ونظر إلى جليسه الثاني، كأنه يريد منه شعرا في فضل الموعد، فأنشده شعرا في هذا المعنى المقصود، وكأن الخليفة العباسي لا يرتاح، ولا يهدأ لـــه بال، حتى يجد من الشعر ما يمثل الحال التي يريدها، وكأن الشـــعر هو الغاية التي يريد أن يبلغها الخليفة في جلساته، ومع جلسائه، وكأن جليس الخليفة لابد أن يكون مؤهلا بالشعر، الذي هو الأداة التي تعلي صاحبها في مجلس الخليفة، وفي هذا تقدير للشعر والشعراء في البلاط العباسي من الخلفاء أنفسهم.
- إن الخليفة المهدي أنشد الشعر أيضا في المجلس، ومعنى ذلك أنه يحفـــظ الشـــعر القديـــم، أو يحفظ جانبا عريضا منه، وأنه يملك موهـــبة قـــرض الشـــعر، إذ يستطيع أن يقرض الشعر في أي موضوع يعرض عليه.
- إن هذه الرواية دليل على القيمة العظيمة للشعر، والتقدير لمكانة الشعراء في العصر العباسي.

- إن جـليس الخـليفة عـلى الرواية الأولى هو ابن دأب، وعلى الرواية الثانية هو المفضل الضبى، ولعل معرفتنا بهما تدلنا على مجـلس الخـليفة، وما كان يتخذ من موضوعات فى حديثه مع جلسـائه، فموضـوعاته كـانت تتعلق باللغة، والأدب، وخاصة الشعر، فهو ديوان العرب.
- إن الخليفة المهدى كان ذا بصر بالشعر، فقد فهم قصيدة الشماخ، ولعـلها لـم تعرض عليه لأول مرة، فربما يكون قد قرأها على أيدى المؤدبين من علماء اللغة، ورواة الشعر، لذا خاطب جليسه بقوله: هذه صفتك.
- إن شـعر الشـماخ فيـه مـدح بالصـفات التى تعلى من شأن الممدوحين فى الشعر القديم، فقد مدح ممدوحيه بالكرم، والقيام على أمر الضيفان، والشجاعة، والإقدام، والجرأة، والقوة، وسمو المكانـة، والحياء، والشعر الذى يؤدى هذه المعانى مما يرضى الخلفاء العباسيين من أنصار مدرسة الشعر القديم.
- إن ابن مالك أنشد الخليفة شعر السموءل الذى يحض على مكارم الأخـلاق، ويـنهى عن اللؤم، والضيم، ويحض على المروءة، ومطلـبها، ويفـتخر بالشجاعة، والعزة، وحماية الجار، والموت دفاعـا عن الحمى، والموت قتلا، والثأر لقتلاهم، وعلو الكلمة، والكرم، وهى كلها صفات تستحق أن تقال فى مجلس الخليفة، لذا

فقد احسن ابن مالك اختيار الشعر الذى ينشده فى مجلس الخليفة المهدى.

- إن الخـــليفة سعد بهذ الشعر، لذا أمره أن يسأل حاجته، كما أمر ابـــن دأب أن ينشـــده شـــعرا آخر، وانشد الخليفة نفسه شعرا، فصارت الجلسة كلها للشعر القديم، يتمثل به الخليفة وجلساؤه فى المجلس الأدبى، أو المنتدى الأدبى، إن صح التعبير.
- إن الخـــليفة اشترك فى هذه الجلسة بالإستماع إلى شعر للشماخ، وشـــعر أخـــر للسموءل، وشعر تمثل به ابن دأب، كما اشترك بإنشاء شعر أراد أن يدعم به شعر ابن دأب، أو يأتى بأحسن من المعـــنى الـــذى سمعه من ابن دأب، وقد نجح فى ذلك، مما يدل عـــلى بصـــيرة نافذة فى الشعر، وعلم به، وحفظ للشعر القديم، والتمثل به فى موضوعات شتى.

***

وروى أن المهدى الخليفة وعد عيسى بن دأب جارية، ثم وهبها له، فانشده عبدالله بن مصعب الزبيرى معرضا بقول مضرس الأسدى:

فلا تيأس من صالح أن تناله وإن كان قدما بين أيد تبادره

فضحك الخليفة المهدى، وقال: ادفعوا إلى عبدالله جارية أخرى.

فقال عبدالله بن مصعب:

أنجز خير الناس قبل وعده أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب: ما قلت شيئا، هلا قلت:

حلاوة الفضل بوعد ينجز لا خير فى العرف كنهب ينهز

فقال المهدى:

الوعد أحسن ما يكـــــــو ن إذا تقدمه ضمــــــــان[1]

هــذه الــرواية تكشف عن مباراة بين المهدى الخليفة وجلسائه، فقد وهــب المهــدى ابن دأب جارية بعد ما وعده إياها، فلما أنشده ابن مصـــعب بيــتا من الشعر أمر المهدى له بجارية أيضا، فأنشده ابن مصعب بيتا آخر من الشعر يبين أن إنجاز الوعد من قبل الوعد كرم عظيم، وإراحة من المطل، وطول الكد.

وهنا تدخل ابن دأب ليبين فكرته، وهى أن حلاوة الفعل بالوعد الذى ينجز، ذكر ذلك فى بيت من الشعر.

وهنا تدخل المهدى مبينا رأيه فى بيت شعر يبين أن الوعد أحسن ما يكون إذا تقدمه ضمان.

فكانت جلسة أدب، ونقد، وشعر تبارى فيها المهدى الخليفة وجلسائه فى إنشاء الشعر وبيان أفكارهم تجاه معنى معين.

***

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٣٦

قدمـــا: قديمـــا، تبادره: تتبادر إليه، وتسرع، أنجز: نفذ، مطل: خلف الوعد، وتسويف تنفيذه، كد: تعب.

روى أن جارية من جوارى المهدى أهدت إليه تفاحة مطيبة، وكتبت فيها:

هدية منى إلى المهدى       تفاحة تقطف من خدى
محمرة مصفرة طيبت       كأنها من جنـــة الخلد

فأجابها المهدى:

تفاحة من عند تفاحـــــة       جاءت فماذا صنعت بالفؤاد
والله ما أدرى أأبصرتها       يقظان أم أبصرتها فى الرقاد(١)

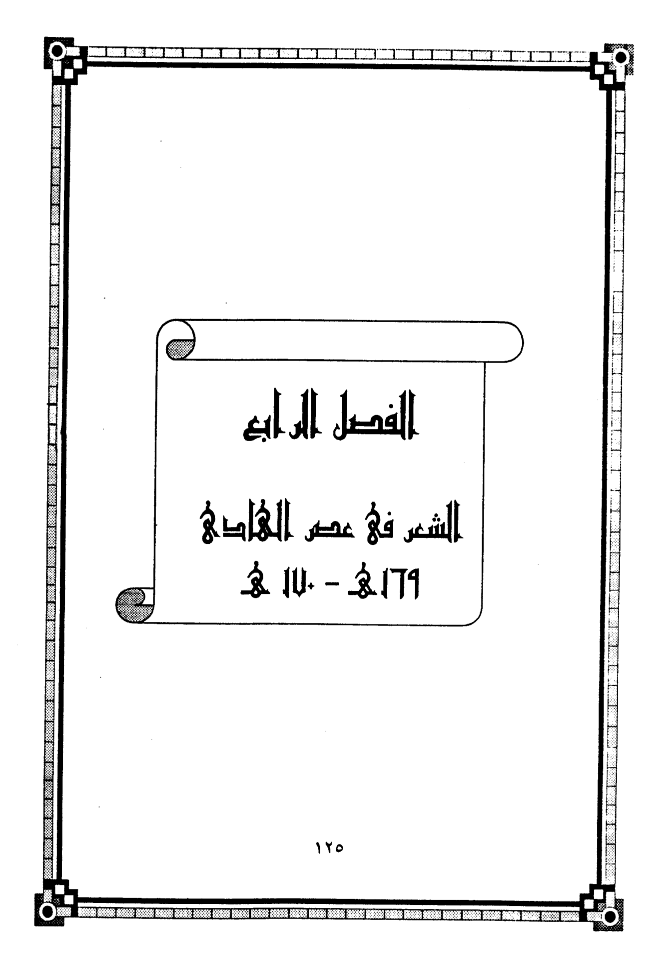
فالجارية تجرأت بشعرها الذى أنشدته المهدى، مما يدل على صولة الشعر فى بلاط المهدى، ويدل على أن الجوارى كن يعملن، ويهذبن، ويـــثقفن الـــثقافة الأدبيـــة، والبصر بالشعر العربى، ومعرفة أوزان الشـــعر، حتى إنها فى شعرها قد كتبت بيتين فيهما وصف، وتصوير لا يخلو من براعة، وطرافة، واطلاع على الشعر العربى.

وقـــد أجابهـــا المهدى ببيتين من الشعر فيهما تصوير جميل، ومعنى مبتكر، فقد أنشدت الجارية شعرا على البديهة، وأجابها الخليفة بشعر على البديهة أيضا.

ولعلـــنا نتصور فارق المكانة بين الخليفة وجاريته، لكن الأمر الذى اشتركا فيه معا هو قول الشعر، وشتان بين القائلين، لكنه الفن الجميل الذى ينظر النقاد إليه منفردا، وليس لمكانة قائله.

---

(١) العقد الفريد ٣٧٥/٤



# الفصل الرابع

## الشعر في عصر الهادي

## ١٦٩هـ - ١٧٠هـ

**الهــادى، ١٦٩هــــ - ١٧٠ هــ الخليفة العباسى الرابع، وهو أبو الخليفة المهدى، وأخو الخليفة الرشيد، وهو أبو محمد موسى الهادى بــن المهــدى، بويع بالخلافة مستهل صفر سنة تسع وستين ومائة، وتوفى ليلة الجمعة، لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ســبعين ومائـــة، وكانت خلافته سنة وشهرين إلا أياما[1] ووزر له الربيع واستحجب الفضل بن الربيع وولى القضاء أبا يوسف يعقوب.**

•••

روى أن الخـــليفة الهــادى كـــان لا يأذن لأحد من الشعراء مدة أيام خلافته، ولا يرغب فى الشعر، ولا يلتفت إليه.

فـــلما قـــال أبـــو الخطاب البهدلى رائيته المشهورة سأل أحد جلساء الهادى، فأوصل القصيدة إلى الهادى، فلما سمعها أعجب بها شديدا، وقال للحاجب: اخرج إلى الباب، فمر من ينادى: أين نسابة الأسد؟

ففعـــل الحاجب ذلك، فلما سمع أبو الخطاب البهدلى الشاعر ذلك علم أن شـــعره قد وصل وعمل عمله، والشعراء مجتمعون، فقال: هأنذا، وأخـــذ الحـــاجب بيده، وأدخله على الخليفة الهادى، فقال له الخليفة: هات، أنشدنا، فأنشده أبو الخطاب البهدلى قصيدته الرائية.

فاستحســـنها الخـــليفة الهـــادى، وأعجب بها، وأمر فى ذلك اليوم ألا يحجـــب عنه شاعر، وأن يعلموا أن أبا الخطاب البهدلى الشاعر كان

(١) العقد الفريد ٣٠١/٣

السـبب فى ذلـك، وأمر لأبى الخطاب الشاعر بألف دينار، وكساه، وحمله.

والقصيدة مشهورة، وهى هذه:

قل للخليفة موسى إن نائـله ... جزل هنى وما فى سيبه كـدر
متوج بالهدى بالحمد ملتحـف ... مسربل بالندى بالمجد مـتزر
موسى الذى بذل المعروف ينهبـه ... فى الناس فالجود من كفيه ينهمـر
أشم تنميه أباء جحاجحـة ... شم الأنوف على ما نابهم صبروا
لن يؤمن الناس من لم يؤمنوا أبدا ... والله يؤمن من أووا ومن نصروا
لا يكسر الناس ما شدوا جبائره ... وليس يجبر طول الدهر من كسروا
أنت الدعامة يا موسى إذا احتدمت ... نيرانها وحماة الحـرب تجتزر
وإن غضبت فما فى الناس من بشر ... إلا على خطر ما مثله خطـر
ما مخدر خدر مستأسد أسد ... ضبارم خادر ذو صولة زئـر
ببالغ عشر عشر من شجاعته ... إذا تنازلت الأبطال واشتجـروا
بل أنت أجرأ منه فى تقدمه ... وأنت أقدم منه حـين يجتنر
بل لو يلاقيك أضحى الليث من فرق ... وخيفة منك لاقى يومه القـدر
يا خير من عقدت كفاه حجزته ... وخير من قلدته أمرها مضـر
إلا النبى رسول الله إن له ... فضلا وأنت بذاك الفضل تفتخر (١)

(١) طبقات الشعراء لبن المعتز ص ١٣٢-١٣٤

والقصيدة مدح للخليفة الهادى، وقد مدحه بصفات منها كثرة نواله، وعطاياه، ووصفه بالهدى، والحمد، والكرم، والمجد، والشمم والشجاعة، والقوة، والجرأة، والفضل، والاعتراف بفضل النبى صلى الله عليه وسلم.

وهذا المدح جعل الخليفة الهادى يتراجع عن موقفه السلبى تجاه الشعر والشعراء إلى موقف آخر، وهو سماع شعر الشعراء، وإثابتهم على الشعر.

•••

وروى أن أبا الخطاب عمر بن عامر السعدى، المعروف بأبى الأسد، لما أنشد موسى الهادى شعرا مدحه به، يقول فيه:

يا خير من عقدت كفاه حجزته وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له الهادى: إلا من، يا بائس؟

---

موسى: هو اسم الخليفى الهادى، نائله: عطاؤه، جزل: كثيرن هنى: سائغ لذيذ، السيب: المعروف والعطاء، كدر: تكدير، متوج: الهدى موضوع فوق رأسه، ملتحف: جعل له الحمد لحافا، وغطاء، مسربل: جعل له الكرم سربالا، متزر: جعل له المجد إزارا، متوج، مسربل، متزر: بصيغة اسم المفعول، ملتحف: بصيغة اسم الفاعل، ينبهه: يملكه، ينهمر: ينزل بغزارة، أشم: فيه شمم، وهى الكبرياء والكرامة، تنمية: تعلى نسبه، جحاجحة: جحجاح، بفتح الجيم، وهو السيد، وشم الأنوف: من الشمم، وهو إرتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه، أءى: لجأ، جبائر: جمع جبيرة، من الجبر، وهو لأم الكسر أو التقوية، الدعامة: كل شئ يدعم ويقوى غيره، تجتزر: تذبح، مخدر، خدر، خادر: من صفات الأسد ومعناها مقيم فى خدره، أى عرينه، ضبارم: الأسد، مستأسد: قوى شجاع، ذو صولة: شديد، زئر: شديد الزأر والزئير مما يدل على عنفه، اشتجروا: تشاجروا، يجتئر: أى يجترئ، من الجرأة، حجزته: أى حجزه الإزار، وهى معقدة، وحجزه السراويل: التى فيها التكة.

فقال أبو الخطاب واصلا كلامه، ولم يقطعه:

إلا النبى رسول الله إن له فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخر

ففطن موسى الهادى ومن بحضرته أن البيت مستدرك، ونظروا فى الصحيفة، فلم يجدوه، فضاعف المهدى صلة أبى الخطاب.

وهـــو ارتجـــال فيه انهمار وتدفق لا يتوقف فيه قائله، كما قال ابن رشيق[1].

وهذه الرواية تدل على فهم دقيق وعميق من الهادى للشعر، وهو فهم وصـــل إلى حد أنه يسير مع معنى الشعر، ويصوبه، ويستدرك على الشعراء بعض المعانى، وهى ملكة نقدية عالية فى بابها.

***

روى أنـــه أتى موسى الهادى برجل، فجعل يقرعه بذنوبه، فقال: يا أميـــر، إن اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك، وإقرارى به يلزمنى ذنبا لم أجنه ولكن أقول:

فإن كنت ترجو فى العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة فى الأجر[2]

---

(١) العمدة ١/١٦٥

(٢) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٣٠

المعافاة: العفو.

فالـــرجل قد أتى ببيت شعر يعبر فيه لمن حاله تماما، كما يراه. قائلا للخليفة: إن كنت ترجو راحة فى العقوبة، فلا تزهدن فى الأجر عند العفو عن العقوبة.

ومخاطبة الشاعر الخليفة الهادى بالشعر دليل على أنه يعرف عنه أنه يعـــلم الشـــعر، ويطرب له، ويستجيب، فهو يعرض حاله أمام خليفة يقدر هذا الشعر.

***

روى أنـــه وصـــف ســـيف عـــمرو بـــن معد يكرب، الذى يقال له الصمصـــامة، لموسى الهادى العباسى. وكان قد اشتراه بمال جليل، فعابه. فوضع بين يديه مجردا، ثم قال لحاجبه: ائذن للشعراء.

فلما دخلوا، أمرهم أن يقولوا فيه، فبدرهم ابن يامين، فقال:

حاز صمصامة الزبيدى عمرو    من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمـــعنا    خير ما أغمدت عليه الجفـــون
أخضر المتن بين حديه نـــــور    من فرند تمتد فيه العيـــــــون
يستطير الأبصار كالقبس المشـــ    ـعل ما تستقر فيه العيـــــــون
أوقدت فيه الصواعق نـــــــارا    ثم شابت به الزعاف القيـــون
فإذا ما سللته بهر الشمـــــــــ    ـس ضياء فلم تكـــــد تستبـــين
فكأن الفرند والرونق الجـــــــا    رى فى صفحتيه ماء معـــــين
وكأن المنون نيطت إليـــــــــه    فهو من كل جانبيه منـــــــون

نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيـــ    جاء يسطو به ونعم القريـــــن
ما يبالى من انتضاء لضــــرب    أشمال سطت به أم يمــــــين[1]

فأمر له ببدرة، وخرجوا.

وروى أن الهادى الخليفة قال له: أصبت والله ما فى نفسى، واستخفه السرور، فأمر له بالمكتل، والسيف.

فــلما خرج ابن يامين من عند المأمون قال للشعراء: إنما حرمتم من أجــلى، فشـــأنكم والمكـــتل، ففى السيف غناء، فاشترى السيف بماء جزيل[2].

وهذه الرواية تدل على أن الخليفة الهادى لم يهدأ من إعجابه بالسيف، حتى أذن للشعراء أن يدخلوا عليه، ويقولوا فى السيف شعرا، وكأنه يــود أن يسجل معالم السيف عن طريق الشعر، فهو ديوان العرب، مما يدل على قيمة الشعر فى هذا العصر.

---

(١) العقد الفريد ١/٢١٠-٢١٢، وفيات الأعيان ٢/٣٠٤، ديوان المعانى ٢/٥٢ الصمصــامة: ســيف لعمرو بن معديكرب الزبيدى، وهبه لسعيد بن العاص، فتوالاته ولده إلى أن اشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل، حاز: ملك، الأنام: الخلق، الجفون: الأغمــاد، أخضر المتن: لون الحديد، نور: يقصد البريق، فهو مصقول، فرند: سيف، يســتطير الأبصــار: لا تثبت عليه للمعانه، وبريقه، وصقله، شابت: خلطت، القيون: جمــع قيــن، وهو الحداد، ويروى شاطت، وساطت: بمعنى خلطت، ويروى: الذباح، وهــو نــبت قاتل، سللته: أخرجته من غمده، ورفعته، يصف فرنده، وورنقه وحسنه بالمــاء، وذلــك لصــقله، المنون: جمع منية، وهى الموت، نيطت إليه: ارتبطت به، وتعــلقت، مخراق: لعبة للصبيان، الهيجاء: الحرب، القرين: الملازم، انتضى السيف: خرج من الغمد، أو شهر.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٠٤

- والعجيب أن الشاعر لما وصف السيف أعجب ذلك الوصف الخليفة الهادى، ووقع فى نفسه موقعا عظيما، وصادف هواه، حتى إنه قد رد عليه قائلا: أصبت، والله، ما فى نفسى، واستخفه السرور. كما تقول الرواية، فأمر له بالمكتل، والسيف.

وذلك يدل على إعجابه بالشعر أكثر من إعجابه بالسيف، مما يؤكد قيمة الشعر، ومكانة الشعراء عند الخلفاء العباسيين.

- واللافت النظر أن الشاعر انشد هذا الشعر على البديهة، مما يدل على أن الشعراء قد بلغوا حدا بعيدا من الإجادة فى هذا الفن الجميل، حتى إذا احتيج أن ينشدوا الشعر فى أى وقت، وفى أى موضوع أنشدوا.

- كذلك وجدنا الشعراء على باب الخليفة، فلما أراد أن يصف السيف أمر الحاجب أن يأذن للشعراء فى الدخول إلى مجلسه، لينشدوه الشعر، فوجدهم الحاجب، فدخلوا على الخليفة، وأنشدوه ما أراد من الشعر.

- وهذه الرواية تدل أيضا على مكانة الشعراء فى البلاط العباسى، حتى إنهم ليدخلون على الخليفة، وينشدونه الشعر، وينالون منه الجوائز، وهذه مكانة عالية للشعر، وتقدير كبير للشعراء.

- أكاد أزعم أن الهدف الذى كان من وراء دعوة الهادى الشعراء أن يصفوا السيف ليس الإعجاب بالسيف فحسب، وإنما الهدف أن

يوفر موضوعا جيدا، يصلح أن يكون مادة للشعر، وفكرة يتنافس الشعراء فى التعبير عنها بأساليب مختلفة، من الألفاظ والمعانى، فكـان غـرض الهـادى هو الشعر، وليس وصف السيف، وما وصـف السـيف إلا الموضـوع الذى يتنافس فى التعبير عنه الشعراء.

- إن الشعراء قد اجتمعوا على باب الهادى الخليفة العباسى، لعلمهم أنهـم يحتاج إليهم، ولو أنهم علموا أنهم لا يحتاج إليهم ما وقفوا على باب الخليفة، وهذه عادة الشعراء فى العصر العباسى، كما استقرأنا النصوص، والروايات التى رويت عن مجالس الخلفاء، ومناظرات الشعراء، أن يقفوا على أبواب الخلفاء، وأن يرجعوا مظفرين فائزين بالجوائز، والهبات، والعطايا، والصلات.
- وليس غريبا أيضا أن يقرض الشاعر شعرا على البديهة، ويجئ هذا الشعر على هذه الدرجة العالية، من الجودة، وحسن التعبير، وروعة الألفاظ، وجمال المعنى، والوفاء بالغرض، وما ذلك إلا اثـر ثقافـة الشعراء، وصقلهم مواهبهم، وتمكنهم من قرائحهم، ومعرفتهم اللغوية والأدبية التى تكون خير معين لهم، عندما يراد منه إنشاد الشعر فى موضوع من الموضوعات.
- وفى هذه الرواية دلالة على كثرة الشعراء الذين يستطيعون إجادة القـول فى الموضـوعات المختلفة على البديهة، لأن كلا منهم

معـــرض أن يقــف موقفا، يثبت به شاعريته، وتفوقه، وما كثرة الشعراء إلا دلالة على أن للشعر دولته، وصولته فى عصر بنى العباس، فكان الشعر متكسبا عظيما للشعراء، مما دفع الكثير إلى أن يــتقن هــذا الفن الجميل، الذى يخلد ذكره على مر التاريخ، ويكسبه فى حياته مجدا، وشهرة، ومالا وفيرا، ومجالسة للخلفاء، وهى أعظم مكانة فى ذلك العصر، وفى كل عصر.

***

وروى أن محمــد بن يزيد خرج مع موسى الهادى الخليفة العباسى، من جرجان.

فقال الهادى لمحمد بن يزيد: إما أن تحملنى، وإما أن أحملك.

ففهــم محمــد بــن يــزيد ما أراد الهادى، فأنشده أبيات ابن صرمة الأنصارى، وهى:

فاوصيكم بالله أول وهلـــــــة وأحسابكم والـــــبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهمو وإن كنتمو أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتمو أعوزتمو فتعففـــوا وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا[1]

---

(١) العقد الفريد ١/٢٦٦

ابـــن صرمة هو أبو قيس صرمة بن أنس بن صرمة، من بنى النجار، وكان قد ترهب فى الجاهــلية، وفــارق الأوثان، حتى قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم، وحسن إســلامه، وكان معظما لله سبحانه وتعالى فى جاهليته، يقول فى ذلك أشعارا منها هذه الأبيــات، ويــروى الــبيت الأول هكذا: فأوصيكم بالله بالبر والتقى، أعوزتم: يروى أمعرتم، وأمعر: افتقر ويروى: أمعزتم: أى أصابتكم شدة، فضل: زيادة، وهلة: لحظة،

وإن نزلت إحدى الدواهى بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن طلبوا عرفا فلا تحرمـوهم وما حملوكم فى الملمات فاحملوا[1]

فأمر الخليفة الهادى لمحمد بن يزيد بعشرين ألف درهم.

- فالخـليفة الهادى هنا أراد أن ينشد شعرا، أو ينشده رفيقه شعرا، فهـو يـريد أن يكون تفكهه بالشعر. مما يدل على مكانة الشعر عنده، وعلى ثقافته، وبصره بالشعر، لأنه يريد سماع الشعر، أو إنشـاد الشـعر أى يريد أن يكون الشعر هو المقرب بينه وبين مرافقيه.

ومعـنى ذلـك أنه تلقى تعليمه، وعنى بتأديبه كوكبة من علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته، فهو تلميذ لأعلام اللغة والأدب فى عصـره، ممـا يجعله محبا للشعر إلى هذا الحد الذى يطلب فيه إنشاد الشعر.

وقـد منح رفيقه عشرين ألف درهم نظير إنشاده شعرا ليس له، وإنمـا لشاعر قديم، وذلك دليل على ثقافته التى عنى بها، وهى الـثقافة التى تتخذ من التراث، والشعر القديم منهاجا، ومقياسا،

---

أو بـرهة، الأحساب: الأصول والأنساب، أعوزتم: افتقرتم واحتجتم، أفضلوا: تفضلوا بمنح الفضل.

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية، ١/٣٦٨
الـدواهى: جمع الداهية، العشيرة: الأهل، عرفا: معروفا، الملمات: جمع ملمة، وهى النازلة، أو الداهية، أو ما يلم وينزل، احملوا: أى تحملوا عنهم.

وميزانا للحكم على الشعر القديم، والتى كان لها دور فى الوقوف ضد المحدثين، أو المولدين من الشعراء، والتى اتخذت من اللون القديم للشعر نموذجا صالحا للشعر الذى يجب أن يسمعه الخلفاء، والتى اتهمت بالتعصب للقديم ضد المحدث من الشعر والشعراء، وجعلت من الزمن مقياسا للجودة والرداءة فى الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى، وما بعده.

- إن رفيق الخليفة فى رحلته كان ذا بعد فى الشعر، مما يدل على رغـبة الخلفاء فى مجالسة الأدباء، ورواة الشعر، ونقدته، ليكون الشـعر حديثهم فى المجالس، والرحلات، والمسايرات، مما يدل عـلى قيمـة الشـعر التى بلغها فى ذلك العصر الذى صار فيه الشعر وعظا للخلفاء، وسمرا، وتأديبا وتهذيبا، وتعليما، ودراية، وثقافـة، أى صـار الشـعر هو اللون الغالب للثقافة العالية فى مجالس الخلفاء.
- إن رفيـق الخـليفة قد اختار قطعة أدبية من قصيدة جميلة، فيها نصـائح قيمـة، ولعل الاختيار لهذه القصيدة يمثل ما أراد رفيق الخـليفة أن يقوله له، لكنه اختاره من الشعر القديم الذى يروق للخليفة، وهذا الاختيار يدل على ذوق، وثقافة، وبصر بالشعر.

***

روى أن الخـليفة الهادى حين يذكر ما سفكه بنو أمية من دماء بنى هاشـم تشـتمل عليه الهموم والأحزان، ويجفوه النوم، فلا يهدأ ولا يستريح، حتى يتقدم إليه ابن دأب، يبثه شجونه، فيهون عليه ابن دأب بذكـر مـن قتل من بنى أمية، على يدى عبدالله بن على، على نهر الفطرس. ومن قتل منهم على يدى عبدالصمد بن على، أو داود بن على، حين قتل منهم من قتل.

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمـــها أخذى بثأرى من بنى مروان
ومن آل حرب ليت شيخى شاهد سفكى دمـاء بنى أبى سفيان[1]

فيعود للهادى سروره، وتنبسط نفسه، وتظهر منه أريحيته.

فهـذه الرواية تؤكد تأثير الشعر فى الخليفة الهادى، حتى إنه لينشده ابـن دأب مـا أنشده عبدالله بن على، أو داود بن على، فيهون عليه همومـه وأحـزانه، ويرجع إلى نفسه الهدوء، والراحة، ويعود إليه سـروره، وتنبسط نفسه، وتظهر منه أريحيته، حين يسمع إنشاد ابن دأب بشـعر عـبدالله، أو داود ابنى على العباس الذى يقول فيه: لقد شفى نفسى أخذى بالثأر من الأمويين، من بنى مروان، وآل حرب،

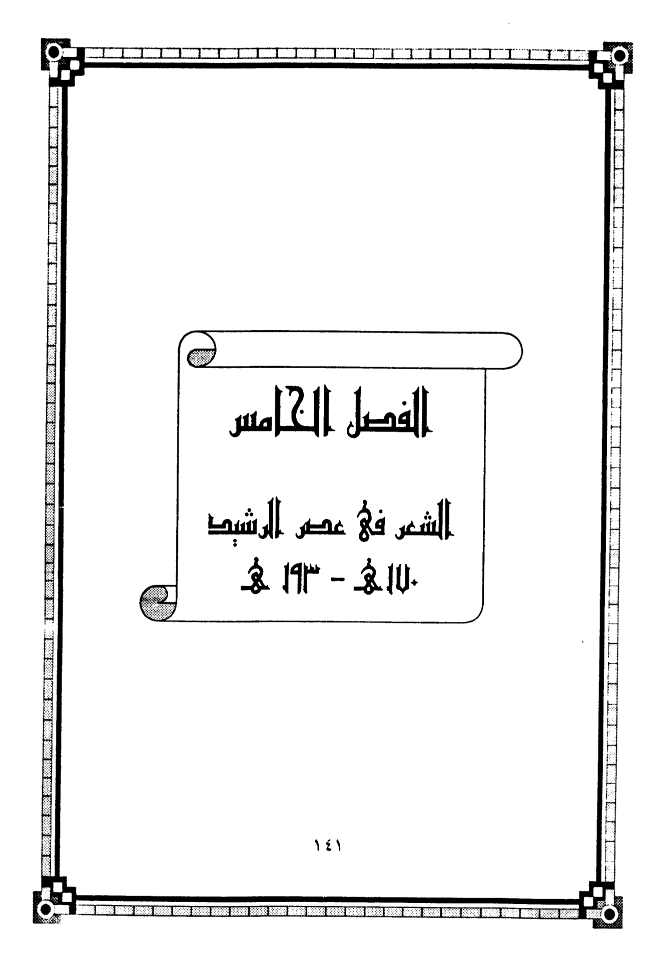
(١) مروج الذهب ٢/٢٥٨

شفى نفسه: أى من الغضب، أبرأ سقمها: شافاها من المرض، من بنى مروان: أى من الأمويـين المروانيين: عبدالملك بن مروان، وأولاده، آل حرب: معاوية بن أبى سفيان بـن حرب وأولاده، شيخى: يقصد العباس بن عبدالمطلب، وربما أراد شيخ العلويين، شاهد: حاضر.

ويتمـــنى أن يكون شيخه شاهد سفكه دماء بنى أبى سفيان بن حرب، ثأرا وإنتقاما من الأمويين.

وذلـــك دليل على تأثير الشعر الشديد على الخليفة الهادى، حتى إن الشعر ليزيل حنقه، وغضبه على الأمويين، ويذكره بالثأر منهم على يد بنى العباس.

وهـــو مـــن قـــبيل الشعر السياسى الذى يزكى نيران الصراع بين العباسين والأمويين.


الفصل الخامس
الشعر في عصر الرشيد
١٧٠هـ - ١٩٣هـ

هـارون الرشـيد، ١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ، هو أبو محمد هارون الرشـيد، أخـو الخليفة الهادى، وابن الخليفة المهدى، بويع فى اليوم الذى توفى فيه أخوه الهادى، يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شـهر ربيـع الأول سنة سبعين ومائة، وفى هذه الليلة ولد المأمون، الخليفة السابع، وتوفى فيها الهادى، الخليفة الرابع، وقام فيها الرشيد، الخليفة الخامس، ولم يكن فى سائر الزمان ليلة مثلها، وتوفى الرشيد فى جمـادى الأولى، سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكانت خلافته ثلاثا وعشـرين سـنة، وشـهرا، وستة عشر يوما، أنجب محمد الأمين، الخـليفة السادس من زوجته زبيدة، أمة العزيز، أم الواحد، ابنة أبى جعفـر المنصـور، كمـا أنجب عبدالله المأمون الخليفة السابع، من زوجته مراجل الفارسية، كما أنجب محمد المعتصم، الخليفة الثامن، مـن زوجـته مـاردة الـتركية، ووزر له جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، وقتله، ثم الفضل بن الربيع، واستحجب محمد بن خالد بن برمك[1].

***

أرى أن الرشيد قد تهيأت فى مدة خلافته أسباب، جعلت الشعر تعلو منزلته، وترتفع قيمته، لأن الدولة قد أسست، وأقيمت دعائمها، وكان

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٠-٣٠١

للرشيد من فراغ البال، وسعة الثراء، وكثرة الغنى فى دولته ما يسمح له أن ينظر إلى الشعراء، وشعرهم، وأن يثيب الشعراء أعلى إثابة.

كما كان الرشيد بحرا فياضا يفيض على العلماء والفقهاء من أمثال الأصمعى، والكسائى، وأبى يوسف، والأطباء من مثل جبرائيل بن نجنيشوع، فيقال إنه صار إليه فى عهده ما يزيد على أربعة ملايين من الدراهم[١].

وقد طرب الرشيد يوما لغناء محارق، فأقطعه ضيعة ودارا. ووصله بثلاثة آلاف دينار.

وكان للرشيد زهاء ألفى جارية من المغنيات والخدمة فى الشراب[٢].

أما صلاته لمغنيه الأثير عنده، وهو إبراهيم الموصلى، فيقال: إنها تجاوزت مائتى ألف دينار[٣].

وروى أن ما كان يحمل إلى بيت المال فى عهد الرشيد سنة سبعة آلاف وخمسمائة قنطار[٤].

وقيل: مات هارون الرشيد وفى بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيف[٥].

وقد بنى الرشيد قصرا على نهر دجلة يسمع منه غناء الملاحين[٦].

---

(١) عيون الأخبار ٨٥/١
(٢) الأغانى ٨٨/٩
(٣) الأغانى ١٩٢/٥
(٤) مقدمة ابن خلدون
(٥) صبح الأعشى١٧١/٢
(٦) حضارة الإسلام فى دار السلام ص ١٠٠، تاريخ بغداد ٧٥/١

وبلغت أعطيات الرشيد فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدمهـــا، ومعه ابناه: الأمين والمأمون ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار، غير ما فرضه فى تلك السنة خمسمائة من وجوه المدينة[١].

وقد أسرف الرشيد فى تشجيع الغناء، وجلس فى مجالسه، وافتتن به، وطرب له، وخرج به الطرب عن الحد أحيانا[٢].

ويـــروى أن الرشيد هو الذى طلب إلى إبراهيم وإسماعيل بن جامع، وفـــليح بن أبى العوراء أن يختاروا له الأصوات المائة التى أدار أبو الفرج الأصفهانى، فيما بعد، كتاب الأغانى عليها.

ويـــروى أنـــه لـــم يجـــتمع على باب خليفة من العلماء، والشعراء، والفقهاء، والقراء، والقضاة، والكتاب، والندماء، والمغنين، ما اجتمع على باب الرشيد، وكل يصل كل واحد منهم أجزل صلة، ويرفعه إلى أعلى درجة[٣].

وقـــد قيـــل عـــن الرشيد: إن الطهاة كانو يطهون له ثلاثين لونا من الطعـــام فى اليوم، وإنه كان ينفق على طعامه عشرة آلاف درهم فى اليوم.

---

(١) تاريخ الطبرى ١٢٣/١٠
(٢) الأغانى ٤٠/٥
(٣) كتاب التاج للجاحظ ص ٣٧، الفخرى ص ١٧٧-١٧٨

وروى أن الرشــيد استكثر هو وزوجته زبيدة من الجوارى والإماء حــتى قيــل: إنه كان عند كل منهما زهاء ألفين فى أحسن زى من الثياب والجواهر[1].

وروى المســعودى أن ابــراهيم بن المهدى استزار الرشيد بالرقة، وكــان يأكل الطعام الحار قبل البارد، فلما وضعت البوارد رأى فيما قــرب إليــه منها جام قريض سمك، فاستصغر القطع، وقال الرشيد لإبراهيم بن المهدى: لم صغر طباخك فى تقطيع السمك؟

فقال إبراهيم بن المهدى: هذه ألسنة السمك، يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: فيشبه أن يكون فى هذا الجام مائة لسان.

قال مراقب خادمه: يا أمير المؤمنين، فيها أكثر من مائة وخمسين.

فاستحلفه الرشيد عن مبلغ ثمن السمك، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهــم، فــرفع الرشيد يده، وحلف ألا يطعم شيئا، دون أن يحضره مــراقب ألف درهم، فلما حضر المال أمر أن يتصدق، وقال: أرجو أن يكون كفارة لسرفك فى إنفاقك على جام سمك ألف درهم.

وفــاق الرشــيد كل من سبقه فى ولوعه بالغناء والموسيقى، وأجزل العطاء للمغنين، وجعلهم مراتب وطبقات، وكذلك أهل الموسيقى[2].

---

(١) الأغانى ١٠/١٦٢

(٢) كتاب التاج للجاحظ ص ٣٧.

وقد بلغت الدولة العباسية قمة الازدهار فى العهد الأول من عهودها، وأدركــت خلافــة بغداد أوج عزها بوجه عام فى الحقبة التى بدأت بولايــة الخــليفة الثالث: المهدى، وانتهت فى زمن الخليفة التاسع؟ الواثق.

وبوجه خاص أيام هارون الرشيد، وابنه المأمون اللذين ألقيا على هذا العصــر هالــة مشــوقة من النور، بحيث أصبح يعد أزهى عصور التاريخ الإسلامى على الإطلاق.

وقــد لمــع اســم هارون الرشيد، وأصبح كثير الشيوع فى الغرب والشــرق عــلى السواء، ولعل الكثير من هذا يرجع إلى أنه الخليفة المقصود فى قصص ألف ليلة وليلة، تلك الدراما الشيقة التى جذبت أنظــار الفقيــر والغــنى على السواء فى أوربا وآسيا، ولكن شهرته الكبرى مستمدة من تشجيعه العلوم، ومن البهاء والروعة التى ألبسها بغداد، وجعلها أزهر مدن العالم.

وكــان يسير فى موكبه العلماء، وأئمة الفقه، والشعراء، والفلاسفة، ومن الشعراء أبو العتاهية، وأبو نواس والأصمعى، وهذا مما أضفى على عهده ذلك البهاء الذى اقترن به(١).

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٣٣٧-٣٣٨

وقـد كـان مـوالى الرشيد من البرامكة إذا كسبوا معدما، فإنما هى الولايـة والـنعمة أخر الدهر، لا العطاء الذى يستنفذه يوم أو بعض يوم(١).

وكـان يحيى بن خالد البرمكى إذا ركب أعد بدرا، فى كل منها مائتا درهم، ليعطيها لمن يلتمسون سؤاله فى الطريق.

وقـد أهـدت أم جعفر زبيدة زوج الرشيد أبا يوسف الفقيه القاضى دراهم، ودنانير، وغلمانا، وتخوتا من ثياب، وحمارا، وبغلا.

فقال له بعض من حضره: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أهديت إليه هدية فجلساؤه شركاؤه فيها.

فقال أبو يوسف: تأولت الخبر على ظاهره، والاستحسان قد منع من إمضـائه، ذاك إذ كـان هدايا الناس التمر واللبن، لا فى هذا الوقت، وهدايـا الناس اليوم العين والورق وغيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(٢).

كل ذلك الثراء يدل على أن للشعراء جزءا من هذا الثراء، كما يشجع الشعراء على استيهاب جزء من هذه الأموال عن طريق شعرهم لدى خـليفة يقـدر الشعر ودوره، وله من كرمه وأريحيته ما يتيح له أن يهب الشعراء ماشاء، وماشاءوا، من أجل فنهم الشعرى الرفيع.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٩
(٢) مروج الذهب ٢/٢٦٥

***

روى أن الفــراء العــالم اللغوى دخل على الرشيد يوما، فتكلم بكلام لحن فيه، فقال له الرشيد: أتلحن يا فراء؟

قــال الفــراء: يا أمير المؤمنين، إن طباع أهل الحضر اللحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطباع لحنت.

فقبل الرشيد قوله[1].

والشاهد أن الرشيد يراجع الفراء فى النحو، مما يدل على أن الرشيد قد بلغ مبلغا عظيما فى النحو واللغة.

***

وروى أن الرشــيد كــتب فى ليلة من الليالى إلى أبى يوسف الفقيه، صاحب أبى حنيفة: أفتنا، حاطك الله فى هذه الأبيات:

فإن ترفقى يا هند فالرفق أيمن وإن تخرقى يا هند فالخرق أشأم

فأنت طلاق والطلاق عزيمــة ثلاثا ومن يخرق أعق وأظلــــم

فقــد أنشد البيت: عزيمة ثلاث، بالرفع، وعزيمة ثلاثا، بالنصب، فكم تطلق بالرفع، وكم تطلق بالنصب.

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٤١-٤٢

قـال أبو يوسف: فقلت فى نفسى: هذه مسألة فقهية نحوية، إن قلت فيهـا بظـنى لـم آمن الخطأ، وإن قلت لا أعلم قيل لى: كيف تكون قاضى القضاة، وأنت لا تعرف مثل هذا؟

ثم ذكرت أبا الحسن حمزة بن على الكسائى معى فى الشارع، فقلت: ليكن رسول الخليفة بحيث يكرم، وذهبت، فدخلت على الكسائى، وهو فى فراشه، فأقرأته الرقعة، فقال لى الكسائى: خذ الدواة واكتب.

أمـا مـن أنشد البيت بالرفع، فإنه طلقها واحدة، وأنبأها أن الطلاق لا يكون إلا بثلاث، ولا شئ عليه.

وأمـا من أنشد عزيمة ثلاثا، بالنصب، فقد طلقها، وأبانها، لأنه قال: أنت طالق ثلاثا.

فـأنفذت الجواب، فحملت إلى آخر الليل جوائز، وصلات، فوجهت الجميع إلى الكسائى[1].

والشاهد أن الرشيد يبحث فى ضبط ألفاظ بيتين من الشعر، مما حدا بـه أن يكتب إلى عالم فقهى، مثل أبى يوسف، الذى عرضها بدوره على الكسائى العالم اللغوى، فكان الجواب الذى أجاز عليه الرشيد أبا يوسف بالجوائز والصلات.

***

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٠

روى أنه قد حضر فى مجلس الرشيد الأصمعى والكسائى عالما اللغة والنحو، ورواة الأدب، فسأل الرشيد عن بيت الراعى:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما     ودعا فلم أر مثله مخذولا

فقال الكسائى: كان قد أحرم بالحج.

فضحك الأصمعى، فقال الرشيد للأصمعى: ما عندك؟

فقـــال الأصـــمعى: والله ما أحرم بالحج، ولا أراد أيضا أنه دخل فى شهر حرام، كما يقال: أشهر، وأعام، إذا دخل فى شهر، أو عام.

فقال الكسائى: ما هو إلا هذا، وإلا فما المعنى للإحرام؟

قال الأصمعى: فخبرنى عن قول عدى بن زيد:

قتلوا كسرى بليل محرما     فتولى لم يمتع بكفن

أى إحرام لكسرى؟

فقال الرشيد: فما المعنى؟

قال الأصمعى: يريد أن عثمان لم يفعل شيئا يوجب تحليل دمه.

فقال الرشيد: يا أصمعى، ما تطاق فى الشعر[1].

والشاهد أن جلساء الرشيد كانوا من أمثال الأصمعى والكسائى، وذلك لـــه دلالـــة عظيمة على علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته، وذوق الرشيد الفنى والأدبى واللغوى.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٠-٣٠١

- إن الرشـــيد ســـأل الأصمعي والكسائي عن معنى بيت شعرى، وعقــد مـــناظرة بيـــنهما، وفي ذلك إثراء لعلمه، وأدبه، وثقافته اللغوية، وذوقه الفني.
- إن الرشـــيد حكم في النهاية بأن الأصمعي ما يطاق في الشعر، وذلك دليل على علو كعبه في اللغة.
- إن هـــذه الرواية تثبت أن سمر المجالس للخليفة كان يدور حول اللغة، والشعر، والنقد.

***

روى أن الأصـــمعي قال: بعث إلى الأمين، وهو ولى عهد، فصرت إليـــه، فقال: إن الفضل بن الربيع يحدث عن أمير المؤمنين أنه يأمر بحملك إليه، وكان بالرقة يومئذ، فجهزت، وحملت إليه، فلما وصلت أدخلـــنى الفضـــل بـــن الـــربيع على الرشيد، فإذا هو جالس منفرد، فسلمت، فاستدناني، وأمرنى بالجلوس، فجلست.

فقال الرشيد: يا عبدالملك، وجهت إليك، بسبب جاريتين، أهديتا إلى، قــد أخذنا طرفا من الأدب، أحببت أن تبور ما عندهما، وتشير فيهما بما هو الصواب.

ثــم اســـتدعى الجـــارتين، فسألت إحداهما عن حروف من القرآن، فأجابتـــنى، كأنهـــا تقرأ من كتاب، وسألتها عن النحو، والعروض، والأخبار، فما قصرت، ثم سألتها: هل تقرضين الشعر؟

فاندفعت تقول:

ياغياث البلاء من كل محل ما يريد العباد إلا رضاكا

لا من شرف الإمام وأعلى ما أطاع الإله عبد عصاكا[1]

فقال الأصمعي، يا أمير المؤمنين، ما رأيت امرأة فى مسك، أى جلد، رجل منها.

وسأل الأصمعى الأخرى، فوجدها دونها، وبعد حديث طويل، وسمر مع الخليفة أمر الرشيد للأصمعى بمائة ألف درهم، وأمر له الفضل بعشرة آلاف، وأشركته الجارية الأولى فى عطائها.

والشـــاهد أن الجوارى فى عصر الرشيد كن يعلمن الشعر العربى، والقرآن الكريم، والنحو، والعروض، والأخبار، وكن يقرضن الشعر، وكن يجلبن لقصر الخليفة بعدما يمتحن.

- إن الشـــعر الـــذى أنشـــدته الجاريـــة الأولى كان مدحا للرشيد، فصادف هوى فى نفسه.
- إن الأصـــمعى حكـــم عـــلى الجاريتين، ووافق الرشيد على هذا الحكـــم، وقد استدعى الرشيد الأصمعى لهذا الامتحان، فهو يلجأ إلى خبير.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٣-٣٠٤
غياث: مطر، محل: جدب.

- كـل ذلـك يدل على أن للشعر منزلة عالية عند الرشيد، الخليفة العباسي.

•••

روى أن رجلا من بنى أمية تصدى لها رون الرشيد الخليفة العباسي، فأنشده:

| | |
|---|---|
| يا أمين الله إنى قائـــــل | قول ذى فهم وعـلم وأدب |
| عبد شمس كان يتلوها شحا | وهما بعـــــد لأم ولأب |
| فاحفظ الأرحام فينا إنمـــا | عبد شمس عـم عبدالمطلب |
| لكم الفضل علينا ولنــــا | بكم الفضل على كل العرب(١) |

فأحسن الرشيد جائزته، ووصله.

وهـذه الـرواية عجيبة، إذ إن القائل أموى، والخلافة العباسية قامت عـلى أشـلاء الدولة الأموية، والعباسيون يثبتون حقهم فى الخلافة، ويرون أن الأمويين قد اغتصبوهم حقهم، فالنفوس فيها حنق وغضب على الأمويين، وكتب التراث تذكر كثيرا من آثار هذا الغضب، ومع ذلـك فهذا الأموى الذى تصدى لها رون الرشيد، وأنشده يعلم ما فى نفـس الرشـيد مـن الغضب على بنى أمية، لذا فهو يستل غضب

---

(١) العقد الفريد ٢/٢١١

أميـن الله: الخـليفة الرشـيد، عبد شمس: جد الأمويين، هاشم: جد الهاشميين، ومنهم العباسيون، عبدالمطلب: والد العباس الذى ينسب إليه العباسيون، وهما بعد لأم ولأب: أى أصلهما واحد بع عبد شمس وهاشم فى النسب.

الرشــيد، باستعطافه بهذا الشعر الذى أحسن فيه الاستعطاف، فأحسن إليه الرشيد، ومن ثم فإننى أنوه بذكاء هذا الشاعر.

وقد خاطب الشاعر الرشيد: يا أمين الله، إننى قائل قول الفاهم العالم الأديــب: إن عبد شمس جد الأمويين كان تاليا لهاشم جد الهاشميين، وهما بعد ذلك ينتسبان لأب واحد، وأم واحدة، فاحفظ يا أمين الله فينا الأرحام، لأن جدنا عبد شمس كان عم جد الهاشميين، عبدالمطلب بن هاشم، وأنتم، أيها الهاشميون، لكم الفضل علينا، ولنا بكم الفضل على كل العرب سواكم.

فالشــاعر هــنا استل سخيمة الرشيد، بأن أوضح له أن الأمويين فى الحق يتلون الهاشميين من علويين وعباسيين، وأن الأمويين بهذا لهم الفضــل عــلى بــاقى العرب، فقد أقر بمكانة العباسيين، وحقهم فى الخلافة، ومكانة الأمويين، وشرفهم بالعباسيين الذى يعليهم على باقى العرب، فقد صادف هوى فى نفس الرشيد، لذا أحسن الرشيد جائزته، ووصله.

فهــذا الشــعر مــن قبيل الشعر السياسى الذى يثبت حق العباسين، ويعترف بسبقهم، ويذكر دليلا على ذلك من العلم بالنسب، وممن؟ من شاعر من بنى أمية.

***

روى أنــه لمــا قدم هارون الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد، والتصوف، وترك الغزل، فأمره الرشيد أن يتغزل، فأبى أبو العتاهية، فحبسه الرشيد، فغنى أبو العتاهية بقوله:

خليلى مالى لا تزال مضرتى ... تكون على الأقدار حتما من الحتم

كفاك بحق الله ما قــد ظلمتنى ... فهذا مقام المستجير من الظلــم

ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى ... ألا مسعد حتى أنوح على جسمى[1]

فأمــر الرشيد بإحضاره وقال: بالأمس ينهاك أمير المؤمنين المهدى عــن الغــزل، فتأبى إلا لجاجا، ومحكا، واليوم آمرك بالقول، فتأبى جرأة على، وإقداما.

فقال أبو العتاهية: يا أمير المؤمنين إن الحسنات يذهبن السيئات، كنت أقــول الغزل، ولى شباب، وجدة، وبى حراك، وقوة، وأنا اليوم شيخ ضعيف، لا يحسن بمثلى تصابٍ.

فرده الرشيد إلى حبسه، فكتب أبو العتاهية إليه:

أنا اليوم لى والحمــد لله أشهر ... يروح على الغــم منك ويبكر

تذكر أمــين الله حقى وحرمتى ... وما كنت تولينى لعــلك تذكر

ليالى تدنى منك بالقرب مجلسى ... ووجهك من ماء البشاشة يقطر

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٤٥

خليــلى: مثــنى خليل بمعنى صاحب، وهو منادى بحرف نداء محذوف، حتما: لازما، المســتجير: الــذى يطل الإجارة من الظلم، مسعد: اسم فاعل من أسعد الرباعى، أى مساعد، أنوح: أبكى.

فمن لى بالعين التى كنت مرة   إلى بها من سالف الدهر تنظر

فبعث الرشيد إليه: لا بأس عليك.

فقال أبو العتاهية:

كأن الخلق ركب فيه روح   له جسد وأنت عليه راس

أمين الله إن الحبس بأس   وقد وقعت ليس عليك باس[١]

فأخرجه الرشيد من السجن.

وهـذا الشعر الذى أنشده أبو العتاهية، وغنى الرشيد به هو عرض لمظلمته وشكواه، ولا يجرؤ غير الشاعر فى عرض شكواه على هذا النحو، فهو يعلن أن الخليفة قد ظلمه، وأنه يستجير من ظلم الخليفة، وأعـلن أن مـا يناله إنما هو فى سبيل الله، من حبس، وضياع قوة، فـهى شـكوى شديدة الوقع على الخليفة، ويؤكد أنه ينوح على إيذاء جسمه من قبل الخليفة، من جراء حبسه.

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٤٥-٤٦

يـروح: مـن الرواح، وهو الوقت آخر النهار، ويبكر: من البكور، وهو الوقت أول النهار، تذكر: أمر يقصد به الرجاء، والالتماس، أو التمنى، أمين الله، أى يا أمين الله، مـنادى بحـرف نداء محذوف، يقصد الرشيد، تدنى: تقرب، البشاشة: السرور، سالف الدهـر: مـا فـات منه، راس: رأس، وسهلت الهمزة لضرورة القافية، وكذلك باس، أصلها بأس، وسهلت الهمزة لضرورة القافية. أمين الله أى يا أمين الله، منادى بحرف نداء محذوف.

والـــرواية تثبت أن الرشيد قد أحضر أبا العتاهية، وعابه بأنه قد نهاه الخـــليفة المهدى من الغزل، أبو العتاهية، وأن الرشيد يأمره بالغزل، فيأتى أبو العتاهية، أى إنه يعصى الخلفاء، ولا ينفذ لهم رأيا.

فاعـــتذر أبو العتاهية بأن لكل زمن فى الحياة قول، فكان الغزل فى أيـــام الشباب، ولا يحسن فى الشيخوخة ولما رد الرشيد أبا العتاهية إلى حبســـه كـــتب إليـــه أبو العتاهية مظلمة أخرى فيها استعطاف، وخطـــب ود الخليفة، إذ يقول: إنه يروح عليه الغم، ويبكر منذ أشهر ويلتمس من الخليفة أن يتذكر حقه، وحرمته، وما كان يوليه من نعمة وجميل، وتقريبه من مجلس الخليفة، وبشاشته فى وجه أبى العتاهية، ويتمـــنى أن ينظر إليه الخليفة بعين الإكرام التى كان ينظر بها إليه قبل ذلك.

وقـــد رد الرشـــيد على أبى العتاهية بقوله: لا بأس عليك، فأيقن أبو العتاهية أن الأمر الذى كان يضيق منه الخليفة قد خفت حدته، فكتب أبـــو العـــتاهية إلى الرشيد قائلا: إن الخلق جسد، وأنت رأسه، وإن الحبس بأس، وقد وقعت فى مظلمتى: ليس عليك بأس، يا أمين الله.

فعفـــا عنه الرشيد، وأخرجه من السجن وذلك دليل على قبول مظلمة أبى العـــتاهية الـــتى عرضها فى ثلاثة مواقف شعرية، وأرسلها إلى الرشيد.

•••

روى أن المعلى بن ظريف حمل إلى الرشيد آلة للهو يقال لها الزنج، تشبه الصنج، فلما استحضره عرف الرشيد أن المعلى تعلم الضرب بـــه، فأمره بالضرب، وأحضر وصيفة، فضرب على الزنج، ونظر إلى الوصيفة، ثم غنى المعلى:

ممكورة الساقين صفر الحشا     خلخالها يسقط من رجلها<br>
لا والذى أصبحت عبــدا له     ما نظرت عينى إلى مثلها<br>
ممشوقة كالغصـــــن ميالة     جارية أفرق من ظلـــها[1]

فقـــال له الرشـــيد: لا تفـــرق مـــن ظلها يا معلى، هى لك، خذها، وانصرف إلى عملك، ولست أعزلك عنه ما حييت.

وهـــذا مجلس من مجالس الخليفة الرشيد، وهى كثيرة، ورويت عنه روايات أثبتتها كتب التراث الأدبى، والتاريخى، وهذا المجلس حمل فيـــه المعـــلى إلى الرشيد آلة للهو، ولو علم أن هذه الآلة لن تقع من نفسه موقعا حسنا ما حملها إليه.

ثم يأمره الرشيد بالضرب، فضرب، وغنى شعرا.

والشعر هو مادة الغناء، والخليفة هنا أقر فى مجلسه الغناء والشعر، مما يدل على حسن موقعهما عنده.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٣٤
الممكـــورة: المـــرأة ذات الســـاق الغليظة المستديرة، صفر: خال، خلخالها يسقط من رجـــلها: لا ستدارة الساقين، الذى أصبحت عبدا له، المفروض أنه هو الله تعالى، لكنه هنا يقسم بالرشيد، ممشوقة: قليلة اللحم رقيقة الأعضاء، أفرق: من الفرق، وهو الفزع.

والشـــعر الذى أنشد فى هذا المجلس شعر غزل مادى، تجرأ جليس الخـــليفة فيـــه على هذا الوصف لوصيفة بيت الخلافة، وهو وصف حســـى مــــادى، وهـــو أمر غريب أن ينشد فى مجلس الخليفة، لكن الأغـــرب من ذلك أن الخليفة الرشيد أهدى جليسه هذه الوصيفة، مع وعد بأن لا يعزله طوال حياته.

وهذا الإهداء منحة كبيرة فى مقابلة ثلاثة أبيات من الشعر، لكن هذا المقابل كان للخليفة، وحظى من الخليفة بإعجاب شديد، فالجائزة تربو لأنها تقع فى مقابلة الإعجاب بالشعر، مما يدل على أن قيمة الشعر، مهمـــا قل هذا الشعر، تعلو عند الخليفة الرشيد، وأن تقديره لهذا الفن تقدير لا يخلو من تمييز الشعر فى بلاطه.

وأكـــاد أزعم أن هذا التقدير لم يكن للغناء، وإنما للشعر، لذا فالرواية تثبت فهم الخليفة الشعر، والجائزة نفسها تدل على تجاوب الخليفة مع الشعر، والشاعر.

***

روى أن هـــارون الرشيد نزل على هرقلة بالشام سنة تسعين ومائة، وكـــان طـــ الروم نقفور قد هادن الرشيد، ثم نكث، وكان الرشيد مريضا، فكرهوا تعريفه بذلك لمرضه، فدخل عليه من أنشده:

نقض الذى أعطاكه نقفور وعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فإنـــه فتح أتاك به الإله كبـــير[1]

فقـــال الرشـــيد: أو قد فعل؟ ثم جهز، وغزا ملك الروم، فنزل على هرقلة هذه.

•••

وروى أن الـــذى قـــال هذين البيتين عبدالله بن أيوب التيمى، وروى بيتان بعد هذين البيتين، وهما:

نقفور إنك حين تغدر أن نأى عنك الإمام لجاهل مغرور

أظننت حين غدرت أنك مفلت هبلتك أمك ما ظننت غرور[2]

وكـــان الشعر فى هذه الرواية هو مادة الإخبار التى أراد بها الشاعر إخبار الرشيد، وهو مريض، بواقعة نقض نقفور العهد الذى هادن به الرشـــيد، وكـــان الشاعر هو الذى يخبر الخليفة، وكانت وسيلته هى الشـــعر، وقـــد نجحت هذه الوسيلة، فجهز الرشيد جيشا، وغزا ملك الروم، وفتح هرقلة.

فكان الشعر مادة الإخبار، ومادة تحميس الخليفة على حرب الروم.

•••

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥٩٢-٥٩٣

نقفور: ملك الروم، البوار: الهلاك.

(٢) تاريخ الطبرى ٩١/١٠

نأى: بعد، الإمام: يقصد هارون الرشيد، مفلت: أى من العقاب، هبلتك: فقدتك.

روى أن هـــارون الرشـــيد قـــال للزهيرى: من بالمدينة ممن يحرم الغناء؟ بلغنى أن مالك بن أنس يحرمه.

قـــال الزهيـــرى: فشهادتى على أبى، أنه سمع مالكا فى عرس ابن حنظلة الغسيل يتغنى:

سليمى أزمعت بينا  فأين بوصيها أينا[1]

فتبســـم الرشيد لذلك، إظهارا لسروره، وموافقته، وما الشعر إلا مادة الغناء.

والرشـــيد فى هـــذه الرواية قد تبسم إعجابا بما سمع أن مالكا تغنى بالشـــعر، بهذا البيت الشعرى، والشعر هو المادة الأولى للغناء، مما يـــدل عـــلى سروره بهذا الشعر، وهذا الغناء، والشعر هنا لون من الغـــزل الـــذى يبين فيه الشاعر أن صاحبته سليمى قصدت الفراق، ونوته، ويتساءل قائلا: فأين فراقها، أو منزلها؟

***

روى أن الخليفة المهدى أمر لمروان بن أبى حفصة الشاعر بأربعين ألف درهم، وفرض له على أهل بيته، وجلسائه ثلاثين ألف درهم.

وأمـــر الخـــليفة هـــارون الرشيد بعد ذلك، لما ولى الخلافة لسلم بن عمرو الخاسر الشاعر، وقد مدحه، بسبعين ألف درهم.

---

(١) العقد الفريد ١٠٩/٤

سليمى: تصغير سلمى، أزمعت: انتوت، البين: الفراق.

فقـــال سلم بن عمرو الخاسر الشاعر للخليفة هارون الرشيد: يا أمير المؤمنين، إن أكثر ما أعطى المهدى "الخليفة العباسى" مروان بن أبى حفصة "الشاعر" سبعون ألف درهم فزدنى، وفضلنى عليه.

ففعل الخليفة هارون الرشيد ذلك، وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم.

فقال سلم بن عمرو الخاسر، الشاعر:

ألا قل لمروان أتتك رســــــالة ... لها نبأ لا ينثنى عن لقائـــــكا

حبانى أمير المؤمنين بنفحـــــة ... مشهرة قد طأطأت من حبائكا

ثمانين ألفا حزت من صلب ماله ... ولم يك قسما من أولى وأولئك

فأجابه مروان بن أبى حفصة فقال:

أسلم بن عمرو قد تعاطيت غاية ... تقصر عنها بعد طـــول عنائكا

فأقسم لولا ابن الربيع ورفـــده ... لما ابتلت الدلو التى فى رشائكا

وما نلت مذ صورت إلا عطية ... تقوم بها مصرورة فى ردائكا[1]

وقد رويت هذه القصة فى العقد الفريد لابن عبد ربه، فقال:

قـــال شـــاعر يهجو مروان بن أبى حفصة، ويعيبه بأخذه من العامة، ويفخر بأنه لا يأخذ إلا من الملوك، فقال:

---

(١) مهذب الأغانى ٩/٥٢-٥٣
حـــبانى: أعطانى، نفحة: هبة أو منحة، مشهرة: مشهورة، طأطأت: خفضت، صلب: يقصـــد أصل، قسما: مقسوما، تعاطيت: نلت، عناء: تعب، الرشاء: الحبل، لما ابتلت: أى ما نلت، ولا أثريت، ضربه مثلا، صورت: خلقت، بالبناء للمجهول، عطية: منحة، أو هدية أو هبة، مصرورة فى ردائك: أى صغيرة، كناية.

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمة من هؤلاء وأولئكا
وما نلت حتى شبت إلا عطية تقوم بها مصرورة فى ردائكا(١)

وهذه الرواية تكشف عن عطاء الخلفاء للشعراء فى العصر العباسى الأول، فالخليفة المهدى منح مروان بن أبى حفصة الشاعر بأربعين ألف درهم، وفرض له على أهل بيته، وجلسائه ثلاثين ألفا، فصار عطاؤه سبعين ألف درهم.

فلما أمر الخليفة هارون الرشيد لسلم بن عمرو الخاسر الشاعر بسبعين ألف درهم نظير مدحه اياه إلتمس سلم من الرشيد أن يزيده، ويفضله على مروان لما أعطى من الهادى فاستجاب الرشيد، وأعطى سلما تتمة ثمانين ألف درهم، ليزيد على عطاء المهدى لمروان عشرة آلاف درهم.

وفى هذه الرواية مبالغة الخلفاء فى مدح الشعراء، وتجاسر الشعراء على طلب النوال الذى يحددونه من الخلفاء، واستجابة الخلفاء مطالب الشعراء، وزيادة كل خليفة على من سبقه فى منح الشعراء.

أما شعر سلم فهو فخر بأنه ينال عطاء أمير المؤمنين، وليس عطاء من غيره، فهو يفاخر مروان بهذا المعنى. فرد عليه مروان بشعر بأنه تقصر غايته عن تلك المكانة التى يفاخر بها، وأنه لولا ابن

---

(١) العقد الفريد ٣١٩/١

الربيع ما نال شيئا، وأن العطايا التى ينالها ضئيلة، تصر فى الرداء لقلـــتها، وأنه يتطاول بنيل عطايا الخليفة، مع أن غايته لا تصل إلى هذا الحد.

فصـــار الاتصـــال بالخلفاء، ونيل عطاياهم فخرا للشعراء، وموضعا للتباهى، والتفاخر.

•••

روى أن الأصمعى دخل على هارون الرشيد فسأله الرشيد عما أبطأ به، فاعتذر الأصمعى بالاحتجام، فسأله الرشيد عما أكل عليها، فقال الأصمعى: سكباجة وطهباجة.

فقال الرشيد: رميتها بحجرها، أتشرب؟

فقال الأصمعى: نعم، وقال:

اسقنى حتى ترانى مائلا     وترى عمران دينى قد خرب[1]

قال الرشيد لخادمه: أى شئ معك؟

قال: ألف درهم.

قال الرشيد: ادفعها للأصمعى.

---

(١) العقد الفريد ٤/١٤-١٥، ٤/٣٣٤
اسقنى: يقصد الخمر، مائلا: غير معتدل القوام، عمران: معمور، أو عامر.

والشاهد هنا أن الرشيد قد منح الأصمعي ألف درهم مقابل بيت واحد من الشعر، وقد سأل خادمه عما معه، فقال الخادم: ألف درهم، فدفعها للأصمعي.

وهذه الرواية تدل على أن الخادم لو كان معه أكثر من ذلك لأمره الخليفة بدفعها للأصمعي.

كما تدل الرواية على أن جلساء الخليفة كانوا من علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته، مما يدل على أن للشعر سوقا نافقة في بلاط الخلافة العباسية.

ومع أننا لا نوافق على هذا البيت الشعري، في معناه، ومضمونه، ودلالته إلا إننا نتخذ منه دليلا على صولة الشعر، ودولته في مجالس الرشيد.

•••

وهذه الروايات تؤكد أن دولة الشعر كانت ذات أثر بعيد في بلاط الخليفة الرشيد، حيث أن صولة الشعر قد وصلت إلى حد أن وصائف قصر الخلافة في عهد الرشيد قد كتبن على عصائبهن شعرا، والعجيب أنه شعر يعلن عن أنهن فتيات غزل، فهو شعر من قبيل تحسين قيمتهن في أعين من يراهن، أو جلب افتتان من يراهن، وربما كان ذلك لونا من ألوان إعلاء قيمتهن، أو أثمانهن، وربما كان ذلك لونا من ألوان الدعاية لأنفسهن، أو بيان قيمة ذواتهن في دولة

الشعر، والأدب والثقافة الأدبية، كما يعد لونا من ألوان الفخر بأنفسهن، فقد أفلتن من حور الجنان، وهن من أراض مقدسة، قد أحسن الله خلقهن، ولسن منحسات، ولا موسوسات.

فالوصيفات يتزين بالشعر.

***

روى أن هارون الرشيد كان يجلس ومعه جوار على إحداهن عصابة، مكتوب عليها بصفائح الذهب:

ظلمتنى فى الحب يا ظالم          والله فيما بيننا حاكم

وفى عصابة أخرى:

مالى رميت فلم تصبك سهامى          ورميتنى فأصبتنى يا رامى

وعلى عصابة أخرى:

وضع الخد للهوى عز

وفى صدر عصابة أخرى هلال مكتوب عليه:

أفلتت من حور الجنان

وخلقت فتنته من يرانى[1]

***

(١) العقد الفريد ٣٨٥/٤

روى أن الأصمعى رأى على باب الرشيد وصائف، على عصابة واحدة منهن مكتوب:

نحن خود نواعم　　　من أرض مقدسة
أحسن الله رزقنا　　　ليس فينا منحسة
فاتق الله يا فتى　　　لا تدعنى موسوسة[1]

•••

روى أن العتابى الشاعر لقى منصور النميرى الشاعر، فسأله العتابى، فقال منصور: تركت امرأتى، وقد عسر عليها ولادها.

فقال العتابى: ألا أدلك على ما يسهل عليها.

قال المنصور: وما هو؟

قال العتابى: اكتب عليها هارون.

قال منصور: وما معناك فى هذا؟

قال العتابى: ألست القائل فيه!

إن أخلف القطر لم تخلف مواهبه　　　أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع[2]

فقال منصور: بالخلفاء تعرض، وإياهم نتبع.

---

(١) العقد الفريد ٣٨٨/٤
خود: الفتيات الناعمات، بضم الخاء، مفردها خود، بفتح الخاء، منحسة: من النحس، وهو الشؤم، وهو ضد السعد، والفأل، موسوسة: بصيغة اسم الفاعل، بمعنى مجنونة، إذ كانوا يطلقون على المجانين الموسوسين.
(٢) العقد الفريد ٤٢٦/٣
القطر: المطر، مواهبه: يقصد هباته، ضاق: عسر، يتسع: ينفرج.

فغدا منصور على هارون الرشيد، فأعلمه ما كان من قول العتابى.

فكـتب هـارون الرشيد إلى عبدالصمد والى المدينة لعقاب العتابى، فكتب إلى هارون عمه يشفع لمنصور، فوهبه له.

وهـذه الـرواية تـدل على منافسة الشعراء بعضهم بعضا فى مدح الخـلفاء، ونيل جوائزهم، حيث أن منصور النميرى الشاعر كان قد مـدح هـارون الرشـيد، بقوله: إنه لم تخلف هباته حتى ولو أخلف المطر، ولو ضاق أمر ذكرنا الرشيد، فيتسع هذا الأمر، ويأتى الفرج.

فلما أخبر منصور الشاعر العتابى الشاعر بعسر ولادة أمرأته، داعبه العتابى بأن يكتب على جسد امرأته هارون، ليأتى اليسر بعد العسر، كما ادعى منصور فى مدحه الرشيد.

ولمـا أدرك منصـور أن العتابى يتهكم على شعره ألصق به تهمة التهكم على الخليفة، وأخبرهن فأمر الرشيد بعقاب العتابى، ولولا عم الرشيد الذى شفع لمنصور لعوقب على ذلك.

وذلك يدل على أن معانى الشعراء فى مدح الخلفاء كانت تتردد بينهم، وهو لون من التنافس على نيل الخطوة عند الخليفة.

كمـا أن الخلفاء كانوا يشجعون الشعراء على مدحهم، ويدافعون عن مدح الشعراء اياهم.

●●●

روى أن الأمين العباسى كان رضيع يحيى بن جعفر البرمكى، فمت إليه يحيى بن خالد البرمكى بذلك، فوعده الأمين استيهاب أمه زبيدة، زوج الرشيد إياه، وتكلمها فيهم، ثم شغله اللهو عنهم، فكتب يحيى بن خالد إلى الأمين، ويقال: إن الذى قال ذلك سليمان الأعمى أخو مسلم بن الوليد، وكان منقطعا إلى البرامكة، يقول:

يا ملاذى وعصمتى وعمادى ومجيرى من الخطوب الشداد

بك قام الرجاء فى كل قلـــب زاد فيه البلاء كل مـــــــزاد

إنما أنت نعمة أعقبتهـــــــا نعم نفعها لكل العبـــــــاد

وعد مولاك أتممنه فابهى الـــ در ما زين حسنه بالعقـــاد

ما أظلت سحائب اليـــأس إلا كان فى كشفها عليك اعتمادى

إن تراحت يداك عنى فواقـــا أكلتنى الأيام أكل الجـــراد[1]

وبعـــث بهـــا يحيى بن خالد البرمكى إلى الأمين العباسى، فبعث بها الأمين إلى أمه زبيدة، فأعطتها هارون الرشيد.

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٦٩

مـــلاذ: مـــلجأ، وحصن، عصمة: حماية، وحفظ، ووقاء، عماد: قوتى، وما أقوم عليه، مجيـــر: حام ومنقذ، الخطوب: جمع خطب، وهو الشدة، والنازلة، الشداد: جمع شديد، مـــزاد: زيـــادة، أتممنه: أمر مؤكد بالنون، العقاد: أى عمل العقدة فى السلك، أو جمع عقـــد، ســـحائب: جمع سحابة، تراخت: استرخت، فواقا: بضم الفاء، وفتحها، ما بين الحلبـــتين مـــن الوقـــت، لأن الناقة تحلب، ثم تترك سويعة، يرضعها الفسيل، لتدر ثم تحلب، يقال: ما أقام عنده إلا فواقا، وفى الحديث الشريف: العبادة قدر فواق ناقة.

فــلما فرغ الرشيد من قراءتها وقع أسفلها: عظم ذنبك أمات خواطر العفــو عــنك، ورمى بها إلى زبيدة، فلما رأت توقيعه علمت أنه لا يرجع عنه.

والرواية تحكى قصة البرامكة مع هارون الرشيد، وما صنعه معهم، فإنــه لمــا حــبس يــحيى بن خالد بن برمك، استشفع خالد بالأمين العباســى، عــند أبيــه الرشيد، لما له من حرمة الرضاع والأخوة بالرضـــاع، ووعده الأمين أن يكلم أمه زبيدة، لتشفع له عند زوجها الرشيد.

فلما شغل الأمين عن ذلك كتب إليه يحيى بن خالد يذكره، ويستشفعه، وكــانت وســيلته الشعر، فأوصل الأمين الشعر إلى أمه زبيدة التى أوصــلته بدورهــا إلى زوجها الرشيد، فقرأ الرشيد الشعر، لكنه لم يستجب لهذا الملتمس.

والشــاهد أن الشكوى والاستعطاف كانت وسيلتهما الشعر، يقول فيه يــحيى بــن خــالد، أو شاعر البرامكة سليمان الأعمى: يا ملاذى، وعصــمتى، وعمادى، ومجيرى من الخطوب، أنت رجائى، ونعمة ونفــع لكل البلاد، فأتمم وعدك اياى، فإن أحسن الدر ما زين حسنه بالعقد، وأنت الذى تكشف عنى عوامل اليأس، ولو تراخت عنى يداك قليلا فقد أكلت أكل الجراد.

فكان هذا الالتماس شعرا سكب فيه يحيى بن خالد بن برمك شكواه، وحاله، وما سوف يتعرض له ويهيب بالأمين إنقاذه.

والمعـــانى تصـــلح أيضا أن تكون خطابا للرشيد نفسه، وسواء كانت للأمين، وأمه زبيدة، أو للرشيد نفسه فهى نفثة مصدور يتشبث بخيط الأمل فى النجاة من الخليفة عن طريق الفن الجميل، وهو الشعر.

***

روى أن يـــحيى بن خالد البرمكى كتب، وهو فى الحبس إلى هارون الرشيد برسالة، يلتمس فيها العفو عنه، وكتب إليه بهذه الأبيات:

قل للخليفة ذى الصنيـــــــ عة والعطايا الفاشية
وابن الخلائف من قريـــــ ش والملوك العالية
إن البرامكة الذيــــــــــ ن رموا إليك بداهية
صفر الوجوه عليهـــــــم خلع المذلة باديـــــة
فكأنهم مما بهـــــــــــــم أعجاز نخل خاويـــة
عمتهم لك سخطـــــــــــة لم تبق منهم باقيـــة
بعد الإمارة والــــــــــوزا رة والأمور السامية
ومنازل كانت لهـــــــــم فوق المنازل عاليـــة
أضحوا وجل مناهـــــــم منك الرضا والعافية
يا من يود لى الـــــــردى يكفيك منى ما بيـــه
يكفيك ما أبصرت مـــــن ذلى وذل مكانيـــــه

| | |
|---|---|
| وبكاء فاطمة الكئيـــــــــــ | بة والمدامع جاريـــة |
| ومقالها بتوجـــــــــــــــع | يا سوأتى وشقائيــــة |
| من لى وقد غضب الزمـــا | ن على جميع رجاليه |
| يا لهف نفسى لهفهـــــــــا | ما للزمان وماليـــــه |
| يا عطفة الملك الرضـــــا | عودى علينا ثانيـــــه[1] |

فلم يكن لها جواب من الرشيد.

والشـــاهد هنا أن يحيى بن خالد بن برمك يستعطف الرشيد، وهو فى الحــبس برسالة كتبها شعرا يصف فيها الخليفة أولا بأنه ذو صنائع معروف، وعطايا، وأنه خليفة ابن قرشى ابن خلائف وملوك.

ويصـــف البرامكة وصفا يستعطف به الرشيد، ويرقق قلبه للشفاعة لهـــم، فهم قد رموا بداهية، صفر الوجوه، أذلاء، كأنهم أعجاز نخل خاوية، سخطت عليهم جميعا فلم تبق منهم باقية، بعد ما كانوا أمراء، ووزراء، وذوى شأن، ولهم منازل عالية.

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٧١

الصــنيعة: الجميل والمعروف، العطايا: جمع عطية، الفاشية: المنتشرة الكثيرة، خلع: جمــع خــلعة، وهى ما يخلع من الرداء، على التصوير، بادية: ظاهرة، المذلة: الذل، أعجاز: جمع عجز، وأعجاز النخل: أصولها، خاوية خالية، عمتهم: شملتهم، سخطه: غضــبه، باقيـــة: أى لم تبق منهم أحدا، الكئيبة: الحزينة، فاطمة: أم جعفر بن يحيى، وكانت مرضعة الرشيد، المدامع: جمع مدمع: مكان الدموع، جارية: منسكبة، السوأة: الخــلة القبيحة، أو الواحدة من السوء، صفر: بضم الصاد، وسكون الفاء، جمع أصفر، مما بهم: أى مما حل بهم، ما بيه: ما حل بى، مكانيه: مكانى، شقائيه: شقائى، من لى: أى مــن يشــفع لى، رجاليــه: رجالى، لهف: تلهف، وشوق، ماليه: مالى، ثانيه: مرة ثانية.

فقــد أضحوا وأقصى مناهم منك الرضا والعافية، ويكفيك لتشفع لهم ذلي، وبكـــاء زوجتي فاطمة، أمك من الرضاعة التي صارت كئيبة، دمعها يجري، وتقول بتوجع: ياسوء حالي، وشقائي، وهلاكي، وقد غضــب الــزمان على جميع رجالي، ما للزمان ومالي، وتستجدي عطف الملك الرضا العودة ثانية.

وقــد عــبر عن هذه المعاني شعرا يستجدي به عطف الرشيد عليه، وعــلى أســرته الذيــن كان الرشيد قد غضب عليهم، فهي شكوى واستعطاف بشعر معبر جميل، يقدم للخليفة الذي يرعى حق الشعر، ولــنا أن نتصور شكوى بشعر، فالبرمكي يستطيع التعبير عن حاله بالشعر، والشعر يقدم للخليفة الذي يقدر للشعر فنه، ورقي التعبير به.

***

روى أن الرشــيد توجه إلى خراسان، وبه علة هونها عليه الأطباء، فــلما صار إلى طوس اشتدت به، وزادت، واستراب بأطبائه، فبعث إلى متطبب فارسي، يقال له الأسقف، فأشخصه إليه، وأمر بقوارير، فعرضــت عــليه، فقال فيها، حتى انتهى إلى قارورة الرشيد، فقال: قولــوا لصـــاحب هذا الماء فليدع الحمية، وليوص، فإنه لا يقوم من مرضه.

فــبكى الرشــيد بكاء شديدا، وتململ على فراشه، وجعل يردد هذين البيتين:

إن الطبيب بطبه ودوائـــــه لا يستطيع دفاع محذور أتـــى

ما للطبيب يموت بالداء الذى قد كان يبرئ مثله فيما مضى(١)

روى أن الرشـــيد كـــان فى مرضه الأخير إذا اشتد به وجعه يقول: صبرا لأمر الله، وينشد:

وإنى لمن قوم كرام يزيدهم رجاء وصبرا شدة الحدثان(٢)

هاتـــان الروايتان تدلان على منزلة الرشيد فى الشعر، وقيمة الشعر عند الرشيد.

فالرشيد بموهبته الفطرية فى الشعر، وثقافته الأدبية، وتأدبه على يد مؤدبيـــه مـــن العلماء، والفقهاء، ورواة الشعر ونقدته، وعلماء اللغة ورواتها قد نمت لديه ملكة الشعر، فنراه يعبر عن المعانى التى يريد التعبير عنها.

فــفى الـــرواية الأولى وجد نفسه فى موقف لا يحسد عليه، ولنا أن نتصور موقفه، وقد سمع ما سمع من قول المتطبب الفارسى، فلم يجد مـــا يهرع إليه سوى الشعر، يقول فيه: إن الطبيب بطبه، ودوائه لا

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٩٩
طبه: أى فنه وعلمه فى الطب، دفاع: دفع، محذور: ما يحذره الإنسان، يقصد الموت، الداء: المرض، يبرئ: يشفى.

(٢) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٩٩
الحدثان: الحادثة، وهى بفتح الحاء والدال.

يستطيع دفع محذور، إذ إن الطبيب يموت بالداء الذى كان يشفى مثله قبلا، فقد أتى بالفكرة، واستدل عليها من الواقع.

وفى الرواية الثانية كان الرشيد فى مرضه الأخير، إذا اشتد به وجعه لا ينســى أن يعــبر عن نفسه فخرا بالشعر قائلا: إنه من قوم كرام تزيدهم شدة الحدثان رجاء وصبرا، وكأنه يتصبر الشعر.

كمــا تــدل هاتان الروايتان على أن الشعر يحتل عند الرشيد منزلة عالية، فالرشيد الخليفة ينشد الشعر لنفسه، وتلك منزلة للشعر عالية عنده.

***

روى أن هــارون الرشيد كان يوما فى مقيله، إذ رأى فى منامه كأن رجلا وقف على باب مجلسه، فضرب بيده إلى عمود الباب، ثم أنشأ يقول:

كأنى بهذا القصر قد باد أهلــه — وأوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة — إلى جدث تبكى عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثـــــه — تبكى عليه بالعويل حلائله[1]

***

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ١٩٥
بــاد: هــلك، أوحــش: خلا، وأقفر، ولم يؤنس، ربعه: الربع الدار بعينها حيث كانت، المــنزل: الــدار، عميد القصر: سيده، جدث: بفتح الجيم والدال، القبر، جنادل: بكسر الــدال، جمع جندل، بفتح الجيم والدال، وسكون النون، الحجارة، العويل: رفع الصوت بالبكاء، حلائل: جمع حليلة، وهى الزوجة، أى من تحل مع الزوج فى دار واحدة.

ثـم خرج الرشيد إلى طوس، فلما نزل حلوان العراق هاج به الدم، فاجـتمع المتطببون على أن دواءه الجمار، فوجه إلى دهقان حلوان، فأحضـر، فسئل عن النخل، فقال: ليس بهذه البلدة إلا النخلتان اللتان على عقبة حلوان.

فوجه الرشيد إليهما من قطع إحداهما، فأكل هارون الرشيد جمارها، فسـكن عنه الدم، فرحل فمر عليهما، فرأى على القائمة منهما كتابا فيه:

أسعداني يا نخلتي حلـوان ... وابكيا لي من صرف هذا الزمان
أسعداني وأيقنا أن نحسـا ... سوف يلقاكما فتفترقـان
ولعمري لو ذقتما حرق المـو ... ت لأبكا كما الذي أبكانـي[1]

فقـال هارون الرشيد: عز والله على أن أكون أنا نحسهما، ووالله لو علمت بهذا الكتاب ما قطعتها، ولو كانت نفسي فيها.

***

والشاهد في الرواية الأولى أن الرشيد يقول الشعر الذي يعبر به عن حاله، ويكاد يتطير منه، والغريب أنه رواه في منامه، وأن رجلا قاله لـه في المـنام، ولنا أن نتصور أنه يسمع في المنام شعرا، فإما أن

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص ١٩٥-١٩٦
أسـعداني: أعيناني، صرف الزمان: حدثانه ونوائبه، النحس: ضد السعد، حرق: بفتح الحـاء والراء، النار، ونخلتا حلوان يضرب بهما المثل، يقال: أطول صحبة من نخلتي حلوان، والشعر لمطيع بن اياس، الأغاني ١٣/٣٣٠، مجمع الأمثال ٢٩٧/١.

يكـــون هذا الشعر لغيره، رواه الرشيد فيدل ذلك على حفظه الشعر القديـــم، وتمـــثله بـــه فى المواقف المختلفة، حتى فى مواقف المنام والرؤيا.

وإمـــا أن يكون هذا الشعر له أنشأه ابتداء، وهذا أعجب، فهو يحكى عن رؤيا، ومنام، ومع ذلك لم تخل الرؤيا من الشعر.

ومن عجب أن يكون الشعر معبرا عن حاله، وهو مريض، قد أحس بقـــرب الموت، فيرى فى المنام من يقول له: كأنى بهذا القصر، وقد بـــاد أهلـــه، وأوحشت منه داره ومنازله، ومات صاحبه، ودفن فى قبره، ولم يبق إلا ذكره، وبكاء زوجاته عليه.

وقد تطير الرشيد من هذه الرؤيا، ومن هذا الشعر الذى ورد فى هذه الرؤيا، فقد تأثر به أشد التأثر، وأنا أتعجب لهذا الشعر الذى ملك على الرشيد لبه، حتى إنه ليراه، وينشده، ويسمعه فى منامه، دلالة على أن الشـــعر لديـــه قد بلغ درجة لغة التخاطب عنده، من سهولة الشعر، وسهولة قوله، وحفظه.

أمـــا الـــرواية الثانية فتحكى أن الرشيد لما قطع إحدى نخلتى حلوان المشـــهورتين مضطرا متطببا، ومر على مكان النخلتين، ورأى على النخلة القائمة منهما، بعد قطع الثانية، كتابا فيه شعر تأثر بهذا الشعر أشد التأثر، وأقسم أنه لو علم هذا الكتاب قبل أن يقطعهما ما قطعهما، ولو كانت نفسه فيهما، تأثرا بالشعر المكتوب عليهما، وقال: عز على

أن أكون نحسهما. اما الشعر الذى قرأه مكتوبا على كتاب على النخلة القائمـــة مـــنهما، بعـــد قطع الأولى، فيقول قائله: ساعدانى بالدمع يا نخلتى حلوان، وابكيا لى من صروف هذا الزمان، ساعدانى وأيقنا أن نحســا ســوف يصيبكما فتفترقان، ثم يقسم بحياته أنهما لو ذاقا نار الموت لأبكاهما ما أبكاه من حرق الموت.

وكـــان التعليق الفنى الجميل، وهو عز: على أن أكون نحسهما، لأن الشـــاعر قـــال عنهما: وأيقنا أن نحسا سوف يلقاكما، فتفترقان، فكان الرشـــيد النحس الذى لقيهما، فعز عليه ذلك، وتأثر بالشعر أيما تأثر، حتى أقسم لو علم بذلك الشعر قبل قطع النخلة ما قطعها، ولو كانت نفسه فيها.

إلى هذا الحد كان تأثر الرشيد بالشعر.

•••

روى أن الرشيد جرى بينه وبين ماردة جاريته عتب، فاستدعى يحيى بن خالد البرمكى العباس بن الأحنف الشاعر، ليقول شعرا، يعبر عن حـــال الرشيد مع ماردة جاريته، فقال العباس بن الأحنف معبرا عن حال الرشيد مع ماردة:

العاشقان كلاهما متغضـــــب ... وكلاهما متوجد متعتـــــب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا ... وكلاهما مما يعالج متعـــب
راجع أحبتك الذين هجرتهـــم ... إن المتيم قلما يتجنـــــــب

إن التجنب إن تطاول منكمـــا     دب السلو له وعز المطلب

وكتب أيضا:

لابد للعاشق من وقفـــــــــة     تكون بين الهجر والصـــرم

حتى إذا الهجر تمادى بــــــه     راجع من يهوى على رغم[1]

ثـــم وجـــه العباس بن الأحنف الكتاب إلى يحيى بن خالد البرمكى، فدفعـــه إلى الرشيد، فقال: والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هـــذا، والله لكـــأنى قصدت به واستغرق ضاحكا، ثم قال: أى والله، أراجع على رغم.

فأمـــر الرشيد للعباس بن الأحنف بمال كثير، وأمرت له ماردة بمال دونه، وأمر له الوزير يحيى بن خالد البرمكى بمال دون ما أمرت به ماردة، واشتريت له ضياع بعشرين ألف درهم.

وهـــذه الـــرواية تـــدل على ما للشعر من قيمة عند الرشيد، الخليفة العباســـى، وماردة جاريته، ويحيى بن خالد بن برمك، فكل منهم قد مـــنح العباس بن الأحنف جائزة على قول الشعر، والتعبير عن حال الرشيد الخليفة مع جاريته ماردة.

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٦٤

مـــتوجد: من الوجد، وهو الحزن، متعتب: من العتب والعقاب، يعالج: يعانى، المتيم: مـــن تيمه الحب وأضناه، السلو: السلوان، والنسيان، عز: صعب، والصرم: القطيعة، رغم: أى مرغما.

والرواية تثبت أنه جرى عتب بين الخليفة وجاريته، وأراد الرشيد أن يعـــبر عما فى نفسه تجاهها، أو وجد يحيى بن خالد الرشيد مهموما لذلـــك الـــذى جرى بينه وبين جاريته، فأراد أن يجد مخرجا من هذا الموقـــف، بأن يلجأ إلى شاعر، ليعبر عن هذه الحال، وقد كان، فقد لجـــأ إلى العـــباس بـــن الأحنف، وهو شاعر الغزل، فهو شاعر هذا الموقف.

وقد عبر العباس بن الأحنف عن هذا الموقف أوضح تعبير، حتى إن الرشيد قد قال: والله، ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر الـــذى قاله العباس بن الأحنف، والله، لكأنى قصدت به، وذلك دليل على أن العباس قد عبر عن الموقف كما هو واقع تماما.

وزاد الرشيد تأثرا بالشعر، حتى إنه قال: أى والله أراجع أحبتى على رغم، تأثرا بالشعر، كما ورد فى الأبيات.

أما الأبيات الأولى التى قالها العباس بن الأحنف فيقول فيها: العاشقان كلاهما متغضب متوجد متعتب، فقد صدت مغاضبة، وصد مغاضبا، وكلاهمـــا مـــتعب مما يعانيه، ثم يلتمس من الحبيب مراجعة الأحبة الذيـــن هجرهم، فإن المتيم بالحب قلما يتجنب المحبوب، وإن تطاول التجـــنب مـــن كل منهما صار كل منهما يسلو الآخر، وعز مطلبه، وضاع الحب بينهما.

أمـــا البيتان الآخران، فيقول فيهما: لابد للعاشق من وقفة بين الهجر والقطيعـــة، فإذا تمادى الهجر راجع محبوبه على رغمه، للحب الذى بينهما، فالحب يأمره بهذه المراجعة.

والعجيـــب أن يعـــبر العباس عن حال الرشيد مع جاريته، ولعل هذا الموقـــف عبر عنه العباس فى شعره كثيرا فكان سهلا عليه أن يحل محل الرشيد فى التعبير عما يكابده مع جاريته.

والأعجـــب أن يكون هذا موقف الرشيد، لكن الرشيد يعد الشعر الفن الراقى الأدبى المعبر عما فى النفس البشرية من معان، فلا غرو أن يذهـــب الرشـــيد، وهـــو الخليفة، وينشد ما ردة جاريته هذا الشعر، والغـــريب ألا توافـــق الجاريـــة على صلحه، حتى يكافئ قائل هذه الأبيات، العباس بن الأحنف، مما يدل على قيمة الشعر عندها، وذلك أكبر دليل على أن الشعر كانت له المنزلة العليا فى قصور الخلفاء.

***

روى أن هارون الرشيد قال لجاريتين له: لتقل كل واحدة منكما شعرا فى الغزل، فقالت الأولى:

أنا التى أمشى كما يمشى الوجى
يكاد أن يصرعنى تفحجـــــــى
من جنة الفردوس كان مخرجى

وقالت الأخرى:

أنا التى لم ير مثلى بشـــــر

كلامى اللؤلؤ حـــــين ينتثر

أسحر من شئت ولست أسحر

إن سمع الناس كلامى كفروا[1]

فقال لهما: قد أحسنتما، وما لواحدة منكما فضيلة على صاحبتها.

هذه الرواية تدل على أن سمر الخليفة مع جلسائه ينصب على حديث الشعر، حتى كان حديثه مع جاريتيه عن الشعر، فقد أمرهما أن تقول كل منهما شعرا فى الغزل، ولما قالت كل منهما شعرا فى الغزل كان نقــده أنهما قد أحسنتا، وما لواحدة منهما فضيلة على صاحبتها، فقد أمـــرهما بقــول الشعر، وكان هو المحكم بينهما فى نقد هذا الشعر، وبيـــان سبق إحداهما الأخرى فى هذا الفن الجميل، وهذا مجلس نقد وتــذوق للشـــعر يعتمد على البصر بالشعر، وفهمه، ومعرفة بشعر العـــرب، ونقدهم، وتذوقهم، وذلك يقتضى الدربة والمران، والتمرس بالأساليب العربية، وليس بغريب على مثل الرشيد.

أمـــا شـــعر الأولى فهو غزل تفخر فيه بوصف جسدها وصفا ماديا، ولعـــل ذلك الوصف مما يناسب الجوارى، لأنهما كانتا تتباريان فى

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٧٣

الـــوجى: رقة القدم من كثرة المشى، التفحج: إما بمعنى تدانى صدور القدمين، وتباعد العقبين، أو الصوت، مخرجى: خروجى، ينتثر: يفرق.

الوصـــول إلى قلب الرشيد، كما عرفنا ذلك من استقراء حياة الخلفاء فى العصـــر العباسى، وتعاملهم مع الجوارى، ثم وصفت نفسها بأنها خـــرجت مـــن جـــنة الفردوس، بعد وصف نفسها الوصف المادى العجيب.

أمـــا الثانية فقد فخرت بنفسها أيضا بوصف نفسها وصفا ماديا، يلائم أوصـــاف الجوارى فى قصور الخلفاء، فهى التى لم ير مثلها بشر، ووصفت كلامها باللؤلؤ المنتثر، وأنها تسحر من تشاء، ولا يسحرها أحد، وأن الناس إن سمعوا كلامها كفروا.

ويتضـــح أن شعر كل منهما مما يلائم شعر الجوارى، وحياتهن فى العصـــر العباسى، وفى المجتمع العباسى عامة، وفى قصور الخلفاء خاصة.

والعجيـــب أن يستمع الرشيد إلى مثل هذا الشعر، وأن يجلس إليهما مجـــلس الحكم، وأن يحاولن إغراءه بهذا الشعر، ولا غرابة فى ذلك فـــإن معظم الخلفاء العباسين كانوا أولاد إماء لذلك الذى نسمعه من مثل هذا الشعر.

***

روى أن الأصمعى دخل على هارون الرشيد، وبين يديه جارية، فقال الرشيد للأصمعى: صفها.

فأنشأ الأصمعى يقول:

كنانية الأطراف سعدية الحشـــا　　هلالية العينين طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف　　ونغمة داود وعفة مريم

قال الرشيد: أحسنت والله، يا أصمعى، اسمها دنيا.

فقال الأصمعى:

إن دنيا هـــــى التى　　تملك القلب قاهرة

ظلموها شطر اسمها　　فهى دنيا وأخـــرة[1]

فأمر الرشيد للأصمعى بعشرة آلاف درهم.

والـــرواية تثبت أن الأصمعى لما دخل على هارون الرشيد، وأمامه جارية، أمر الرشيد الأصمعى أن يصفها، فوصفها الأصمعى، وحكم الرشـــيد عـــلى وصـــف الأصـــمعى الجارية بقوله: أحسنت، والله يا أصمعى.

ولمـــا عـــرف الأصـــمعى أن اسمها دنيا، برع فى محاولة التلاعب بفلسفة هذا الاسم فى بيتين آخرين، فلم يملك الرشيد من إعجابه بشعر الأصـــمعى إلا أن يمـــنح الأصمعى عشرة آلاف درهم مكافأة على شعره.

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٧٢-٣٧٣

كـــنانية: نســـبة إلى كـــنانة، سعدية: نسبة إلى بنى سعد، هلالية: نسبة إلى بنى هلال، طائية نسبة إلى طئ، لقمان: هو لقمان الحكيم، يوسف: النبى عليه السلام، داود: النبى عليه السلام، مريم أم عيسى عليهما السلام، قاهرة: غالية، شطر نصف.

أمـــا الشعر الذى أنشده الأصمعى فى وصف الجارية فقد اعتمد فيه عـــلى صـــفات مشهورة عند العرب، وهى صفات مادية، من جمال الأطراف، وضمور الحشا، وحسن العينين، وصغر الفم، ثم جعل لها حكـــم لقمـــان، وصورة يوسف فى الجمال ونغمة داود فى الصوت، وعفـــة مـــريم عـــليهم السلام، وهى صفات مادية ومعنوية أعجبت الرشـــيد. أما الشعر الثانى فقد وصف فيها الجارية بأنها تقهر القلب وتملكه، وهو يقصد أى قلب، حتى إنها لتملك قلب الرشيد.

ثم يقول: ظلموها شطر اسمها لما سموها دنيا، فهى دنيا وآخرة، ولو أنصفوا لسموها دنيا وآخرة.

وهى فكرة تعتمد على المعنى، والتفكير، وفلسفة المعانى، أو ما وراء المعانى.

وهذا المجلس يدل على ما بلغه الشعر فى دولة الرشيد، وفى قصره، ومعه، ومع جلسائه، وجواريه.

***

روى أن هـــارون الرشـــيد الخليفة قال للمفضل الضبى: أنشدنا بيتا، أولـــه أعرابى فى شملته، هب من نومته، وآخره مدنى رقيق، غذى بماء العقيق.

قال المفضل الضبي: هولت على يا أمير المؤمنين، فليت شعري بأي مهـر عـروس هذا الخدر؟ قال هارون الرشيد: هو بيت جميل بن معمر، حيث يقول:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال المفضل لهارون الرشيد: فأخبرني، يا أمير المؤمنين، عن بيت، أولـــه أكثم بن صيفي في إصابة الرأي، وآخره بقراط الطبيب في معرفته بالداء والدواء.

قال هارون الرشيد للمفضل: ما هو؟

قال المفضل: هو بيت الحسن بن هانئ، حيث يقول:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء[1]

قال الرشيد: صدقت.

والرواية تدل على أن جليس الخليفة من علماء اللغة والأدب والنقد، ومـن رواة الشعر، وذلك دليل على ما ينشد في المجلس من شعر، وأدب، وما يكون في مثل هذه المجالس من أحاديث في الشعر القديم. لذا كان سؤال هارون الرشيد عن بيت جميل بن معمر، أوله أعرابي في شملته، هب من نومته، وهو ألا أيها النوام ويحكم هبوا.

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٧
النوام: جمع نائم، ويح: كلمة ترحم، هبوا: انهضوا واستيقظوا، يقتل الرجل الحب: قدم المفعول على الفاعل للقافية، اللوم: العذل، إغراء: حث وتحضيض على شرب الخمر، كانت هي الداء: يقصد الخمر.

وآخره مدنى رقيق، غذى بماء العقيق، وهو: أسائلكم هل يقتل الرجل الحب.

وكان سؤال المفضل الضبى عن بيت أبى نواس، أوله أكثم بن صيفى فى إصابة الرأى، وهو: دع عنك لومى فإن اللوم إغراء.

وأخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء، وهو: وداونى بالتى كانت هى الداء.

وهكذا كان امتحان كل منهما الآخر فى تبصره الشعر العربى، وكان الشعر سمر مجالس الخلفاء.

***

روى أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى دخل على الرشيد، وعنده جارية، وبين يديه طبق ورد، فقال الرشيد لإسحاق: قل فى الورد بيتا يشبهه، فقال إسحاق:

كأنه خد موموق يقبله ... فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فاعترضته الجارية فقالت:

كأنه لون خدى حين يدفعنى ... كف الرشيد لأمر يوجب الغزلا[1]

والشاهد هنا أن الرشيد الخليفة يطلب من جليسه أن يصف الورد فى بيت واحد تشبيها، وانصاع إسحاق الموصلى لأمر الخليفة، ووصف

(1) العقد الفريد ٣٧٣/٤
موموق: محبوب، الخجل: لون الحمرة، أبدى أظهر.

الورد بطريق التشبيه، كما أراد الخليفة، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحـد، وإنما تعرض بيت إسحاق للنقد الأدبى من ناقد فى المجلس، والمفاجـأة أن الـناقد هـنا جارية الخليفة، إذا اعترضت على بيتت إسـحاق الموصلى فى وصف الورد، وأتت هى ببيت آخر يفوق فى رأيها بيت إسحاق الموصلى.

وقد شبه إسحاق الورد فى حمرته بخد محبوب يقبله فم الحبيب، وقد ظهر عليه الخجل فاحمر من الخجل.

أما الجارية فقد شبهت الورد فى حمرته بلون خدها، حين يدفعها كف الخليفة للغزل، فيحمر وجهها خجلا.

والمعـنيان، معبران عن مقصد الخليفة، لكن بيت إسحاق الموصلى أفضل.

والشاهد أن الخليفة وجليسه، وجاريته كان حديثهم فى الشعر، والنقد، والبلاغة، وليته الأمر يقف عند الخليفة والمغنى، وإنما تعدى ذلك إلى الجارية.

***

روى أن اسـحاق الموصـلى حضـر مسامرة الرشيد، ومعه عيثر المغنى، فتذاكروا رقة شعر المدنيين، فأنشد بعض جلسائه أبياتا لابن الدمينة، حيث يقول:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنـى     على كبدى من خشية أن تصدعا

وليس عشيات الحمى برواجع    عليك ولكن خل عينيك تدمعـــا
بكت عينى اليمنى فلما زجرتها    عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا[1]

فأعجب الرشيد برقة الأبيات، وكان عيثر المغنى فصيحا متأدبا، فقال عيـــثر: يـــا أميـــر المؤمنين، إن هذا الشعر مدنى رقيق، غذى بماء العقيـــق، حـــتى رق وصفا، فصار أصفر من الهوى، ولكن إن شاء أميـــر المؤمنين أنشدته، هو أرق من هذا، وأحلى، وأصلب، وأقوى، لرجل من أهل البادية.

قال الرشيد: وإنى أشاء.

قال عيثر: وأترنم به، يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: وذلك لك.

فغنى لجرير:

إن الذين غدوا بلبك غـــــادروا    وشلا بعينك لا يزال معينـــا
غيضن من عبراتهن وقلن لـــى    ماذا لقيت من الهوى ولقينـــا
راحوا العشية روحة مشـــكورة    إن حرن حرنا أو هدين هدينا
فرموا بهن سواهما عرض الفلا    إن متن متنا أو حيين حيينـــا[2]

---

(١) العقد الفريد ١٢٤/٤

الحـــمى: بكســـر الحـــاء، مـــا يجب على الإنسان حمايته، أنثنى: أرجع، تصدعا: أى تتصدعا، وحذف حرف المضارعة، أى تتشقق، عشيات: جمع عشية، وهى الوقت فى العشـــاء، رواجـــع: جمع راجعة، خل: دع، أو اترك، زجرتها: نهرتها، أسبلتا: سكبتا الدمع.

(٢) العقد الفريد ١٢٥/٤

قال الرشيد: صدقت يا عيثر، وخلع عليه، وأجازه.

والشاهد هنا أن مجلس الرشيد كان موضوعه الحديث عن رقة شعر المدنيين، وهذا يكفى لبيان مدى ما وصل إليه الرشيد من فهم الشعر، والبصر به، والاهتمام بمن ينشدونه الشعر، ومعرفة اتجاهات الشعراء، وأغراضهم الشعرية.

وقد أنشد بعض جلساء الرشيد أبياتا لابن الدمينة، وهو شاعر غزل رقيق، فأعجب الرشيد برقة الأبيات، وكان من جلساء الرشيد مغن فصيح متأدب، فأعلن رأيه أن هذا الشعر مدنى رقيق، غذى بماء العقيق، حتى رق وصفا، فصار أصفر من الهوى.

وهو نقد يدل على فهم الشعر فهما دقيقا.

واستأذن المغنى أن ينشد أمير المؤمنين شعرا أرق من هذا الشعر، وأحلى، وأصلب، وأقوى، لشاعر من البادية، وأن يترنم به، ووافق الرشيد، فأنشد المغنى لجرير أبياتا فى الغزل الرقيق، فأعجبت الرشيد، وخلع على المغنى، وأجازه.

---

غدوا: من الغداة، أول النهار، لبك: عقلك، غادروا: تركوا، وشل: وضر، معينا: سائلا، غيض: قلل، عبرات: جمع عبرة، وهى امتلاء العين بالدمع، الهوى: الحب أو العشق، العشية: وقت العشاء، روحة: اسم مرة من راح، حرن: نون النسوة، وكذلك هدين، ومتن، وحيين، حرنا: نا الفاعلين، وكذلك هدينا، متنا، حيينا، أما هدين، وهدينا فهما بالبناء للمجهول، الفلا: جمع فلاة، وهى الصحراء.

وهكـــذا كان مجلس الخليفة مجلس شعر، ونقد، وغناء، وموازنة بين الشعراء فى الأغراض المختلفة، واستعراض أغراض الشعر والشعراء.

***

روى أن هارون الرشيد كان قد أراد شراء عنان، جارية الناطفى، ثم أمسك عن شرائها، فغناه أحد المغنين بأبيات جرير، حيث يقول:

إن الذين غدوا بلبك غادروا　　　وشلا بعينك لا يزال معينا

فطرب الرشيد لها طربا شديدا، وأعجب بالأبيات، وقال لجلسائه: هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهن، وله هذه البدرة؟ وكانت بين يديه بدرة من دنانير.

فلم يصنعوا شيئا، فقال خادم للرشيد: أنا بها لك يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: شأنك.

فاحتمل الخادم البدرة، ثم أتى عنان جارية الناطفى، وأخبرها الخبر، وأنشدها الأبيات، فأنشدت:

هيجت بالقول الذى قد قلته　　　داء بقلبى ما يزال كمينـــــا
قد أينعت ثمراته فى طينها　　　وسقين من ماء الهوى فروينا
كذب الذين تقولوا يا سيدى　　　إن القلوب إذا هوين هوينـــا[1]

---

(١) العقد الفريد ١٤٢/٤

هيجـــت: أثـــرت، داء: مـــرض، يقصد الحب، كمينا: مكمون دفين، مخفى، متوارى، أينعت: أدركت، طينها: أصلها أو مهدها، الهوى: العشق، روين: ارتوين، تقولوا: قالوا كذبا.

فلما أخبر الخادم هارون الرشيد بالأبيات وقائلتها، قال الرشيد: خلعت الخلافة من عنقى إن باتت إلا عندى، فاشتراها بثلاثين ألف درهم.
والأبيات هى:

إن الذين غدوا بلبك غـــــادروا وشلا بعينك لا يزال معينـــا
غيضن من عبراتهن وقلن لـــى ماذا لقيت من الهوى ولقينـــا
راحوا العشية روحة مشكـــورة إن حرن حرنا أو هدين هدينا
فرموا بهن سواهما عرض الفلا إن متن متنا أو حيين حيينـــا[1]

والشـــاهد هـــنا أن الرشيد طرب لأبيات جرير طربا شديدا، وأعجب بالأبيـــات، حـــتى إنه قال لجلسائه: هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهن، وجعل الجائزة بدرة من الدنانير.
ومـــن عجـــب أن خادم الرشيد يتعرض لمثل هذا الموقف، وهو أنه سيجد من يجيز هذه الأبيات بمثلها.
ومـــن عجـــب أيضـــا أنـــه أتى عنان الجارية، فوجد عندها ضالته المنشودة، وأجازت الأبيات بمثلها وزنا وقافية، ومسايرة فى الغرض.
ويمضى بنا العجب إلى الحد الذى يصمم فيه الرشيد على شراء عنان فى الليلة نفسها، حتى جعل فداء ذلك خلع الخلافة عن عنقه.

---

(١) العقد الفريد ٤/١٢٥
مضت الأبيات وشرحها

والغريب أن الرشيد اشترى هذه الجارية الشاعرة التى أجازت أبيات جرير بمثلها بثلاثين ألف درهم، وما ذلك الثمن إلا لبصرها بالشعر، وإجازتها الأبيات.

***

روى أن الأصمعي وقف على باب الرشيد، وكان قد هيأ شعرا يقوله للرشيد هو:

| | |
|---|---|
| وأى فتى أعير ثبات قلب | وساع ما تضيق به المعانى |
| تجاذبه المواهب عن إباء | ألا لا بل تؤلفه الأمانى |
| فرب معرس لليأس أملى | عن الدرك الجهير لدى الأمانى |
| وأى فتى أناس من سمو | من المهمات متهم الجنان |
| بغير توسع فى الصدر ماض | على العزمات والعضب اليمانى[1] |

فخرج خادم وقال: هل بالحضرة أحد يحسن الشعر؟

فدخل الأصمعي على الرشيد ومعه الفضل بن يحيى، فأمره الرشيد أن يدنو، وسأله: أشاعر أم راوية؟

قال الأصمعي: راوية يا أمير المؤمنين.

---

(١) العقد الفريد ٣/٤١١-٤١٢

معرس: من التعريس، وهو النزول ليلا، الجنان: العقل، العضب: السيف القاطع اليمانى: نسبة إلى اليمن، أعير: بالبناء للمجهول، تؤلفه: تجمعه، العزمات: جمع عزمة، وهى ما يعزمة الإنسان.

فســأله الرشــيد عن المثل؟ قد أنصف القارة من راماها، ثم قال له: أرويــت لــلعجاج ورؤبة شيئا، ثم مد يده، فأخرج من تحت فراشه رقعة، ثم قال: اسمعنى، فأسمعه الشعر المكتوب فيها.

ثــم قــال له: أســمعنى كلمة عدى بن الرقاع فى الوليد بن يزيد بن عبدالملك قوله:

عرف الديار توهما فاعتاده

فمر فى الإنشاء حتى بلغ قوله:

تزجى أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها[1]

فاستوى الرشيد جالسا ثم قال: أتحفظ فى هذا شيئا؟

قال الأصمعى: نعم، يا أمير المؤمنين، كان الفرزدق لما قال عدى:

تزجى أغن كأن إبرة روقه

قال لجرير: أى شئ تراه يناسب هذا تشبيها؟

فقال جرير:

قلم أصاب من الدواة مدادها

فما رجع جرير الجواب حتى قال عدى:

قلم أصاب من الدواة مدادها

فقلت لجرير: ويحك، لكأن سمعك مخبوء فى فؤاده.

---

(١) العقد الفريد ٣/٤١٤
تزجى: تسوق، أغن: ظبى أغن، الدواة: المحبرة، المداد: الحبر

فقال جرير: اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام.

ثم قال الرشيد: مر في إنشاءك.

فمضى الصمعي حتى بلغ إلى قوله:

ولقد أراد الله إذ ولاكما　　　من أمة إصلاحها ورشادها

قال الفضل بن يحيى: كذب، وما بر.

قال الرشيد: ماذا صنع الوليد بن يزيد بن عبد الملك إذ سمع هذا؟

قال الأصمعي: ذكرت الرواة يا أمير المؤمنين أنه قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الأصمعي: مر في إنشادك.

فمضى الأصمعي حتى بلغ إلى قوله:

لم تأته السلاب إلا غنوة　　　غصبا ويجمع للحروب عتادها[1]

قـال الرشـيد: لقد وصفه بحزم وعزم، لا يعرض بيتهما وكل، ولا استذلال، فماذا صنع الوليد؟

قال الأصمعي: يا أمير المؤمنين، ذكرت الرواة أنه قال: ماشاء الله.

قال الرشيد: أحسبك وهمان.

قـال الأصمعي: يا أمير المؤمنين، أنت أولى بالهداية، فليردني أمير المؤمنين إلى الصواب.

---

(١) العقد الفريد ٣/٤١٤
عنوة: قسرا وغضبا، عتاد الحروب: معداتها.

قال الرشيد: إنما هذا عند قوله:

ولقد أراد الله إذ ولاكما    من أمة إصلاحها ورشادها

ثم قال الرشيد: والله ما قلت هذا عن سمع، ولكننى أعلم أن الرجل لم يكن ليخطئ فى مثل هذا.

قال الأصمعى: وهو والله الصواب.

ثم قال الرشيد: مر فى إنشادك.

فمضى الأصمعى فى الإنشاد، حتى بلغ إلى قوله:

وعلمت حتى ما أسائل عن    حرف لكننى أزدادها(١)

قال الرشيد: وكان من خبرهم ماذا؟

قـــال الأصـــمعى: ذكرت الرواة أن جريرا لما أنشد عدى هذا البيت قال: بلى، والله وعشر مئين.

قـــال عـــدى: وقر فى سمعى أثقل من الرصاص، هذا والله يا أمير المؤمنين المديح المنتقى.

قال الرشيد: والله إنه لنقى الكلام فى مدحه، وتشبيهه.

قال الفضل بن يحيى: يا أمير المؤمنين، لا يحسن عدى أن يقول:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم    وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا(٢)

---

(١) العقد الفريد ٣/٤١٤

(٢) العقد الفريد ٣/٤١٥

يستقاد: يؤخذ لهم القود، وهو الثأر.

**قال الرشيد: بلى قد أحسن، ثم التفت الرشيد إلى الأصمعى، فقال: ما حفظت له فى هذا الشعر شيئا، حين قال:**

أطفأت نيران الحروب وأوقدت    نار قدحت براحتيك زنادها(١)

قال الأصمعى: ذكرت الرواة أنه يا أمير المؤمنين حك يمينا بشمال، مقتدحا بذلك، ثم قال: الحمد لله على هبة الإنعام.

قال الرشيد: رويت لذى الرمة شيئا؟

قال الأصمعى: الأكثر يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: والله لا أسألك سؤال امتحان، ولا كان هذا عليك، ولكننى أجعلــه ســببا للمذاكرة، فإن وقع عن عرفانك، وإلا فلا ضيق عليك بذلك عندى.

فما أراد بقوله:

ممرا مرت منية أسدية    ذراعية حلالة بالمصانع(٢)

قــال الأصـــمعى: وصف يا أمير المؤمنين حمارا وحشيا أسمنه بقل روضـــة، تشـــابكت فروعه، ثم تراسخت عروقه، من قطر سحابة، كانت فى نود الأسد، ثم فى الذراع منه.

---

(١) العقد الفريد

قدحت: أوريت، زنادها: الجزء الأسفل فى قدح النار.

(٢) العقد الفريد ٣/٤١٥

ممــرا: موضع المرور، أسدية: سحابة فى نوء السد، ذراعية: فى الذراع منا، حلالة: مــبالغة فى الحلول، المصانع: الحصون، أو جمع المصنعة، بفتح الميم، وضم النون، وفتحها، كالحوض يجمع فيه ماء المطر.

قال الرشيد: أصبت.

ثم قال الرشيد: أرويت للشماخ شيئا؟

قال الأصمعي: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال الرشيد: يعجبني من قوله هذا:

إذا رد في ثني الزمام ثنت له جرابا كحوط الخيزران المعوج[1]

قال الأصمعي: يا أمير المؤمنين، هي عروس كلامه.

قال الرشيد: فأيها الحسن الآن من كلامه.

قال الأصمعي: الرائية، وأنشده أبياتا منها.

قال الرشيد: أمسك، فقد أمتعت منشدا، ووجدناك محسنا في أدبك، معبرا عن سرائر حفظك.

ثم التفت الرشيد إلى الفضل بن يحيى فقال: لكلام هؤلاء، ومن تقدم من الشعراء ديباج الكلام الحسن، وأن يزيدك على القدم جدة وحسنا، فإذا جاءك الكلام المزين بالبديع، جاءك الحرير الصيني المذهب يبقى على المحادثة في أنف الروايات، فإذا أمتعته السماع ولد في القلوب لها رونق صواب، ولكن في الأقل.

---

(١) العقد الفريد ٤١٥/٣

ثـم قـال الرشـيد: يعجبنى مثل قول مسلم فى أبيك، وأخيك، يقصد الفضـل بن يحيى، الذين امتدحهما به مخاطبا حليلته، مفتخرا عليهما بطول الرأى فى اكتساب المغانم، حيث قال:

أجدك هل تدرين إن رب ليلة كأن دجاها من قرونك ينشر

صبرت لها حتى تجلت بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر[1]

أفرأيت؟ ما ألطف ما جعلهما معدنا لكمال الصفات ومحاسنها؟

ثـم الـتفت الرشيد إلى الأصمعى، فقال: لعل أبا العباس يكون لذلك أنشط، وهو لنا ضيف فى ليلتنا هذه، فأقم عنده مسامرا له، ثم نهض. ثـم قال الرشيد: يؤمر للأصمعى بتعجيل ثلاثين ألف درهم فى ليلتى هذه.

قـال الفضل بن يحيى: لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه أحد غيره لدعوت له بمثل ما أمر به أمير المؤمنين، فدعا الفضل بن يحيى للأصمعى بمثل ما أمر أمير المؤمنين الرشيد إلا ألف درهم.

قال الصمعى: فما صليت الظهر إلا وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم.

وكان الرشيد والفضل قد اتفقا على منح الأصمعى.

---

(١) العقد الفريد ٤١٦/٣

أجـدك: أجـد منك، أى أبجد منك، الدجى: جمع دجية، وهى الظلمة، قرونك: قرون شـعرك، ينشـر: بالبـناء للمجهول، الغرة: بياض فى جبهة الفرس، ويقصد هنا نور الجبين، يحيى هو ابن خالد البرمكى، وجعفر هو ابن يحيى بن خالد البرمكى.

وهذا مجلس ليس غريبا على الرشيد، فهو مجلس أدب، وشعر، ونقد، وموازنة بين الشعراء، وبصر بالشعر، ومحاورة فيه.

والغريب أن الأصمعى وقف على باب الرشيد، وقد هيأ شعرا ينشده الرشــيد، ممــا يــدل على أن قد ذهب ببضاعته لمن يحسن مكافأته عــليها، ودليـــل على ثقته فى فهم الرشيد الشعر. والعجيب أيضا أن خادم الرشيد خرج وقال هل بالحضرة أحد يحسن الشعر، وذلك دليل عــلى أن الرشيد يطلب من يحسن الشعر، حتى ينشده، ويحادثه فى الشعر.

ولما دخل الأصمعى على الرشيد، ويظهر أن ذلك كان فى أول وقت معــرفة الرشيد الأصمعى، لأن للأصمعى مواقف كثيرة مع الرشيد، لكن الرواية هنا تقول إن الرشيد سأل الصمعى: أشاعر أم راوية، مما يدل على بداية معرفة الرشيد الأصمعى.

وقد سأل الرشيد الأصمعى عن المثل: قد أنصف القارة من راماها، وسأله عن رواية شعر للعجاج ورؤية الراجزين، ومد يده فأخرج من تحــت فراشـــه رقعـــة فيها شعر، وأمر الأصمعى أن يسمعه الشعر المكتوب فيها، وكل ذلك دليل على اهتمامه بالشعر أيما اهتمام.

ثم أمر الرشيد الأصمعى أن يسمعه قصيدة عدى بن الرقاع فى مدح الوليد بن يزيد بن عبدالملك، ثم تبين أنه يعلم قصة كل بيت قيل، ولا ينتظر الأصمعى حتى يخبره، وإنما يسأل الأصمعى، ويعلم ما حدث

بيـــن جرير والفرزدق حول بيت عدى بن الرقاع، وينقد ما يراه، ثم يأمـــر الأصمعى أن يمر فى إنشاده، ويسأل عما صنع الوليد بن زيد حيـــن سمع الأبيات، ويعرض رأيه فى الأبيات، ويصحح للأصمعى بعض ما يروى.

ولما عرض الفضل بن يحيى بيتا من الشعر يرى أن عدى بن الرقاع لا يحسن أن يقول مثله اعترض الرشيد على هذا الرأى.

ويســـأل الأصمعى عن شعر ذى الرمة ويعجب الرشيد بالأصمعى، ويقـــول: والله، لا أسألك سؤال امتحان، ولا كان هذا عليك، ولكننى أجعله سببا للمذاكرة.

ويسأل الرشيد عن شعر الشماخ، ويذكر الرشيد ما يعجبه من شعره، وينشـــده الأصمعى رائية الشماخ، ويذكر الرشيد أن الأصمعى أمتع منشدا، ووجده محسنا فى أدبه، معبرا عن سرائر حفظه.

ويعلن الرشيد رأيه النقدى، واتجاهه فى شعر القدماء، وميله لمدرسة المحـــافظين فى الشـــعر بقوله: لكلام هؤلاء القدماء، ومن تقدم من الشعراء ديباج الكلام الحسن، فإذا جاءك الكلام المزين بالبديع، جاءك الحرير الصينى المذهب، يبقى على المحادثة فى أنف الروايات، فإذا أمتعته الأسماع، ولد فى القلوب لها رونق صواب، ولكن فى الأقل، وهى نظـــرة نقدية، وموقف من مدرستى المحافظين والمجددين فى الشعر العربى فى العصر العباسى الأول.

وفى الــنهاية يذكــر الرشــيد أنـــه يعجب بشعر مسلم بن الوليد فى البرامكة.

ويختم المجلس بالأمر بمكافأة الأصمعى منه، ومن الفضل بن يحيى.

وذلك كله ليس غريبا على مثل هارون الرشيد.

***

روى أن هارون الرشيد وقع فى كتاب ورد عليه من سليمان بن أبى جعفر، يذكر فيه وثوب أهل دمشق: فهلا كنت كمروان ابن عمك، إذ خرج مصلتا سيفه، متمثلا ببيت الجحاف بن حكيم:

متقلدين صفائحا هندية ... يتركن من ضربوا كمن لم يولد[1]

وهــذا توقيــع مــن الخليفة جعل الشعر وسيلة فى هذا التوقيع، كما استشهد من شعر القدماء، ومن حكاية تمثل مروان بشعر قديم.

وكــل ذلــك يــدل على تبصره بالشعر، وفهمه، وحفظ القديم منه، ومعرفــته الدقيقــة بمعانى الشعر العربى، حتى إنه ليتمثل بها عند الحاجــة إلى ذلك فى المواقف المختلفة التى تعرض عليه، والعجيب أنه تمثل ببيت واحد يؤدى به الغرض، ويفهم الوالى ما يقصد، وتلك بلاغة تحسب له.

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٨

صــفائح: جمع صفيحة، وهى حديدة السيف، هندية: منسوبة إلى الهند، وهى السيوف الهندية.

***

ولما نكب الرشيد البرامكة، وقتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، أشار الرشيد إلى مصرعه، وهو يحدث سهل بن هارون، قائلا:

من لم يؤدبه الجميـــــــــل ففى عقوبته صلاحه[1]

ودخلت عليه أم جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، بعدما قتل الرشيد جعفـــرا، وهى فاطمـــة ابنة محمد بن الحسين بن قحطبة، وكانت قد أرضعت الرشيد مع جعفر ابنها، لأنه كان يربى فى حجرها، وغذى برســـلها، لأن أمه ماتت عن مهده، فحدثته، فأطرق الرشيد مليا، ثم قال:

وإذا المنية انشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقـــالت أم جعفر بغير روية: ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين، وقد قال الأول.

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الأعمال

فأطرق هارون الرشيد مليا، ثم قال: يا أم الرشيد، أقول!

إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل[2]

---

(١) العقد الغريد ٢٦٦/٣

الجميل: مرفوع.

(٢) العقد الفريد ٢٦٨/٣

المنية: الموت، أنشبت: علقت غيرها، ألفيت: وجدت، تميمة: ما يعلق فى عنق الصبى ليمـــنعه من الحسد، أو هى عوذة تعلق على الإنسان، أو هى خرزة، الإظفار هنا على التصـــوير والمقصـــود عوامل المنية، وأسبابها، والبيت لأبى ذويب الهذلى فى عينيته

فقالت فاطمة أم جعفر: يا أمير المؤمنين، وأقول:

ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى　　يمينك فانظر أى كف تبدل[1]

أولا: إن الرشـــيد بعدما نكب البرامكة تمثل ببيت من الشعر يعبر به عـــن موقـــف البرامكة، وموقفه منهم، ويكشف عن غرض النكبة، وسببها.

ثانيا: كانت المحادثة بين الرشيد وبين أمه من الرضاع محادثة أدبية نـــال فيها الشعر النصيب الأوفى، فقد تمثل الرشيد ببيت أبى ذؤيب الهـــذلى، وردت عليه أم جعفر ردا يدل على فهمها الشعر، وأنشدت بيتا آخر من الشعر، فرد عليها ببيت ثالث، فأجابته ببيت رابع، وكل هذه الأبيات تعبر عما يقصده كل منهما، فهو رد مقصود بمعناه، فهو ينشـــد الـــبيت الأول يبين فيه أن المنية قد وقعت، ولا تجدى التمائم، فأجابته أم جعفر بأن أفضل ما يعوز الإنسان صالح الأعمال، فأجابها الرشـــيد أن نفســـــه إذا انصـــرفت عن الشئ لا تقبل عليه حتى آخر الدهر، فأجابته أنه سيقطع يمينه إذا قطعها، فهى يمينه، وهى محادثة أدبية شعرية أشبه بمناظرة أدبية رائعة.

---

المشـــهورة، افتقرت: أعوذت، والتعبير على الخطاب، الذخائر: جمع ذخيرة، وهى ما يحفظ ويجمع، ويدخر لوقت الحاجة إليه.

(١) العقد الفريد ٣/٢٦٦-٢٦٨

يمينك: منصوب مفعول، والأصل: ستقطع يمينك فى الدنيا إذا ما قطعتنى.

ثالـــثا: كـــان البيت الذى أنشده الرشيد يعبر به عن موقف البرامكة يقول: من لم يؤدبه الجميل، فإنه صلاحه عقوبته.

وهكذا كان الرشيد حافظة للشعر العربى.

***

روى أن أعــرابيا دخل على هارون الرشيد، فأنشده أرجوزة مدحه بهــا، وإسماعيل بن صبيح الكاتب يكتب بين يديه، وكان من أحسن الناس خطا، وأسرعهم يدا.

فقال الرشيد للأعرابى: صف الكاتب.

فقال الأعرابى:

| | |
|---|---|
| رقيق حواشى العلم حين تبور | يريك الهوينا والأمور تطـــير |
| له قلما بؤس ونعمى كلاهمـــا | سحابته فـــى الحـــالتين درور |
| يناجيك عما فى ضميرك خطة | ويفتح باب النجح وهو عسير[1] |

فقال الرشيد: قد وجب لك يا أعرابى عليه حق، كما وجب لك علينا، يا غلام، ادفع له دية الحر.

فقال الكاتب: وعلى عبدك دية العبد.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٢٦/٢

حواشى: جمع حاشية، وهى من كل شئ طرفه وجانبه، ومن الكتاب ما علق عليه من زيـــادات وإيضـــاح، تبور: تكسد، الهوينا: التمهل، تطير: تسرع، بؤس: شدة، نعمى: نعيم، درور: كثيرة الدر والصب والمطر، يناجيك: يسر إليك، النجح: النجاح، عسير: صعب.

فقــد أمــر الرشيد من الأعرابى وصف الكاتب، وانصاع الأعرابى لــرأى الرشيد ووصف الكاتب شعرا، فأوجب الرشيد للأعرابى على نفســه حقان كما أوجب على الكاتب للأعرابى حقا، فكانت دية الحر ودية العبد، من الرشيد وكاتبه للأعرابى، وهى منحة عظيمة لشاعر أنشــد ثلاثــة أبيــات من الشعر، فقد قدر الرشيد للأعرابى البديهة، والارتجــال فى شــعره، وهــو أحق من يقدر ذلك، لتقديره الشعر والشعراء.

وقد وصف الأعرابى الكاتب برقة حواشى العلم، وأنه يمشى الهوينا، عــلى رغــم أن أمــوره تطير، وله قلما بؤس ونعمى يمضى فيهما كالســحابة الــدرور، ويــناجيك خطه عما فى ضميرك، ويفتح باب الــنجاح وهو عسير، وهو وصف أعجب به الرشيد حتى كانت هذه الجائزة التى منحها الأعرابى.

•••

روى أن هارون الرشيد الخليفة العباسى قال: لو قيل للدنيا: صفى لنا نفســك، وكــانت ممــن ينطق ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبى نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفــت　　له عن عدو فى ثياب صديق

وما الناس إلا هالك وابن هالك     وذو نسب فى الهالكين عريق[1]

أى أن الخليفة الرشيد كان معجبا بهذين البيتين لأبى نواس، من حيث إنهمـــا عبرا عن الدنيا أصدق تعبير، ولو أن الدنيا عبرت عن نفسها مـــا عـــبرت بأحسن من تعبير أبى نواس فى هذين البيتين، وهو فهم دقيق لمعنى البيتين، ونقد حسن لهما.

والمعنى الذى أعجب الرشيد فى هذين البيتين هو أن الدنيا لو امتحنها لبيب لعرف أنها عدو تلبس ثوب الصديق، وما الناس إلا هالك وابن هـــالك، وذو نسب عريق فى الهالكين، كأن الدنيا عدو، والناس إلى هلاك، وهو معنى فى غاية الصدق مع أنه صدر من مثل أبى نواس، ومـــن ثم كان إعجاب الرشيد بالبيتين، فهما موعظة جميلة، وحكمة صادقة، وفكرة قديمة جديدة باقية مؤثرة.

***

روى أن يعقـــوب بن صالح بن على بن عبدالله بن عباس دخل يوما عـــلى الرشيد الخليفة العباسى، وهو متغيظ متربد، فندم على دخوله عليه، وقد كان يفهم غضبه فى وجهه، فسلم يعقوب، ثم قال يعقوب: داهية نآد، ثم فأومأ الرشيد إلى يعقوب، فجلس.

---

(١) العقد الفريد ١٢٢/٢

لـــبيب: حصـــيف عاقل أريب، عريق: قديم، هالك: باعتبار ما سيؤول إليه، فى ثياب: يقصد فى مظهر، نسب: صلة وقربى.

فالـتفت إليه الرشيد، وقال: لله عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، فلقد نطق بالحكمة، حيث قال:

يا أيها الزاجرى عن شيمتى سفها ... عمدا عصيت مقام الزاجر الناهى
اقصر فإنك من قوم أرومتهــم ... فى اللؤم فافخر بهم ما شئت أو باهى
يزين الشعر أفواها إذا نطقــت ... بالشعر يوما وقد يزرى بأفــــواه
قد يرزق المرء لا من فضل حيلته ... ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى
لقد عجبت لقوم لا أصول لهــم ... أثروا وليسوا وإن أثروا بأشبـــــاه
ما نالنى من غنى يوما ولا عدم ... إلا وقولى عليه الحمـــــــد لله[1]

فقال يعقوب: يا أمير المؤمنين، ومن ذا الذى بلغت عليه المقدرة، أن يسامى مثلك، أو يدانيه.

قال الرشيد: لعله من بنى أبيك وأمك.

وهذه الرواية تثبت أن الرشيد كان يتمثل بالشعر فى كل موقف وحالة تطــرأ عــليه، وقد تمثل هنا بالشعر الذى يبين معنى هو أن بعض الناس لا ينزجرون، ولا ينتهون عما هم فيه، ويعصون زجر الزاجر للإقلاع عن شيمهم، ويقولون للزاجر: اقصر، فإنك من قوم لئام، ثم يقول: يزين الشعر أقواما ويزرى بآخرين، وقد يرزق المرء غير ذى

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٥١-٢٥٢
شـــيمتى: خلقى، الزاجرى: الناهى، السفه: الطيش، اقصر: أى عن الزجر، أرومتهم: أصلهم، ومحتدهم، باهى: فاخر، يزرى: يحقر، الداهى: الداهية، الشديد المكر والحيلة، أشباه: أكفاء، يرزق، ويصرف: بالبناء للمجهول.

الحيلة، ويحرم الأريب من الرزق، وأن ثمت من يثرى وليس شبيها، ولا أنال من غنى، ولا عدم إلا وقولى على ما نالنى: الحمد لله.

وهى معـــانى طيـــبة استحسنها الرشيد، وتمثل بها، وهى جديرة أن يتمثل بها فى موقفة الذى كان فيه، وحاله الذى كان عليه.

***

روى الأصــمعى أنه كان عند الرشيد الخليفة العباسى، إذ دخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فأنشده:

وآمره بالبخل قلت لها اقصرى　　　فليس إلى ما تأمرين سبيل
فعالى فعال المكثرين تجمـــــلا　　　ومالى كما قد تعلمين قليل
فكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى　　　ورأى أمير المؤمنين جميل(١)

فقـــال له الرشـــيد الخليفة العباسى: لله در أبيات تأتينا بها، ما أحسن أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها، يا غلام أعطه عشرين ألفا.

قال إسحاق: والله لا أخذت منها درهما واحدا.

قال الرشيد: ولم؟

قال إسحاق: لأن كلامك، والله يا أمير المؤمنين، خير من شعرى.

قال الرشيد: أعطوه أربعين ألفا.

---

(١) العقد الفريد ٢٩٩/١، الأغانى ٥٢٢/٥، الأمانى ٣١/١

وآمـــره: بالجـــر، فعالى فعال: بفتح الفاء فيهما، المكثرين: بصيغة اسم الفاعل، تجملا: مصـــدر تجمـــل الخماس، بفتح التاء والجيم، وضم الميم المشددة، أحرم الغنى: بالبناء للمفعول.

قال الأصمعي: فعلمت والله أنه أصيد لدراهم الملوك مني.

- في نقد الرشيد الأبيات التي أنشدها إسحاق الموصلي ما يدل على فهمـــه الشعر، ومعرفة جيده من رديئه، حين قال: لله در أبيات تأتينا بها، ما أحسن أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها، وهو نقد ينم عن بصر بالشعر، ولا غرو فقد كانت تربيته على الشعر القديـــم، الذي سمعه من رواة الشعر ونقدته، وعلماء اللغة، فكان ذلك النقد ثمرة ثقافته الأدبية.
- إن الرشـــيد منح إسحاق الموصلي على هذه الأبيات أربعين ألف درهـــم، وهي قيمة ثلاثة أبيات قالها إسحاق، مما يدل على مبلغ قيمة الشعر في بلاط بني العباس في العصر العباسي الأول.
- إن إســـحاق الموصلي قد أعجب بنقد الرشيد الأبيات، وقال: إن كـــلام الرشيد خير من شعري، وهذا دليل على استحسان إسحاق نقد الرشيد.
- إن الأصـــمعي قد أعلن أن إسحاق بشعره أصيد لدراهم الملوك مـــنه بعـــلمه، ولغـــته، وروايته الشعر فكأن الذي يتنازع دراهم الملوك الشعراء، والمغنون بالشعر، ورواة الشعر، وعلماء اللغة، وفي ذلك إعلاء لقيمة الشعر عن العباسيين.
- إن جلساء الخليفة الرشيد كانوا من الشعراء، والمغنين بالشعر، وعـــلماء اللغة، ورواة الشعر، فلا ننتظر من مثل هؤلاء إلا أن

يكونــوا الدوافــع، والبواعث التى تبعث الخلفاء العباسيين على إعــلاء قــدر الشــاعر، ورفع قيمة الشعر فى بلاطهم، وسمو المكافآت التى تنهال على الشعراء منهم إلى أعلى مرتبة.

- إن الشــعر الذى أنشده إسحاق الموصلى فيه مدح جميل للخليفة، عــلى طــريق الحوار بينه وبين زوجه، حين تحاوره أمره إياه بالــبخل، فيرد عليها أن تقصر فى أمرها، فليس ثمت سبيل إلى الــبخل، ويتساءل قائلا: كيف أخاف الفقر، أو كيف أحرم الغنى، ورأى أميــر المؤمنين جميل فى، وفى شعرى، أى أنه لا يخاف الفقــر، ولا يحــرم الغــنى طالما عرف رأى الخليفة فيه، لذلك سيكون نواله من الخليفة عظيما وستظل فعاله فعال المكثرين، أما مالــه القــليل فسوف يكثر بمنح الخليفة، وعطاياه، وهذا تلاعب جميــل بالمعــانى، والمدح، مما يجعل الخليفة يمنحه، وقد منحه فعلا عشرين ألف درهم.
- ولمــا تيقن أن الخليفة منحه هذه الدراهم على جودة شعره رجا الخــليفة أن لا يأخذ منها درهما واحدا، وبين السبب الذى جعل الخــليفة يــزيده فى العطــاء ليصل إلى أربعين ألفا، حين قال للخليفة: لأن كلامك خير من شعرى.
- فــفى هــذا القول تأدب، وذكاء، وبديهة حاضرة، وذهن متيقظ، وفهم لطبيعة سمات الخليفة، أو طبيعة شيم علية الناس.

- وهـذا هو دور الشعر والشاعر، فهما يخاطبان النفس الإنسانية، وليس يأسر النفس الإنسانية إلا مثل هذا التأدب.

***

وروى الأصمعي أن هارون الرشيد ركب إلى الميدان لشهود الحلبة، فدخـل الأصـمعي الميـدان لشـهودها فيمن شهد من خواص أمير المؤمنين.

والحلـبة يومئذ أفراس للرشيد، ولولديه الأمين، والمأمون، ولسليمان بن أبي جعفر المنصور، ولعيسى بن جعفر.

فجـاء فـرس أدهـم يقال له: الربذ، بفتح الراء، وكسر الباء، وذال معجمة، بمعنى السريع، أو الزبد، بفتح الزاي، وكسر الباء، لهارون الرشيد سابقا.

فابتهج لذلك ابتهاجا علم ذلك في وجهه، وقال: علي بالأصمعي.

فـنودي له مـن كل جانب، فأقبل سريعا، حتى مثل بين يديه، فقال الرشـيد: يـا أصـمعي، خذ بناصية الربذ، ثم صفه من قونسه إلى سـنبكه، أي مـن أعلى رأسه إلى طرف حافرة، فإنه يقال: إن فيه عشرين اسما من أسماء الطير.

قال الأصمعي: نعم، يا أمير المؤمنين، وأنشدك شعرا جامعا لها، من قول أبي حزرة، يقصد جرير بن عطية الخطفي، الشاعر المشهور.

قال الرشيد: فأنشدنا، لله أبوك.

قال الأصمعي: فأنشدته:

وأقب كالسرحان تم له ما بين هامته إلى النسر[1]

فامر الرشيد الخليفة العباسي للأصمعي بعشرة آلاف درهم.

- والعجيب أن الرشيد يعرف أن في الفرس عشرين اسما من أسماء الطير، ذكرها الأصمعي في شعره.
- والأعجب أن الأصمعي يحفظ قصيدة جرير التي ذكر فيها عشرين اسما من أسماء الطير للفرس.
- أما ما هو أمر معتاد أن الرشيد طلب الأصمعي، وأمره بوصف الفرس، واستمع إلى الشعر الذي أنشده الأصمعي لجرير في وصف الفرس، ووجد فيه ضالته المنشودة.
- وقد أمر الرشيد الأصمعي أن ينشده شعرا جامعا لهذه الصفات التي ذكرها.
- والغريب أيضا أن الشعر الذي أنشده الأصمعي الخليفة الرشيد قد ذكر فيه جرير عشرين اسما للطير هي أسماء أعضاء في جسد الفرس، وهي كما ذكرها جرير الهامة، والنسر، والنعامة، والفرخ، والصرد، والعصفور، والديك، والدجاجة، والصلصل،

---

(١) العقد الفريد ١/١٩٤-٢٠٠
أقب: المنطوي البطن، السرحان: الذئب، شبهه به في ضموره، وعدوه به، الهامة: أعلى الرأس، وهي أم الدماغ، وهي من اسماء الطير، النسر: بفتح النون المشددة، هو ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه، كانه النوى، أو الحصى، وهو من أسماء الطير.

والناهض، والغر، والسمانى، والغراب، والخطاف، والشمامة، أو السمامة، والقطاة، والحر، والخرب، والحدأة(١).

- إن الخـليفة كان يسير فى موكبه، ويشهد الحلبة معه كوكبة من العـلماء، ورواة الشـعر، ونقدتـه، وعلماء اللغة، لذا حين سر ابـتهاجا بفرسـه نادى الأصمعى، وأمره أن يصف الفرس من قونسه إلى سنبكه، وكأنه يريد أن ينهى هذه السعادة بسعادة أكثر، وهى الشعر الذى يتم عليه ما يريد، وكأن الشعر هو فارس هذا الموقف، وليس السبق للفرس.
- إن الخـليفة الرشـيد كان على دراية بأن للفرس عشرين اسما لمواضع منه هى نفسها أسماء للطيور، وهذه ثقافة عالية للخليفة، ويأمـر الأصـمعى أن يصـف الفرس، وأن يذكر هذه الأسماء العشرين للفرسن والطيور، فهو يطلب الأدب، شعرا، أو نثرا فى مثل هذا الموقف، وذلك دليل على مكانة الشعر عنده، لذا اختار الأصـمعى شـعرا لجريـر، يمثل هذه المواصفات التى ابتغاها الخـليفة، وأنشده إياها، فسر بذلك الرشيد لأنه محب للشعر، ذو بصر به، وفهم له.

---

(١) العقد الفريد ١/١٩٤-٢٠٠
الهامـة: طائـر زعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل تقول: اسقونى من دم قاتلى، الـناهض: فرخ القطا، والغر: هو ما يسمى بالرخمة، والحر: ذكر الحمام، والخرب: ذكر الحبارى.

•••

روى أن الرشيد الخليفة العباسى قال لبعض الشعراء: هل أحدثت فينا شيئا؟

قال: يا أمير المؤمنين، المدح كله دون قدرك، والشعر فيك كله فوق قدرى، ولكنى أستحسن قول العتابى:

ماذا عسى مادح يثنى عليك وقد ناداك فى الوحى تقديس وتطهير
فـت الممـــادح إلا أن ألسننا مستنطقات بما تخفى الضمـــائر[1]

والشـــاهد أن الرشيد سأل الشاعر عما أحدث فى الرشيد والعباسيين مـــن شعر، ولعله بذلك يكون متتبعا لشعر هذا الشاعر، وأخر ما قاله فيهـــم، ويســـألاه عما قال بعد ذلك، لعله أحدث فيهم شعرا لم يسمعه الرشيد.

وكان رد الشاعر جميلا، فقد قال: المدح كله دون قدرك، والشعر فيك كلـــه فوق قدرى، ولكن استحسن قول العتابى، وذكر بيتين للعتابى، ومعـــناهما مـــاذا يقول فيك مادح يثنى عليك، وقد أثنى عليك وناداك الـــوحى فى اسمك: رجل رشيد، وأنت قد فت الممادح إلا أن ألسنة

(١) العقد الفريد، المطبعة التجارية ١/٢٢٦

نادلك فى الوحى تقديس وتطهير، يقصد قول الله تعالى فى حكاية لوط عليه السلام مع قومه، عند قدوم الملائكة: أليس منكم رجل رشيد، فت: سبقت، أو علوت، مستنطقات: أى ناطقة، الضمير: يقصد السر، أو الباطن، الضمائر: صيغة منتهى الجموع.

الشـــعراء مســـتنطقة بما يخفى الضمير. وهذا مثال من أمثلة اهتمام الرشيد بالشعر.

•••

روى أن هارون الرشيد كان يقتل أولاد فاطمة رضى الله عنها، بنت النبى صلى الله عليه وسلم، من العلويين، وشيعتهم.

وكـــان مسلم بن الوليد، صريع الغوانى، قد رمى عنده بالتشيع، فأمر الرشـــيد بطلب مسلم، فهرب منه، ثم أمر الرشيد بطلب أنس بن أبى شيخ، كاتب البرامكة، فهرب منه، ثم وجد أنس، هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد.

فلما أتى بهما، قيل له: يا أمير المؤمنين، قد أتى بأنس بن أبى شيخ، ومسلم بن الوليد.

فقال الرشيد: الحمد لله الذى أظفرنى بهما.

وأحضرهما فلما دخلا عليه، نظر إلى مسلم، وقد تغير لونه، فرق له، وقال: ايه يا مسلم، أنت القائل:

أنس الهوى ببنى على فى الحشا وأراه يطمح عن بنى العباس

قال مسلم: بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين:

أنس الهوى ببنى العمومة فى الحشا مستوحشا من سائر الإيناس

وإذا تكاملت الفضائل كنتـــــم أولى بذلك يا بنى العبـــاس[١]

فعجـــب هـــارون الرشيد من سرعة بديهته، وقال له بعض جلسائه: اســـتبقه، يا أمير المؤمنين، فإنه من أشعر الناس، وامتحنه، فسترى منه عجبا.

فقال الرشيد لمسلم: قل شيئا فى أنس.

فقـــال مسلم: يا أمير المؤمنين، أفرخ روعتى، أفرخ الله روعك يوم الحاجة إلى ذلك، فإنى لم أدخل على خليفة قط، ثم أنشأ يقول:

تلمظ السيف من شوق إلى أنس فالموت يلحظ والأقدار تنتظر

فليس يبلغ منه مـــــــا يؤمله حتى يؤمر فيه رأيك القـــدر

أمضى من الموت يعفو عند قدرته وليس للموت عفو حين يقتدر[٢]

فاجلســـه هـــارون الرشيد وراء ظهره، لئلا يرى ما هم به، حتى إذا فرغ من قتل أنس، قال لمسلم: أنشدنى أشعر شعر لك.

---

(١) العقد الفريد ١/٢٥٠-٢٥١، شرح ديوان صريع الغوانى ص ٣٥٧، ٣٢٤
الهـــوى: الـــود والحب، بنى على: العلويون، الحشا: ما انضمت عليه الضلوع، يقصد القـــلب أو الصدر، يطمح: يعلو ويرتفع، بنو العمومة: يقصد العباسيين، مستوحشا: من الوحشـــة، وهى ضد الأنس، الإيناس: إما مصدر آنس، أو يقصد الإناس، جمع إنس، والمد لضرورة الوزن، الفضائل: جمع فضيلة، وهى المحامد والمكارم.

(٢) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٥١
التـــلمظ: هو مسح الفم من خارجه باللسان، يدل على الرغبة فى الطعام، والمعنى هنا أن الســـيف يتشوق لقتل أنس، يلحظ: يرى، الأقدار: جمع قدر، يؤمر: يتقبل الأمر، أو يطلب الأمر، أمضى: اسرع، يقتدر: يصير قادرا.

فكلما فرغ مسلم من قصيدة، قال له الرشيد: التى تقول فيها الوحل، فإنى رويته وأنا صغير.

فأنشده مسلم شعره الذى أوله:

أديرا على الراح لا تشربا قبلى ... ولا تطلب من عند قاتلتى ذحلى

حتى انتهى قوله:

غدونا على اللذات نجنى ثمارها ... ورضا حميدى العيش متفقى الشكل

أقامت لنا الصهباء صدر قناتها ... ومالت علينا بالخديعة والختل

إذا ما علت منا ذؤابه شارب ... تمشت به مشى المقيد فى الوحل[1]

فضحك الرشيد وقال: عليك، أما رضيت أن قيدته، حتى يمشى فى الوحل، ثم أمر له بجائزة وخلى سبيله.

فالرواية تقول إن الرشيد ذكر البيت الذى يظهر مسلم بن الوليد متشيعا للعلويين، راغبا عن العباسيين، فغيره مسلم على البذيهة

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٥١/١، ديوان صريع الغوانى ص ٣٣-٤٢، محاضرات الأدباء ٢٦/٢، طبقات الشعراء ص ٢٣٥

يقول لصاحبيه مخاطبا على عادة الشعراء القدماء، أديرا على: أى اجعلاها تدور عليه، ليشرب، الراح: الخمر، الذحل: طلب الدم، أى لا تطلبا دمى من قاتلى، ولا تطلبا ثأرا منه، غدونا: الوقت أول النهار، ورحنا: الوقت آخر النهار فى الرواح من وسط النهار إلى الليل، نجنى ثمارها: ننال منها ما اشتهينا، متفقى الشكل: شكلهم متفق، أى اصحابه، ونفسه، ثمار اللذات: أطايبها، أقامت لنا الصهباء صدر قناتها: قومت لهم أمرها، فاستقام لهم شربها، وضرب القناة مثلا، ثم يقول: خدعتنا فى عقولنا، الختل: استنزاف العقول بالختل، وهو الاستراق، ثم يقول: إذا ما علت الخمر على رأس شارب مشت به مشيا ثقيلا، كما يمشى المقيد فى الوحل، وهو الطين الذى يغرق فيه.

والارتجال إلى إظهار الود للعباسيين دون الناس جميعا، وأن الفضائل إذا تكاملت كان العباسيون أولى بها، فعجب الرشيد من سرعة بديهة مسلم بن الوليد.

كما تثبت الرواية أن بعض جلساء الرشيد قال للرشيد: استبقه، فإنه من أشعر الناس، وامتحنه، فسترى منه عجبا، وذلك دليل على مكانة جلساء الرشيد فى الشعر.

وقول الرشيد لمسلم: قل شيئا فى أنس، وخوف مسلم، وإنشاده ثلاثة أبيات فى موقف الخليفة من أنس، ومدح الخليفة، ثم أمره أن ينشد أشعر شعر له، وكلما أنشده مسلم قال له الرشيد: التى تقول فيها الوحل، فإنى رويتها وأنا صغير، فلما أنشده مسلم القصيدة التى يقصدها الرشيد، عقب عليها الرشيد، وأمر له بجائزة.

ولعل شعر مسلم بن الوليد، ومدحه الخليفة، وإنشاده شعره، ونجاحه على البديهة فى الشعر، لعل كل ذلك قد نجاه من القتل.

وذلك دليل على قيمة الشعر عند الرشيد.

***

روى شراحيل بن معن بن زائدة قال: حج هارون الرشيد وكنت كثيرا ما أسايره، إذ عرض له أعرابى من بنى أسد، فأنشده شعرا مدحه فيه، وأفرط.

فقـال هارون الرشيد للأعرابى: ألم أنهك عن مثل هذا فى مدحك يا أخا بنى اسد؟ إذا قلت فينا، فقل كقول القائل فى أب هذا، يقصد قول مروان بن أبى حفصة يمدح معن بن زائدة، بقوله:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهـم ... أسود لها فى غيل خفان أشبل
هم يمنعون الجارحتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل
لها ميم فى الإسلام سادوا ولم يكن ... كأولهم فى الجاهلية أول
وما يستطيع الفاعلون فعالهـم ... وإن أحسنوا فى النائبات وأجملوا
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ثلاث بأمثال الجبال حباهـم ... وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل(١)

وقـد روى ابـن الأعرابى هذه الرواية، وقال: وقف مروان بن أبى حفصة على معن بن زائدة، فأنشده هذه الأبيات، فأمر له بصلة سنية، وخلع عليه، وحمله، وزوده.

---

(١) العقد الفريد ١/٣٥٦-٣٥٧، ٣/٤٠٠-٤٠١، مهذب الأغانى ٩/٨٢
الغيـل: الشجر الكثير الملتف، خفان: بفتح الخاء والفاء المشددة، موضع كثير الغياض قرب الكوفة، وهو ماسدة، أشبل: بفتح الهمزة وسكون الشين، وضم الباء، جمع شبل، وهـو ولـد الأسد، هم: تنطق همو، لضرورة الوزن الشعرى، السماكان: مثنى سماك وهما نجمـان نيران، أحدهما فى الشمال، وهو السماك الرامح، والأخر فى الجنوب، وهو السماك الأعزل، ويقال: بلغ السمك، أى بلغ مرتبة عالية، والسماك: بكسر السين المشـددة، لها ميم: جمع لهميم، وهو السابق الجواد، أو جمع لهموم، بضم اللام، وهو الكـثير الخير، النائبات: جمع نائبة، وهى النازلة، أطابوا: أعطوا عطاء طيبا، ثلاث: تلف وتعصب، أحلامهم: عقولهم، اللقاء: الحرب، الغيل: الأجمة من القصب، وموضع الأسـد، والبهـلول: السيد الجامع لصفات الخير، والمرح الضحاك، أجملوا: من جمال الأفعال.

ثم قال ابن الأعرابى: لو أعطى معن بن زائدة مروان بن أبى حفصة كل ما يملك لما وافاه حقه.

وكان ابن الأعرابى يختم بمروان بن أبى حفصة الشعراء، وما دون لأحد بعده شعرا[1].

والشاهد هنا أن الرشيد سمع من هذا الأعرابى شعرا قبل ذلك، ونهاه عن الإفراط فى المدح، وهى نظرة نقدية صحيحة.

- إن الرشيد قد رسم للشاعر طريقة المدح، وضرب له المثل بشعر مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة، وهو مثال أراد الرشيد للأعرابى أن يحتذيه.
- كـــان مـــدح مروان بن أبى حفصة معن بن زائدة منصبا على وصـــف قومـــه بالشجاعة، وحمى الجار، والسيادة فى الجاهلية والإســـلام، وأنهم فى فعلهم الحسن أعلى مكانة من غيرهم، ولا يســتطيع أحـــد فعـــالهم، وهم مصيبون فى القول، مجيبون فى الدعـــاء، مجزلون فى العطاء، وأنهم فى علو الجبال، وأحلامهم أثقل منها.

(١) مهذب الأغانى ٨٢/٩

- إن رأى الرشـــيد قــد وافق رأى ابن الأعرابى مما يدل على أن للرشـــيد نظرة نقدية دقيقة، حتى كأنه من كبار النقاد فى العصر العباسى.

•••

روى أن إبـــراهيم الموصلى دخل على هارون الرشيد، فأخذ الرشيد فى حديــث الجوارى، وغلبتهن على الرجال فغناه الموصلى بأبياته التى يقول فيها:

| | |
|---|---|
| ملك الثلاث الأنسات عنانـــى | وحللن من قلبى بكل مـــكان |
| مالى تطاوعنى البرية كلهـــا | وأطيعهن وهن فى عصيانى |
| ما ذاك إلا أن سلطان الـــهوى | وبه قوين أعز من سلطانى[1] |

فارتـــاح الرشـــيد، وطـــرب، وأمر لإبراهيم الموصلى بعشرة آلاف درهم.

وهذه الرواية تكشف عن بعض الشعر للرشيد نفسه، فقد غناه إبراهيم الموصـــلى أبياته التى يظهر فيها أنه قد ملك عليه قلبه ثلاث أنسات، يطيعهـــن وهن فى عصيانه، مع أن البرية كلها تطيعه، ويبين تعليلا

(١) العقد الفريد ١٣٤/٤
الأنســـات: جمع أنسة، وهى الفتاة الطيبة النفس، المحبوب قربها وحديثها، يؤنس بها، عنانى: زمام، البرية: الخلق، الهوى: الحب، سلطان: سطوة.

لذلـــك بقوـــله: ذلك لأن سلطان الهوى أعز من سلطانى، فقد قواهن حتى ملكن زمامى.

وقـــد ارتاح الرشيد، وطرب، وأمر لإبراهيم الموصلى بعشرة آلاف درهم، إعجابا بغنائه شعر الرشيد.

***

روى أن العمـــانى الشـــاعر لما أنشد هارون الرشيد الخليفة العباسى يصف فرسا:

كأن أذنيه إذا تشوفـــا        قادمة أو قلما محرفـــا

ولحن، فنصب خبر كأن، فهم ذلك أكثر من حضر.

فقال الرشيد للعمانى: اجعل مكان: كأن، تخال.

فعجبوا لسرعة بديهته[١].

فقـــد صـــوب الرشـــيد بيت العمانى الشاعر نحويا، مع الحفاظ على المعـــنى، وذلك أمر لا يستطيعه إلا الناقد الحصيف، المتمرس بأدب القدماء وشعرهم، البصير بنقد النقاد من الطراز الأول، مما يدل على

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٣، العقد الفريد ٤/١٨

تشـــوف: ارتفـــع إلى أعلى أو إلى بعيد، قادمة: ريشات تظهر إذا ضم الطائر جناحيه، عكـــس الخوافى، محرفا: بصيغة اسم المفعول، من حرف، الرباعى، بتشديد الراء أى مـــائلا، أذنيـــه: يقصد أذنى الفرس، والقوادم: عشر فى كل جناح، والخوافى: ريشات تخفى إذا ضم الطائر جناحيه، تشوفا: أى الأذنان يسمع بهما من بعيد، أو ينظر.

أن الرشــيد قد استفاد بتعليم المؤدبين إياه على لغة قومه الصحيحة، وشعر العرب السليم.

•••

روى أنه قدم على هارون الرشيد الخليفة العباسى أعرابى من باهلة، فمثل بين يدى الرشيد.

فقيل له: خذ فى شرف أمير المؤمنين.

فــاندفع الأعــرابى فى شــعره، فقــال الرشيد: يا أعرابى، اسمعك مستحســنا، وأنكــرك متهما، فقل لنا بيتين فى هذين – يعنى محمدا الأمين، وعبدالله المأمون ابنيه، وهما عن حفافيه.

فقــال الأعــرابى: حملتنى على الوعد القردد، ورجعتنى عن السهل الجــدد، روعة الخلافة، وبهر الدرجة، ونفور القوافى على البديهة، فأرونى تتألف لى نوافرها، ويسكن روعى.

قال الرشيد: قد فعلت، وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك.

قال الأعرابى: يا أمير المؤمنين، نفست الخناق، وسهلت ميدان السباق.

فأنشأ يقول:

بنيت لعبد الله ثم محمــــد ذرا قبة الإسلام فاخضر عودها

هما طنباها بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودها[1]

---

(١) العقد الفريد ١/٣٥٨-٣٥٩

فقال الرشيد: وأنت يا أعرابى، بارك الله فيك، فسل، ولا تكن مسألتك دون إحسانك.

قال الأعرابى: الهنيدة، يا أمير المؤمنين.

فأمر الرشيد له بمائة ناقة، وسبع خلع.

وهـذه الرواية تدل على تذوق الرشيد الشعر، وفهمه، ومعرفة جيده من رديئه، فهو كالصيرفى الذى يعرف الجيد من الردئ من الدنانير، فقد سمع شعرا جيدا، وارتاب فى الشاعر، فأراد امتحانه ليعرف قدره فى هذا الفن.

- إن الرشـيد قـد عرف أن الشعر الذى أنشده الأعرابى له، من اعـتذاره، وجعل اعتذاره بدلا من امتحانه، وذلك دليل على فهم دقيق للأدب العربى، وأساليب الأدباء، وارتباط الأساليب بعضها ببعض، حتى بين الشعر والنثر، وتلك منزلة عالية فى فهم الأدب العربى.

---

القـردد: مـا ارتفع من الأرض، بفتح القاف وسكون الراء، الجدد: بفتح الجيم والدال، الأرض الغليظة المستوية، عبدالله: هو المأمون، محمد: هو الأمين، ذرا: جمع ذروة، وهى أعـلى الشـئ، اخضـر عودها: نمت وعلت، طنبان: مثنى طنب، بضم الطاء والـنون، حبل طويل يشد به سرادق البيت، أو هو الوتد، أمير المؤمنين: منادى حذف مـنه حرف النداء، عمود: هو أساس الخيمة. الهنيدة: بضم الهاء وفتح النون، وسكون الياء، وفتح الدال، تصغير هند، اسم للمائة من الإبل، أو لما فوقها ودونها، أو للمائتين، خلع: بكسر الخاء، جمع خلعة: وهو ما يخلع من الثياب.

- إن الرشـــيد عقــد امــتحانا للأعــرابى فى الشعر، بأن حدد له موضـــوع الشعر، وهو مدح ابنيه: الأمين، والمأمون، واستحسن الرشيد شعر الأعرابى فى مدح ولديه.
- إن الشـــعر الـــذى أنشده الأعرابى جعل فيه الرشيد بانيا ذرا قبة الإســـلام لولديـــه، وقـــد قويت واخضر عودها بهما، فهما طنبا الـــبيت، وهـــو عمود البيت، وهو مدح يعلو عند الرشيد، ويلائم بداوة الأعرابى فأيقن الرشيد أن الشعر له.
- إن الرشـــيد أعجب بالشاعر حتى قال له: سل، ولا تكن مسألتك دون حاجتك، ومنحه جائزة عظيمة.
- وهكذا كان الرشيد ناقدا حصيفا فى الشعر العربى.

•••

روى أن الأصـــمعى كان عند هارون الرشيد، فقدمت إليه فالوذجة، فقال الرشيد للأصمعى: حدثنى بحديث مزود أخى سماح.

فحكى الأصمعى هذه القصة، وهى أن مزودا كانت أمه تؤثر عيالها عـــليه، وكـــان جشعانهما، وكان ذلك يحفظه، فذهبت يوما فى بعض حقـــوق أهلها، وخلفت مزودا فى بيتها، فدخل الخيمة، فأخذ صاعين مـــن دقيـــق، وصاعا من عجوة، وصاعا من سمن، فضرب بعضه ببعض، فأكله.

ثم أنشأ يقول:

ولما مضت أمى تزور عيالهـا     أغرت على العكم الذى كان تمنع
خلطت بصاعى حنطة صاع عجوة     إلى صاع سمن فوقه يتربـــــع
وذيلت أمثال الأثانى كأنهـــــا     رؤوس رجال قطعت لا تجمع
وقلت لبطنى أبشرى اليوم إنـــه     حمى أمن مما تفيد وتجمـــــع
فإذا كنت مصفورا فهـــذا دواؤه     وإن كنت غرثانا فذا يوم تشبع[1]

فاستضـــحك الرشيد فمد يده، وقال للأصمعى: خذ، فذا يوم تشبع، يا أصمعى.

والشـــاهد أن الرشـــيد يعرف هذه القصة الأدبية التى روى فيها هذا الشـــعر، وهى طرفة جميلة أراد الرشيد الحديث فيها، لكنه يريد أن يسمعها من الأصمعى الراوية الثقة.

- إن الأصمعى حكى هذه القصة والشعر الذى قيل فيها وذلك دليل عـــلى أن الأصـــمعى بلغ حدا عظيما فى رواية الشعر العربى، والرشيد يعلم ذلك.

---

(١) العقد الفريد ٣١٢/٤

العكم: بكسر العين وسكون الكاف، العدل، بكسر العين، أو الشد بحبل أو خيط، فيكون بفـــتح العيـــن وســـكون الكـــاف، حنطة: قمح، الأثافى أحجار من ثلاث جهات للنار، مصفورا: من الصفر، بفتحتين، وهو فيما تزعم العرب حية فى البطن تعفض الإنسان إذا جاع، واللذع الذى يجده عند الجوع من عضه، الغرثان: العطشان الجائع.

- إن الرشيد كان يجلس إليه علماء اللغة ورواة الشعر القديم، حتى يسمع منهم الشعر العربى القديم، لذا كان من مدرسة المحافظين فى العصر العباسى الأول.
- إن الرشـــيد أعجب بالأصمعى، لذا كانت الجائزة التى يشبع بها فى ذا اليوم الأصمعى، تقديرا لروايته الشعر العربى.
- إن الرشيد هو الذى سأل الأصمعى عن هذه القصة، وذاك الشعر ممـــا يـــدل على حبه الشعر العربى، حتى ليجعله سمر مجالسه الأدبية.

***

روى أنه دخل سهل بن هارون، على هارون الرشيد، فوجده يضاحك ابـــنه المـــأمون، فقال سهل: اللهم زده من الخيرات، وأبسط له فى البركات، حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه، مقصرا عن غده.

فقال له الرشيد: يا سهل، من روى من الشعر أحسنه، وأجوده، ومن الحديـــث أصحه، وأبلغه، ومن البيان أفصحه، وأوضحه، إذا رام أن يقول لم يعجزه؟

قال سهل: يا أمير المؤمنين، ما ظننت أحدا تقدمنى إلى هذا المعنى، أو سبقنى إلى هذا المعنى.

فقال الرشيد: بل سبقك أعشى همذان، حيث يقول:

وجدتك أمس خير بنى لؤى — وأنت اليوم خير منك أمس

وأنت غدا تزيد الخير ضعفا — كذاك تزيد سادة عبد شمس[1]

والشاهد هنا أن الرشيد يسأل سهل بن هارون الأديب عمن روى من الشعر أحسنه، وأجودهن ومن الحديث أصحه وأبلغه، والبيان أفصحه، وأوضحه، إذا رام أن يقول لم يعجزه القول، وهو سؤال عالم بالشعر والأدب يريد أن يتعرف على الدرر والقلائد، مما يدل على مبلغ مكانته الأدبية.

- إن سهل بن هارون رد على الخليفة بأنه ما ظن أن أحدا تقدمه فى المعنى الذى عبر عنه فى دعائه للمأمون، حين وجد الرشيد يضاحكه، وهو أن يكون يومه موفيا على أمسه، مقصرا عن غده.
- إن الرشيد ذكر لسهل بن هارون أن هذا المعنى سبقه إليه أعشى همدان فى بيتين من الشعر، رواهما الرشيد، مما يدل على حفظه الشعر العربى، ووصوله إلى درجة عالية فى فهم الشعر القديم، ومعرفة معانيه، ورواياته، وشعرائه، والسبق فى المعانى

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٧٧، زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٢٥٣، العقد الفريد ٤/٤

يروى: حسبتك، بنى لؤى: قبيلة عربية، ضعفا: ضعف الشئ ما كان معه ما يماثله، سادة: جمع سيد، عبد شمس: قبيلة قرشية بمكة، ويروى: خير بنى معد، ويروى: تزيد الضعف خيرا.

المختــلفة، وتــلك منزلة عالية فى الشعر العربى للرشيد الخليفة العباسى.

•••

روى أن عــبد المــلك بن صالح دخل على الرشيد الخليفة العباسى يوما، فلم يلبث فى مجلسه أن التفت الرشيد، فقال متمثلا:

أريد حياته ويريد قتلــى          عذيرك من خليلك من مراد

فقال عبدالملك بن صالح: كنت كما قال الشاعر أخو بنى كلاب.

ومقام ضيق فرجتـــه          بلسانى ومقامى وجــــــدل

لو يقوم الفيل أو فيالــه          زل عن مثل مقامى وزحل[1]

فرضى عنه الرشيد، ورحب به، وقال: وريت بك زنادى.

والشـــاهد أن الرشـــيد تمثل ببيت شعرى لموقف تعرَض له، وأنشده جليسه.

- إن جليســه كــان مــن رواة الشــعر، وحفظته، فهو من البيت العباسى، ربى فى حضن الخلافة، وغذى بالشعر العربى، فتمثل بشـــعر فى موقف الخليفة يعبر عن حاله، والمعنى الذى يقصده، فكانت مساجلة بين الرشيد وجليسه فى الشعر العربى القديم، سعد

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٣٥
فياله: سائسة، زل: سقط، زحل: كوكب

لها الرشيد، ورضى عن جليسه لحفظه الشعر، ورحب به لذلك، وقال له: وريت بك زنادى.

- وهذه قيمة كبيرة للشعر فى مجالس الخليفة الرشيد.
- إن الرشـيد ذكر بيتا فيه أن من يعينه يريد الرشيد حياته، ويريد هـو قتل الرشيد، فكان بيتا جليسه مدحا للرشيد بأن ذلك مقام لا يقومـه إلا الرشيد، أى أنت أهل له أيها الخليفة، ولا يقوم مقامك الفيل أو فياله، وإلا زل عن هذا المقام.
- إن الرشيد سعد بهذا المعنى، وارتاح له.

***

روى أنه لما عقد الرشيد، الخليفة العباسى، للأمين ابنه، وهو أصغر مـن المـأمون، ابنه، بولاية العهد، لأجل أمه العربية زبيدة، وكلام أخيها عيسى بن جعفر، وقدمه على المأمون، لأن أمه فارسية، جعل الرشيد يرى فضل عقل المأمون، فيندم على ذلك، فقال الرشيد:

لقد بان وجه الرأى لى غير أننى غلبت على الأمر الذى كان أحزما
فكيف يرد الدر فى الضرع بعدما توزع حتى صار نهبا مقسمـا
أخاف التواء الأمر بعد استوائـه وأن ينقض الحبل الذى كان أبرما[1]

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٢٤٨-٢٤٩
بـان: ظهـر، وجه الرأى: وجهته، وبعده، غلبت: بالبناء للمجهول، أحزم: أكثر حزما وسـدادا، الدر: در اللبن من الضرع، الضرع: لكل ذات ظلف أو خف، توزع: تقسم،

والشـــاهد أن الرشـــيد قد أنشد شعرا فى موضوع تعرض له، وكان موضـــوع ولايـــة العهـــد، وقـــد عـــبر عنه تعبيرا غاية فى الدقة، والوضـــوح، بأسلوب سهل، وألفاظ معبرة واضحة، ومعان ملائمة، وتصوير جميل، وهى درجة عالية فى الشعر العربى.

- إن الرشيد أتى بتصوير جميل معبر مطابق، ملائم للبيئة العربية فى البيتين الثانى والثالث، فى قوله: فكيف يرد الدر فى الضرع، وقوله وأن ينقض الحبل الذى كان أبرم.
- إن الرشيد ينشد الشعر، ويعد ذلك إضافة جيدة إلى ثقافته الأدبية وليـــس عيـــبا يعيـــبه، فالشعر فن راق لا يأنف منه علية القوم، ويسمو به وإليه الناس.

•••

روى أن المـــأمون دخـــل عـــلى والده هارون الرشيد، وعنده مغنية تغـــنيه، فلحنت، فكسر المأمون عينه عند استماعه اللحن، فتغير لون الجارية، وفطن الرشيد لذلك، فقال: أعلمتها بما صنعت؟

قال المأمون: لا والله يا مولاى.

قال هارون الرشيد: ولا أومأت إليها.

قال المأمون: قد كان ذلك.

---

نهبا: منهوبا، التواء: عدم صحة الرأى، استوائه: صحته، ينقض: يهدم، الحبل: الصلة، أبرم: بالبناء للمجهول، أى فتل وقوى.

فقال هارون الرشيد: كن منى بمرأى ومسمع، فإذا خرج إليك أمرى، فانته إليه.

ثم أخذ هارون الرشيد دواة وقرطاسا، وكتب إلى المأمون:

يا آخذ اللحن على الـ ... قينة عند الطـــــرب

تريد أن تفهمهـــــــا ... حد لغات العـــــرب

أقسم بالله ومـــــــا ... سطر أهل الكتـــــب

للكلب خير أدبـــــا ... من بعض أهل الأدب[1]

والشـــاهد هـــنا أن الرشيد أنشد الشعر فى موقف ابنه المأمون، الذى حـــدث فى الوقـــت نفسه الذى أنشد الرشيد فيه الشعر على البديهة، والارتجال، وهى مكانة عالية فى الشعر.

- إن المـــأمون والرشـــيد قد عرفا موطن لحن المغنية، فقد كسر المأمون عينه عند لحن الجارية، وفطن الرشيد لذلك، وعرف أن المأمون أومأ إليها بخطئها.
- إن هــذه الـــرواية تدل على مكانة الرشيد والمأمون فى الشعر، والنحو، واللغة، وأولهما الخليفة، وثانيهما صار خليفة أيضا.

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٣

اللحن: توقيع الغناء على الشعر، القينة: الجارية المغنية، الطرب: الغناء، حد: قانون أو قواعد، سطر: كتب.

•••

روى أن الأصـــمعى قال: ما رأيت الرشيد مبتذلا قط إلا مرة كتبت إليه عنان الجارية الناطفى رقعه فيها:

كنت فى ظل نعمة بهواكا　　أمنا منك لا أخاف جفاكا

فسعى بيننا الوشاة فاقــرر　　ت عيون الوشاة بى فهناكا

ولعمرى لغير ذا كان أولى　　بك فى الحق يا جعلت فداكا(١)

فــأخذ هارون الرشيد الرقعة بيده، فقال: أيكم يشير إلى المعنى الذى فى نفسى، فيقول فيه شعرا، وله عشرة آلاف درهم، وكان فى مجلسه الأصمعى وأبو جعفر الشطرنجى، فبدر أبو جعفر فقال:

مجلس ينسب السرور إليه　　لمحب ريحانه ذكراكا(٢)

فقال الرشيد: يا غلام، بدرة.

فقال الأصمعى.

لم ينلك الرجاء أن تحضرينى　　وتجافت أمنيتى عن سواكا

قال الرشيد: أحسنت والله يا أصمعى، لها ولك بهذا البيت عشرون ألفا، قال جرير:

---

(١) العقد الفريد ١٤٢/٤

هواك: حبك، جفاك: إعراضك، وبعدك، وبغضك، سعى: مشى بالنميمة، الوشاة: جمع الواشى، وهو النمام، أقررت: طمأنت، هناك: أى هناؤك وسعادتك، جعلت فداكا: جملة دعائية، بمعنى: جعلنى الله فداء حياتك، أو حياتى فداء حياتك.

(٢) العقد الفريد ١٤٢/٤

ريحانه: عطره، وكانوا يضعون الريحان فى المجلس.

كلما دارت الزجاجة والكـــا س أعارته صورة فبكاكا

ثم قال الرشيد: أنا أشعركم، حيث أقول:

قد تمنيت أن يغشنى اللـــــ ـــه نعاسا لعل عينى تراكا[1]

قالوا له: صدقت والله يا أمير المؤمنين.

والشـــاهد أن جاريـــة الرشيد قد كتبت إليه شعرا تعبر به عن حالها معـــه، وتلك منزلة عالية تسمو بها الجارية فى بيت الخلافة، وكانت الجـــوارى يربين فى بيوت المقينين فى العصر العباسى على الأدب، والشـــعر، والقصص، والسمر، ثم يبعن، ليصلن إلى قصور الخلافة أفضل ما يكن فى الأدب والشعر والغناء.

- إن الرشـــيد عرض على جلسائه أن يشيروا إلى المعنى الذى فى نفســـه، ويقولـــوا فيه شعرا، وعقد مساجلة بينهم، يكون لأحدهم عشرة آلاف درهم.
- إن جلســـاءه قال كل منهم بيتا من الشعر، ومنح الأول بدرة من المال، ومنح الأصمعى والجارية عشرين ألف درهم.

---

(٣) العقد الفريد ٤/١٤٢

لم ينلك: لم يشملك، تحضرينى: تحضرى عندى، تجافت: بعدت، وتباعدت، الزجاجة: يقصـــد الخمـــر، والكـــأس: الكـــوب فيه الشراب، دارت: أى وزعت على الشاربين، أعارتـــه: منحـــته، صبوة: فتوة وقوة وجهالة الشباب والصبا، بكسر الصاد، يغشينى: يغطينى، ويشملنى، النعاس: النوم، تراك: أى فى المنام.

- إن الرشيد روى بيتا لجرير، ثم قال: أنا أشعركم، وأنشد بيتا من الشـــعر هو أقوى ما قيل فى موضوعه فى الشعر الذى أنشد فى هذا المجلس.
- لـــنا أن نتصور مجلسا أدبيا رويت فيه هذه الرواية، وأنه مجلس الخليفة الرشيد.

***

روى أن هارون الرشيد قال فى قينه له:

تبدى صدودا وتخفى تحته مقة    فالنفس راضية والقلب غضبـــان
يا من وضعت له خدى فذله    وليس فوقى سوى الرحمن سلطان[1]

وروى أن ماردة عتبت على هارون الرشيد، فكانت تظهر الكراهة، وتضمر المحبة، فقال فيها الرشيد البيتين السابقين.

والشـــاهد أن الرشـــيد أنشـــد هذين البيتين، سواء أنشدهما فى ماردة جاريـــته، الـــتى تـــزوجها بعد ذلك، أو فى غيرها، لكنهما بيتان فى الغزل.

- إن البيتين يعبران عن حال الرشيد أصدق تعبير، فقد وضع خده لجاريته فذللته، مع أنه الخليفة الذى لا يعلو عليه فى المنزلة فى دولته أحد، وقد ذللته جارية.

---

(١) العقد الفريد ٤/١٤٥-١٤٦، العقد الفريد ٤/٣٧٨
صدود: إعراض، مقة: حب.

- إن الـــبيت الأول وصــــف جميل لصدود المحب الوامق، فالنفس راضية، والقلب غضبان، معنى مبتكر طريف، برع فيه الرشيد.
- إن الـــلغة التى كانت بين الرشيد وجواريه هى لغة الشعر، وتلك منزلة عالية للخليفة فى دولة الشعر، وللجارية أيضا.

***

روى أن الرشيد كتب على قرطاس لجارية من جوارى زبيدة:

قبلته من بعيد        فاعتل من شفتيه

ثم ناولها القرطاس، فوقعت فيه

فما برحت مكانى        حتى وثبت عليه

فكتبت إليه زبيدة زوجه:

وعاشق صب بمعشوقه        كأنما قلباهما قلــــــب

روحاهما روح ونفساهما        نفس كذا فليكن الحب(1)

والشاهد هنا أن الرشيد قد عقد مساجلة شعرية بينه وبين جاريته، فقد عبر لها عن معنى فى نفسه شعرا، وردت عليه بالشعر أيضا، فكان الشعر همزة الوصل بين الخليفة والجارية، ولنا أن نتصور ذلك الفن الذى يسوى بين الخليفة والجارية.

---

(1) العقد الفريد ٤/٣٧٧
الصب: المحب، أو رقة الشوق وحرارته.

- إن الرشيد لم يتأفف من مخاطبة جاريته بالشعر، ولا من مخاطبة الجارية إياه بالشعر أيضا.
- إن بيت الرشيد غزل صريح، ردت عليه الجارية بغزل صريح أيضا.
- إن زبيدة زوج الرشيد عتبت عليه بشعر أيضا، عبرت فى عتابها عن غزل أيضا عما يجب أن يكون الحب.
- إن بيــت الخليفة من الخليفة، وزوجه، وجاريته كان الشعر لغة التخاطب فيه، وهى منزلة عالية للشعر فى عصر الرشيد.

•••

روى أن الرشيد كان إذا أطل على الملاحين فى الزلالات بدجلة من قصـــره سمعهم يغنون، فيعجبه غناؤهم، إذا ركب الزلالات، وينادى بلحنهم، فقال يوما: قولوا لمن معنا من الشعراء يعلموا لهؤلاء شعرا يغنون به.

فقيل له: ليس أحد أقدر على هذا من أبى العتاهية، وهو فى الحبس. فوجه إليه الرشيد، يأمره بعمل الشعر، ولم يأمر بإطلاقه، فغاظه ذلك، وعمـــل شعرا فى الوعظ والتذكير بتقلب الأيام، لينغص على الرشيد سروره إذا سمعه، وأقسم على ذلك، فدفع الشعر إلى الملاحين.

وكـــان الرشيد سريع التأثر يبكى وينتحب إذا مرت الموعظة بأذنه، فكان إذا سمع الملاحين يتغنون بما صنعه أبو العتاهية لهم يبكى، فلما ركب الحراقة سمع الشعر، وهو قول أبو العتاهية.

| | |
|---|---|
| خانك الطرف الطموح | أيها القلب الجمـــوح |
| لدواعي الخير والشـــر | دنـــــــو ونزوح |
| هل لمطلوب بذنــــب | توبة منه نصـــوح |
| كيف إصلاح قلـــوب | إنما هن قـــــروح |
| أحسن الله بنــــا أن | الخطايا لا تفـــوح |
| فإذا المستور منـــا | بين ثوبيه فضـــوح |
| كم رأينا من عـــزيز | طويت عنه الكشـــوح |
| صاح منه برحيــــل | صائح الدهر الصدوح |
| موت بعض الناس في الأر | ض على قوم فتـــوح |
| سيصير المرء يومـــا | جسدا ما فيـــه روح |
| بين عيني كل حـــــي | علم الموت يلـــوح |
| كلنا في غفلة والـــــ | موت يغدو ويـــروح |
| لبني الدنيا من الدنـــ | يا غبوق وصبـــوح |
| رحن في الوشي وأصبحـــ | ن عليهن المســـوح |
| كل نطاح من الدهـــ | ر له يوما نطـــوح |
| نح على نفسك يا مســـ | كين إن كنت تنـــوح |
| لتموتن وإن عـــــ | مرت ما عمر نـــوح[1] |

(١) عصر المأمون ٢/٣٧٢

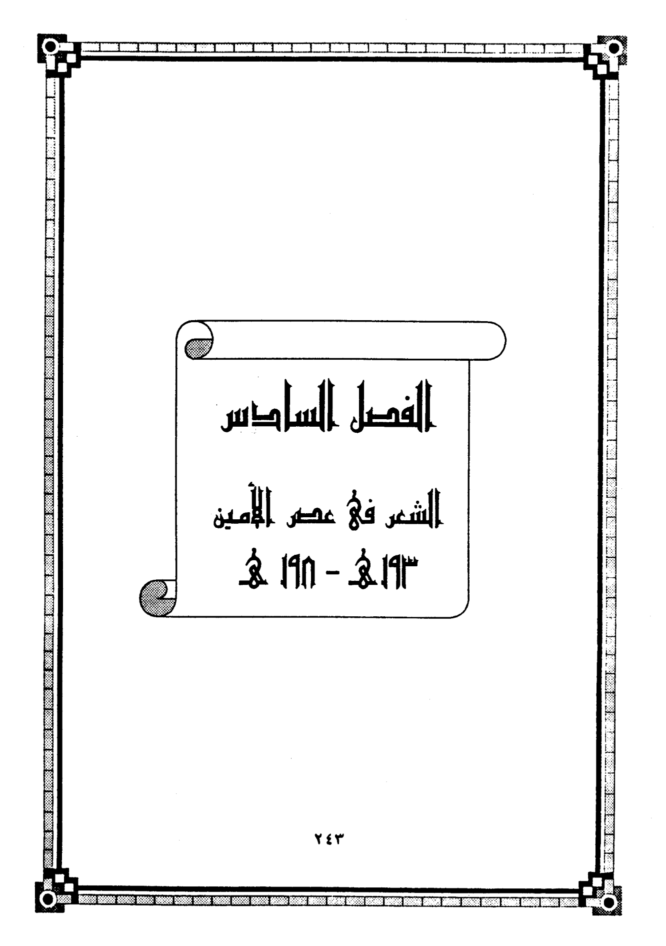
فلما سمع ذلك الشعر الرشيد جعل يبكى، وينتحب، وكان الرشيد من أغـزر الـناس دموعـا فى وقت الموعظة، وأشدهم عسفا فى وقت الغضـب والغلظة، فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا.

والشـاهد هنا أن الرشيد كان يعجبه غناء الملاحين، ويتأذى بلحنهم، فأراد أن يصنع لهم شعر يتغنون به، خال من اللحن، وذلك دليل على حبه الشعر العربى، واهتمامه به، وباللغة والنحو العربى.

ولمـا صنع أبو العتاهية هذا الشعر عرف أن الرشيد يتأثر بالشعر، فأقسـم على أنه سيصنع شعرا يحزنه ولا يسر به، والعجيب أن ذلك قـد وقـع، فـلما سمع الرشيد الشعر جعل يبكى وينتحب، حتى إن الرواية تثبت أن الفضل بن يحيى لما رأى كثرة بكاء الرشيد أومأ إلى الملاحين أن يسكتوا، وذلك دليل على غاية التأثر من الرشيد بالشعر، وغاية الفهم الدقيق لمعانيه.

---

طمـح الطرف: نظر إلى أعلى، الطرف: البصر، الجموح: النفور، دنو: قرب، نزوح: بعـد، توبـة نصوح: لا ذنب بعدها، قروح: جمع قرح، بمعنى جرح، الخطايا: جمع خطيـئة لا تفـوح: لا تنتشر، فضوح: ما يفضح من عمل، الكشوح: جمع كشح: وهو جـانب الجسـد من الإبط إلى الخاصرة، الصدوح: الصادق، أو عالى الصوت، فتوح: جمـع فتح بمعنى الخير، علم: دلالة، يلوح: يظهر، بنو الدنيا: البشر، غبوق وصبوح: شـرب اللـبن مساءا وصباحا، ثم استعمل لشرب الخمر، المسموح: جمع مسح بكسر الميـم، هو البلاس، وهو فارس معرب، ثوب ممسوح، نطاح: مبالغة فى النطح، وهو الضـرب بالـرأس من الحيوان، نح: من النواح، وهو البكاء بصوت، عمر نوح: أى عاش عمرا طويلا، ألف سنة وخمسين عاما.


الفصل السادس
الشعر في عصر الأمين
١٩٣هـ - ١٩٨هـ

الأميــن، ١٩٣هـــ - ١٩٨ هـــ، هو أبو عبدالله محمد الأمين بن هارون الرشيد، من زوجته زبيدة، وأخو المأمون، والمعتصم، وكلهم أولاد هارون الرشيد، لكن أمهاتهم مختلفات، فأم الأمين زبيدة حفيدة الخليفة أبى جعفر المنصور، لذا قدم على المأمون، وهو أصغر منه، بفضــل أمــه، وبفضل جعفر البرمكى بويع للمأمون بعده، لأن أمه فارسـية، تـدعى مراجل، وبفضل الوزير عبدالملك بن صالح بويع للمعتصم، أو المؤتمن، لأن أمه تركية[1]، وهى ماردة[2].

وبويع له بالخلافة فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وقتل يـوم الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، فكانت خلافـته أربــع سنين وستة أشهر وأياما، صفا له الأمر من جملتها سنتين وشهرا، وكانت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون سنتين، ووزر له الفضل بن الربيع، وكان حاجبه العباس بن الفضل بن الربيع[3].

***

وقد كان يؤدبه من المربين أفاضل الرواة، واشياخ العربية، فقد أدبه خلف الأحمر النحوى، ثم أدبه الكسائى[4].

---

(١) تاريخ الطبرى ١٢١/١٠
(٢) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٥٣
(٣) العقد الفريد ٣٠١/٣
(٤) الأدب العربى وتاريخه ٣٩/٢

وعلى رغم قصر المدة التى حكم فيها الأمين إلا أنه كان له دور فى رفع منزلة الشعر والشاعر، لما كان من الثراء والغنى فى عهده، وما كان من التبذير والإسراف فى الإنفاق، حتى أعد فى إحدى حفلاته بهـو المـأدب الحافـلة المزيـنة بـأندر أنواع السجاد، والوسائد، والـزخارف، وأنواع الزينة، وحضرها مائة مغنية انتظمن فى عشر فـرق، فى أيديهـن سعف النخيل، يخطرن بالغناء فى حضرته، ثم انقـلب الخـليفة، وقد لبس الحفل أزهى حلله إلى ما يشبه المخمور، فحطم الحفل، وأظهر التشاؤم، وعصف بكل ما فيه من زينة(١).

ويقـال: إن صـلات الأمين تجاوزت كل حد، فقد طرب ليلة لغناء اسحاق الموصلى، فأعطاه ألف ألف درهم.

وأهدى بذل المغنية ما فاق كل تصور، فيقال: إنه أهداها من الجوهر ما لم تملك واحدة مثله(٢).

وقـد وجه الأمين إلى جميع البلدان فى طلب الملهين، وضمهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق، ونافس فى ابتياع فرو الدواب، وأخذ الوحوش والسـباع والطيـر، وقسـم ما فى بيوت الأموال، وما بحضرته من

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٥٨
(٢) فى الأدب العباسى، العصر الأول ص ٥٥

الجوهـر، والخـزائن، والسـلاح، وأمـر ببناء مجالس لمتنزهاته، ومواضع خلوته، ولهوه ولعبه[١].

كـل ذلـك حمل الشعراء على أن يكون لهم نصيب فى هذا التبذير، والإنفاق، والأموال، وهم يحملون فى قلوبهم فنا له قيمته، ودوره فى الحياة فى العصر العباسى.

***

روى أن أبا الشيص رثى هارون الرشيد الخليفة العباسى، ومدح ابنه محمـدا الأميـن بقولـه فى قصيده له اجتمع فيها الرثاء، والمدح، والتهنئة معا:

جرت جوار بالسعد والنحـس ... فنحن فى وحشة وفى أنس

العين تبكى والسن ضاحكـة ... فنحن فى مأتم وفى عـرس

يضحكنا قسيم الأمين ويبـ ... كينا وفاة الإمام بالأمـس

بدران بدر أضحى ببغداد فى الـ ... خلد وبدر بطوس فى الرمس[٢]

---

(١) تاريخ الطبرى ٢١٥/١٠

(٢) العقد الفريد ١٩٩/٢

جـوار: جمع جارية، وهى البينة، أو ما يجرى على العباد من أقدار، النحس: الشؤم، السن ضاحكة: هذا التعبير شائع، لأن الضحك يظهر السن، مأتم: كل مجتمع فى حزن أو فرح، ثم خص بمجتمع الحزن، وأصله عند العرب نساء يجتمعن فى الخير والشر، وعند العامة المصيبة، قسيم: نصيب، الأمين: الخليفة العباسى ابن هارون الرشيد ، فى الخلد: قصر الخلد فى بغداد، طوس: بلدة فيها قبر الرشيد، الرمس: القبر.

والشـــاهد أن هـــذا الموقف، وهو موقف الرثاء والمدح والتهنئة معا اســتطاع الشــعر أن يوجد له مكانا على يد شاعر هو أبو الشيص، وأمــام خليفة هو الأمين، والشعر هنا عرف قدر الشعر عند الأمين، فكان منه هذا الشعر فى مثل هذا الموقف، ولو لم يعرف أبو الشيص أن شــعره سيكون مقبولا لدى الخليفة فى مثل هذا الموقف ما أنشد شــعره، لكنه يعرف بكل تأكيد تقدير الخليفة شعره، فكان هذا الشعر الــذى اجتمع فيه الرثاء، والمدح، والتهنئة معا فى أبيات أربعة غاية فى دقة التعبير عن هذا الموقف العجيب.

***

روى أن اســحاق بــن إبــراهيم الموصلى قال: دخلت على الخليفة الأميــن محمــد بن زبيدة، ومعه وصائف، بيدوصيفة منهن مروحة مكتوب عليها:

| | |
|---|---|
| بى طاب العيش فى الصيــ | ـف وبى طاب الســــرور |
| ممسكى ينفى أذى الحـــر | ر إذا اشتد الحـــــرور |
| الندى والجود فى وجـــــ | ــه أمين الله نـــــــور |
| ملك أسلمه الشبـــــــــ | ــه وأخلاه النظـــــير [1] |

---

(١) العقد الفريد ٣٨٥/٤

الحرور: بفتح الحاء، الريح الحارة، وهى بالليل كالسموم بالنهار، وقيل: الحرور بالليل وقد يكون بالنهار، الشبه: الشبيه، والنظير كذلك.

وفى عصابة:

ألا بالله قولوا يا رجال أشمس فى العصابة أم هلال

وفى عصابة أخرى:

أتهوون الحياة بلا جنون فكفوا عن ملاحظة العيون[1]

وذلــك دليل على قيمة الشعر، وقدره، حتى إنه ليكتب على عصائب الوصائف هذا الشعر.

والأبيات الأولى فى عمل المروحة، ومدح الأمين.

والبيت الثانى غزل يعد من قبيل الفخر بالنفس على طريقة الغزل.

والــبيت الــثالث غــزل أيضا، فيه قدر كبير من الفخر على طريقة الغزل.

وذلك كله لوصائف الخليفة، وفى مجلسهن مما يدل على غلبة الشعر حتى على عصائب الوصائف ومراوحهن.

***

روى أن إبــراهيم الموصـــلى غنى محمدا الأمين بشعر الحسن بن هانئ، يقول فيه:

رشأ لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتن

كل يوم يسترق له حسنه عبدا بلا ثمــن

---

(١) العقد الفريد ٣٨٦/٤

العصابة: ما تعصب به الرأس.

يا أمين الله عش أبـــــدا دم على الأيام والزمن
أنت تبقى والغناء لنـــــا فإذا أفنيتنا فكــــــــن
سن للناس القرى فقـــروا فكأن البخل لم يكـــن[1]

فاســـتخف الطرب الأمين، حتى قام من مجلسه، وأكب على إبراهيم الموصلى يقبل رأسه، فقام إبراهيم من مجلسه يقبل أسفل رجليه، وما وطئتا من البساط، فأمر الأمين لإبراهيم بثلاثة آلاف درهم.

فقـــال إبراهيم: ياسيدى قد أجزتنى إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم.

قال الأمين: وهل لك ذلك إلا خراج بعض الكور؟

وهـــذه الجائزة، أو لنقل الجوائز التى بلغت عشرين ألف ألف درهم على غنائه وشعره.

- إن الـــرواية تثـــبت أن الطرب قد استخف الأمين، حتى قام من مجلسه، وأكب على إبراهيم الموصلى يقبل راسه.
- إن الأمين يستقل جوائز إبراهيم الموصلى، ويقول: وهل لك ذلك إلا خراج بعض الكور؟

---

(١) العقد الفريد ١٣٤/٤
رشا: ولد الظبية إذا تحرك ومشى، وهو الغزال، ملاحته: بهجته وحسن منظره، الفتن: جمـــع الفتـــنة، بمعنى الافتتان، يسترق: يجعله رقيقا، أو يستعبد، عبدا: يقصد المحب، ســـن: اســـتن طـــريقة وسنة، القرى: بكسر القاف، الكرم، أو ما يقدم للضيفان، قروا، قدموا القرى، والرشأ على التصوير، أمين الله: يقصد الأمين.

- إلى هـذه الدرجـة، وإلى هـذا الحـد كان طرب الأمين للغناء والشعر.

***

روى أنـه لما رزق الخليفة الأمين بولد هو موسى، وهو من أم ولد تدعى نظما، لقبه الناطق بالحق، وضرب اسمه على الدراهم، فكتب على الدراهم:

كل عز ومفخر فلموسى المظفـر
ملك خط ذكره فى الكتاب المسطر[1]

والشـاهد أن الشعر قد سيطر على الحياة فى عصر الأمين، حتى إن الدراهم ليكتب عليها الشعر، وقد كتب الأمين على الدراهم شعرا فى ولـده موسى الذى نسب إليه كل عز ومفخر، وجعله مظفرا، وفخرا بـأن اسـمه ورد فى القرآن الكريم، وهى لقطة ذكية تدل على فهم الأميـن، وإن كان الشعر بسيطا، يلائم أن يكتب على الدراهم، فليس ذلك موضع الشعر الجزل، إذ إن لكل مقام مقالا.

***

(١) العقد الفريد ٣٠٢/٣
مفخـر: فخـر، فهـو مصـدر ميمى، أو اسم مكان، المظفر: بصيغة اسم المفعول، المنتصر، خط: بالبناء للمجهول، كتب، المسطر: يقصد المكتوب، وهو القرآن الكريم، وهو بصيغة اسم المفعول.

روى أن نظمـــا أم ولد الأمين الخليفة العباسى لما ماتت، اشتد جزع الأمين عليها، فدخلت زبيدة أمه معزية له، فقالت:

نفسى فداؤك لا يذهب بك التلف      ففى بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فكانت كل مرزية      من بعد موسى على مفقوده سلف[1]

وهـــاذان البيتان قالتهما زبيدة أم الخليفة الأمين، وحفيدة الخليفة أبى جعفر المنصور، وزوج الخليفة هارون الرشيد، مما يدل على مكانة الشعر فى البيت العباسى.

والبيتان فيهما تعزية خالصة لابنها فى فقد زوجته، تقول فيهما: نفسى فداؤك، وتحذره من التلف، وتؤكد له أن بقاءه خلف ممن مات، وأن موسى ابنه عوض عن أمه، فقد مضت كل مرزية عن مفقود موسى، وهى أمه، لأنه عوض عنها، وتلك تعزية جميلة صادفت موقعها عند الأمين.

***

روى أن محمـــدا الأميـــن قـــال للشعراء: مصعب، والرقاش، وأبى نـــواس: ليقـــل كل واحد منكم شعرا، يكون آخره: كلام الليل يمحوه النهار.

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٢
فداؤك: أى أفديك، خلف: بقاء من السلف، عوضت موسى: كا عوضك موسى ابنك عن أمه، مرزية: رزء ومصيبة، سلف: مضى وقديم وزوال.

فأنشأ الرقاشي يقول:

متى تصحو وقلبك مستطــار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهامـــا ... فتاة لا تزور ولا تــزار
إذا استنجزت منها الوعد قالت ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب:

أتعذلني وقلبك مستطـــار ... كئيب لا يقر له قرار
بحب مليحة صادت فؤادي ... بألحاظ يخالطها احورار
فقلت لها عديني منك وعدا ... فقالت في غد منك المزار
فلما جئت مقتضيا أجــابت ... كلام الليل يمحوه النهــار

وقال أبو نواس:

وخود أقبلت في القصر سكرى ... ولكن زين السكر الوقار
وهز المشي أردافا ثقـــالا ... وغصنا فيه رمان صغار
فقلت الوعد سيدتي فقالـــت ... كلام الليل يمحوه النهــار(1)

فأمر لكل واحد منهم بأربعة آلاف درهم.

---

(1) العقد الفريد ٤/٣٧٧

مستطار: خائف، أو تائه، أو لا يقر، الصب: المحب حبا شديدا، مستهام: هائم، تعذل: تلوم، كئيب: حزين، خود الشابة الناعمة الحسنة الخلق، أو الخلقة، بفتح الخاء وسكون الواو، الردف: بكسر الراء، وسكون الدال، الكفل والعجز.

والشـــاهد أن الأمين عقد مساجلة بين الشعراء: مصعب، والرقاش، وأبى نـــواس فى قـــول الشعر، وحدد الموضوع: كلام الليل يمحوه النهار.

- إن الأمين لم يستطع تفضيل أحد الشعراء الثلاثة على صاحبيه، فمنح كل واحد منهم أربعة ألاف درهم.
- إن هذه المناظرة، أو المساجلة الأدبية تدل على سمر الخليفة فى مجالسه، كما تدل على مجالسيه، وقدر الشعر فى بلاطه.

***

روى أن الأمين لما أعيته مكائد طاهر قال:

بليت بأشجع الثقلين طرا ... تزول الراسيات وما يزول
له مع كل ذى بدن رقيب ... يشاهده ويعلم ما يقـــــول
فليس بمغفل أمرا عنـــاه ... إذا ما الأمر ضيعه الجهول[1]

والشـــاهد أن الأميـــن ينشد الشعر الذى يحكى فيه موقفا تعرض له، وهو مكائد طاهر التى أعيته، وعانى منها، فكان منه هذا الشعر الذى يعبر به عن مكائد هذا الداهية الأريب، كما وصفه الأمين فى أبياته.

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٥٠
بليت: بالبناء للمجهول، الثقلان: الإنس والجن، طرا: جميعا، الراسيات: الجبال، مغفل: بصيغة اسم الفاعل، تارك، عناه: أهمه.

والأبيـــات فى وصف طاهر بالشجاعة، والثبات، وكثرة رقبائه، وأنه لا يغفل أمرا قصده مهما ضيع الجهول الأمر.

والشعر وصف معنوى يعلى منزلة الموصوف، لكن الأمين يقول: إنه بلى بهذا الموصوف، مما أفهمنا أنه أمام خصم عنيد.

والأبيات معبرة، صادقة فى التعبير، مؤثرة، دقيقة فى الوصف، سهلة الألفـــاظ، واضـــحة المعـــانى، يكاد الشعر ينساب بسهولة، أو يذوب بساطة، وهى منزلة عالية فى فن الشعر.

***

روى أن الخـــليفة محمـــدا الأمين قال عند اشتداد الحصر عليه فى الماصر:

يا فضل قد حاصرنى طاهر ... إنى على ما نابنى صابر
لم يبق من ملكى إلا الـــذى ... تراه والجسران والماصر[1]

يحـــكى تجربة مرة، وموقفا صعبا، من حصار طاهر إياه، وصبره، وأنه فقد ملكه إلا القليل.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٥١٩-٥٢٠
الفضـــل: وزيره، طاهر: قائد جيش المأمون، الجسران: مثنى جسر، الماصر: مكان، وهـــو الحـــبل الـــذى يوضـــع على النهر لتوقيف السفن، واقتضاء الضريبة منها عند المرور، ولعل المكان سمى كذلك لهذا السبب.

والأبيات نشتم منها رائحة الحزن، والألم الذى يعتصر قلبه، والتحسر على ملكه الضائع، ومملكته الزائلة، وهى نفثة مصدور جاءت معبرة عن حالة أصدق تعبير.

***

روى أن إبراهيم بن المهدى كان مع محمد الأمين، فلما أمر الجارية بالغناء غنت أولا بشعر النابغة الجعدى.

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فنظر الأمين إلى إبراهيم بن المهدى، واشتد عليه، فقال لها: غنى غير هذا، فغنت:

أبكى فراقهم عينى وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء

مازال يعد وعليهم صرف دهرهم حتى تفانوا وصرف الدهر عداء

فصاح عليها المأمون: لعنك الله، أما تعرفين من الغناء غير هذا؟

فقالت: ما تغنيت إلا ما عهدتك تحبه، ثم غنت:

أما ورب السكون والحرك إن المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء فى فلك

إلا بنقل السلطان من ملك قد انقضى ملكه إلى ملك

وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك[1]

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٥٨

فصاح بها الأمين: قومى، غضب الله عليك، ولعنك.

فقامت مذعورة، وعثرت بقدح بلور، فكسرته، فازداد تشاؤما، وتطيرا، وقال: أما ترى، يا عم، ما قد منيت به الليلة؟ ما أرى السرور إلا قد قوض، والأمر قد اقترب، وما بعد الفأل دليل.

***

روى أن محمدا الأمين استدعى إبراهيم بن المهدى، ودعا بجارية تسمى: ضعفاء.

قال إبراهيم بن المهدى: فتطيرت من اسمها.

فقال لها الأمين: غنى.

فوضعت العود فى حجرها وغنت:

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا      وأيسر جرما منك ضرج بالدم[1]

فتطير الأمين من قولها، وقال لها، اسكتى.

ثم أقبل عليها، وقال: هاتى ما عندك.

فقالت:

---

الحرك: جمع حركة، المنايا: جمع منية، الشرك: حبائل الصائد، فلك: واحد أفلاك النجوم، وهو مدار النجم.

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ١٨٨-١٨٩

كليب: هو كليب وائل الذى ضرب به المثل فى العزة، فقيل: أعز من كليب وائل، وقد قتله جساس بن مرة، وكان ذلك سببا فى حرب البسوس، لعمرى: قسم، ناصرا: أ[illegible] ناصرين، جرما: ذنبا، أيسر: أسهل، ضرج بالدم: تلطخ بالدم، أو أدمى، أى [illegible]، مرازبه: أعوانه وناصروه، أو خدمه أو حشمه.

هم قتلوه كي يكونوا مكانه        كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

فأسكتها، ثم أقبل عليها الثالثة، فقال: غنى.

فغنت:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا        أنيس ولم يسمر بمكة سامر(١)

قال لها الأمين: قومي.

يقول إبراهيم بن المهدى: فما قعدنا بعدها معه، حتى قتل.

والشاهد أن المجلس كان مجلس غناء وشعر، وأن الأمين كان يهرع إلى هذا الغناء وذلك الشعر ليسلو به عن حاله.

- إن الأميـــن كان يجلس إليه إبراهيم بن المهدى، وهو شاعر ينشد بالألحان، وذلك دليل على أن الأمين كان يطرب لذلك.
- إن الأميـــن ربط بين الموقف الذى هو فيه، وبين الشعر والغناء الـــذى أنشد فى مجلسه، فتطير، وقال للمغنية: اسكتى، ثم أمرها بالغناء، لعلها تغنى ما يتفاءل به، فلما غنت أسكتها، وعاود الأمر ثالـــثة، فلما غنت أمرها بأن تقوم من مجلسه، مما يدل على أنه يفهـــم الشعر، ويتأثر به، ويؤمن بالتطير، والعجيب أنه قتل بعد ذلك.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ١٨٨

الحجـــون: بفـــتح الحاء، جبل بمكة، وهى مقبرة، الصفا: جبل معروف، أنيس: كل ما يؤنـــس بـــه، والمعـــنى: كأن لم يكن أنيس: أى أحد، السامر: المتحدث ليلا، أو القوم يتحدثون ليلا، يسمر: يتحدث ليلا مع السمار.

فالشعر كان سمر الأمين، حتى فى مواقفه التى لا يحسد عليها.

***

روى أن محمـــد بـــن هارون الأمين تنفس فى مجلس أيام الحصار، فالتفت إلى محمد بن سلام صاحب المظالم، فقال له: أتراني؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، ذكرت قول الشاعر:

ذكر الهوى فتنفس المشتاق وبدأ عليه الذل والإطراق

يا من يصبرنى فأصبر بعده الصبر ليس يطيقه العشاق

ثم التفت إلى جليس له آخر، فقال: ويحك، أتراني؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، ذكرت قول الأحنف:

تذكرت بالريحان منك شمائلا وبالراح عذبا من مقبلك العذب

ثم التفت إلى كوثر الخادم، وقال: ويحك، أتراني؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، ذكر قول ابن نفيلة الغسانى:

إن كان دهر بنى ساسان فرقهم فإنما الدهر أطوار دهـــارير

وربما أصبحوا يوما بمنزلـــــة تهاب صولتها الأسد المهاصير[1]

قال الأمين: صدقت.

---

(١) العقد الفريد ٤/٣٧٤

يطبقه: يقدر عليه ويستطيعه، الشمائل: الأخلاق، جمع الشمال، بكسر الشين، الإطراق: السكوت، وعدم الكلام، أو إرخاء العينين والنظر إلى الأرض، مقبل: بصيغة اسم المكان، يقصد الفم، بنى ساسان: الفرس، الصول: الاستطالة والوثوب، المهاصير: جمع المهصار، وهو الذى يهصر الفريسة.

والشـــاهد أن جلســـاء الخليفة كانوا من الشعراء، مع أنهم فى قصره عمـــال، فـــأولهم صاحب المظالم، وثانيهم جليس له، وثالثهم خادمه، وكل منهم أنشد شعرا فى وصف حال الأمين.

- فالأول فقد جعل تنفس الأمين تنفس العشاق، وبنى بيته على هذا المعنى.
- والـــثانى جعل تنفس الأمين تنفس المحب بذكر شمائل المحبوب بالريحان، وعذوبة فمه بالراح.
- والـــثالث جعل تنفسه تنفس الضيق لحالة فى الحصار، وأتى بما يســـرى عـــنه هذا الموقف، من أن بنى ساسان تفرقوا، وسوف ترجع صولتهم يوما.
- إن الأميـــن قـــد أعجـــب بالخادم فى شعره، لذا قال له صدقت، وفضله على صاحبيه.

وهكذا كان الشعر الملاذ الذى يرجع إليه الأمين فى كل موقف يطرأ له.

***

روى أنـــه لما خلق المأمون الخليفة العباسى، أخاه الأمين محمد بن زبيـــده، وهما معا ولوا الرشيد الخليفة العباسى، لكن أم الأمين كانت عـــربية، وأم المـــأمون فارســـية، فوجه المأمون طاهر بن الحسين

لمحاربـــة الأميـــن أخيه، فكان المأمون يعمل كتبا بعيوب أخيه، تقرأ على المنابر بخراسان.

فكان مما عاب المأمون أخاه الأمين به أن قال: إنه استخلص رجلا، شاعرا، ماجنا، كافرا، يقال له: الحسن بن هانئ، واستخلصه، ليشرب معه الخمر، ويرتكب المآثم، ويهتك المحارم، وهو أبو نواس، الذى يقول:

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ... ولا تسقنى سرا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى ... فلا خير فى اللذات من دونها ستر[1]

ويذكـــر أهل العراق فيقول: أهل فسوق، وخمور، وماخور، وفجور، ويقوم رجل بين يديه، فينشد اشعار أبى نواس فى المجون.

فاتصـــل ذلـــك بالأمين، فنهى أبا نواس عن الخمر، وحبسه ابن أبى الفضل بن الربيع، ثم كلمه فيه الفضل، فأخرجه، بعدما أخذ عليه أن لا يشرب خمرا، ولا يقول فيها شعرا، فقال أبو نواس:

ما من يد فى الناس واحدة ... كيد أبو العباس مـــولاها
نام الثقات على مضاجعهم ... وسرى إلى نفسى فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمننى ... من أن أخافك خوفك الله

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١٢٨/٢
ألا: اســـتفتاحية، بـــح: أفش، تهوى: تحب من هوى، بكسر الواو، يهوى، بفتح الواو، دعـــنى: اتركنى، الكنى: بضم الكاف، جمع كنية، وأصلها ما صدرت باب أو أم، لكنه بقصـــد الكـــناية، وهى التعـــبير بالكـــناية البلاغية، ستر: بفتح السين مصدر ستر، أو بكسرها بمعنى ستار.

فعفوت عنى عفو مقتدر ... وجبت له نقم فألقاهـــــا[1]

ومن قول أبى نواس أيضا فى ترك الشراب:

أيها الرائحان باللوم لومــــا ... لا أذوق المدام إلا شميمــا
نالنى بأعلام فيها إمــــــام ... لا أرى لى خلافة مستقيمــا
فاصرفاها إلى سواى فإنـــى ... لست إلا على الحديث نديما
جل حظى منها إذا هى دارت ... أن أراها وأن أشم النسيمــا
فكأنى وما أزين منهــــــا ... قعدى يزين التحكيمـــــا[2]

وقال أبو نواس أيضا فى ترك الشراب:

عين الخليفة بى موكلـــــة ... عقد الحذار بطرفها طرفى
صحت علانيتى له وأرى ... دين الضمير له على حرف
ولئن وعدتك تركها عـــدة ... إنى عليك لخائف خلفـــى
سلبوا قناع الدن عن رمـــق ... حتى الحياة مشارف الحتف

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١٢٨/٢
يد: يقصد القدرة، أو النعمة، أبو العباس: يقصد الأمين، الثقات: جمع ثقة، مضاجعهم: جمع مضجع، نقم: جمع نقمة، ألقاها: طرحها.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب ١٢٨/٢
الـــرائان باللوم: يخاطب صاحبيه على عادة الشعراء القدامى، وليس المقصود بالرواح وقته، وإنما المقصود الفعل، وهو اللوم، المدام: الخمر، شميما: أى يشم رائحتها بانفه، إمــــام: الأمين العباسى، خلافه: مخالفته، مستقيما: طريقا مستقيما، اصرفاها: ابعداها، الـــنديم: هـــو المشـــارك فى الشراب، جل: أكثر، دارت: أى على الشاربين، النسيم: الـــرائحة، أزيـــن: أظهر الشئ مزينا له، ومغريا به، قعدى: منسوب إلى القعيد، وهم القعديـــة، وهى فرقة من الخوارج يأمرون بالخروج، ولا يخروجون، وزعم المبرد أنه لم يسبق إلى هذا المعنى.

فتنفست فى البيت إذ مزجت    كتنفس الريحان فى الأنف(١)

وقال أبو نواس أيضا فى ترك الشراب:

غننا بالطلول كيف بلينـــــــا    واسقنا نعطك الثناء الثمينــا
من سلاف كأنها كل شـــــئ    يتمنى مخير أن يكونـــــــا
أكل الدهر ما تجشم منهـــــا    وتبقى لبابها المكنونـــــــا
فإذا ما اجتليتها فهبـــــــاء    يمنع الكف ما تبيح العيونـــا
ثم شجت فاستضحكت عن لآل    لو تجمعن فى يدك لاقتنينـــا
فى كؤوس كأنهن نجـــــوم    دائرت بروجها أيدينـــــا
طالعات مع السقاه علينـــــا    فإذا ما غربن يغربن فينـــا
لو ترى الشرب حولها من بعيد    قلت قوما من قرة يصطلونا
وغزال يديرها ببنــــــــان    ناعمات يزيدها الغمز لينـــا
كلما شئت علنى برضــــــاب    يترك القلب للسرور قرينـــا
ذاك عيش لو دام لى غير أنـــى    عفته مكرها وخفت الأمينا(٢)

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٢٩/٢

عيـــن الخليفة: يقصد جواسيسه، الخليفة: المأمون العباسى، الحذار: المجاذرة، أى إنه يحـــاذر عيـــون الخـــليفة بطرفه، علانيتى: أى ظاهرى، الضمير: يقصد باطنه، دين الضـــمير: أى رأى الضمير، على حرف: أى ليس موافقا للظاهر، أى فى قلبه خلاف ما يظهر، والتعبير مقتبس من القرآن الكريم، تركها: أى الخمر، وعدتك، يقصد الخليفة حيـــن وعـــده بترك الشراب، وترك شعر الخمر، لخائف خلقى: أى يخشى أخلاقه فى عـــدم الوفاء بالوعد، قناع: غطاء، الدن إناء الخمر الذى تعتق فيه، رمق: بقية الحياة، الحـــتف: الهلاك، تنفست: ظهرت رائحتها، مزجت: خلطت بالماء، الريحان: نبث ذو رائحة عطرة.

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣٠/٢

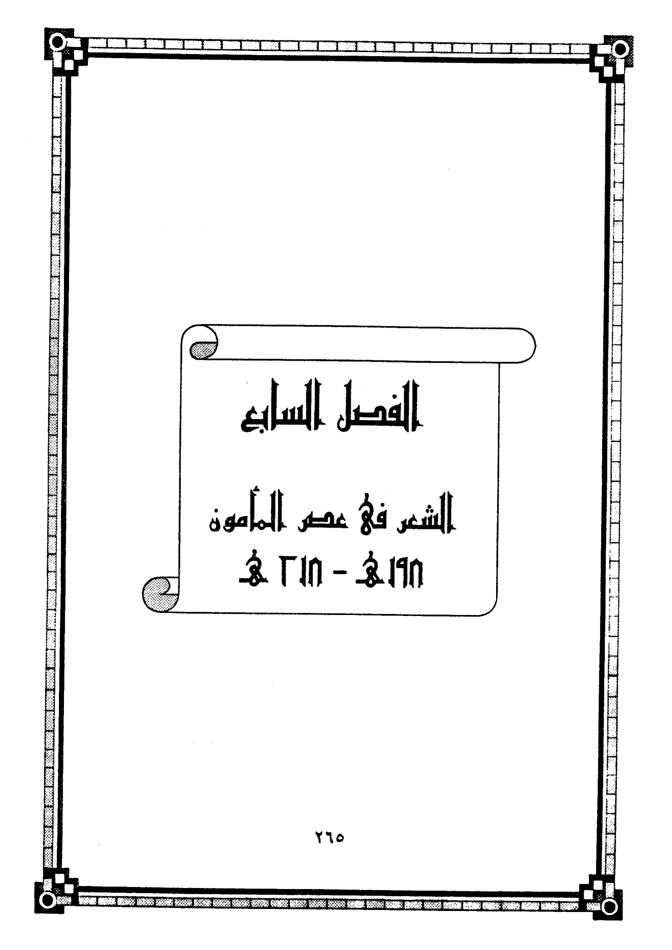
وقال أبو نواس أيضا فى ترك الشراب:

أعاذل أعتبت الإمام وأعتبـــــا ... وأعربت عما فى الضمير وأعربـــا
وقلت لساقيها أجزها فلم أكـــن ... ليأبى أمير المؤمنين وأشربـــــا
فجوزها عنى سلافا ترى لهـــا ... لدى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا
إذا عب فيها شارب القوم خلته ... يقبل فى داج من الليل كوكبـــــا
ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا ... وما لم تكن فيه من البيت مغربا
يدور بها رطب البنان ترى لـــه ... على مستدار الخد صدغا معقربا
سقاهم ومنانى بعينيه منيـــــــة ... فكانت إلى قلبى ألذو أطيبـــــــا[1]

غنـــنا: أمر لصاحبه، الطلول: جمع طلل، وهو ما تبقى من آثار الديار، الثمين: غالى الثمن، سلاف: خمر، مخير: بصيغة اسم المفعول، ما تجثم: ما بقى، أو صار فى قاع الـــدن، لباب: جوهر، المكنون: المحفوظ، أو المستتر، اجتليتها: عرفت حقيقتها، هباء: ذرات متطايرة، شجت: صارت مشجوجة بالماء، لآل: درر، لاقتنينا: صار دار يقتنى، البروج: كل ما دار حول شئ، أو كل ما يدور حوله شئ، غربن: غبن، الشرب: بفتح الشـــين المشـــددة: جماعة الشاربين، قرة: برد، يصطلى: يستدفئ حول النار، غزال: يقصد الساقى، بنان: جمع بنانه، وهى طرف الإصبع، علنى: أى سقانى مرة بعد مرة، رضاي: خمر، قرينا: مقارنا وملازما، عفته: كرهته، ومحججته، مكرها: بصيغة اسم المفعول، الأمين: يقصد الأمين العباس الذى نهاه عن شرب الخمر، وعن شعر الخمر.

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣١/٢

أعـــاذل: نـــداء بالهمزة، ينادى لائمته، أعتبت الإمام وأعتبا، أى عاتبنى وقبلت عتابه، أعـــربت: أفصحت، الضمير: السر أو الباطن، الأمير: يقصد الأمين العباس، ساقيها: ساقى الخمر، أجزها: مر بها مجتازا اياى، أمير المؤمنين: يقصد الأمين، جوزها: مر بهـــا بعيـــدا عنى، سلافا: خمرا، الشرف: المكان المشرف على غيره، شعاع: وهج، مطنـــبا: بصـــيغة اسم المفعول، بمعنى أنه كالأطناب، أى الحبال، عب: شرب، داج: مظـــلم، كوكـــب: نجم، مشرق: مكان الشروق، مغرب: مكان الغروب، البنان: جمع بنانه، وهى طرف الإصبع، مستدار: ما أدير، صدغا: يقصد شعرا ينزل على الصدغ، أو الصـــدغ نفســـه، وهو الخد، أو جانب الوجه، معقرب: يشبه العقرب، أو أحمر من لدغه العقرب، منية: ما يتمناه الإنسان.


الفصل السابع
الشعر في عصر المأمون
١٩٨هـ - ٢١٨هـ

المأمون، ١٩٨هـ - ٢١٨ هـ، هو الخليفة السابع من خلفاء الدولة العباسية، وهو عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، بويع بالخلافة بعد قـتل أخيـه الأميـن يوم الخميس، خمس خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة، وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائتين، لثمان خلون من رجب، وكانت خلافته عشرين سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوما، وتزوج أم عيسى بنت موسى الهادى، وتزوج بوران بنت الحسـن بن سهل، ووهب لأبيها عشرة آلاف ألف درهم، ولولده ألف ألـف درهـم، ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين، والحسن بن سهل، وأحمد بن يوسف(١).

فصـل ابـن خلدون مقادير ما كان يحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع الأمصار وهى مقادير فى غاية الضخامة(٢).

وروى أن وليمـة زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل قد أعـد لهـا بدار الطبخ من الحطب نقل مائة وأربعين بغلا، مدة عام كامل، ثلاث مرات فى كل يوم، وفنى الحطب لليلتين، فأوقدوا الجريد يصـبون عـليه الزيت، وأمروا بإحضار السفن إجازة الخواص من الـناس برحلة من بغداد إلى قصور الملك، بمدينة المأمون، لحضور

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٢-٣٠٣
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٩-١٨٠، تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول ص ٧١.

الوليمـــة، فكـــانت الســفن المعدة لذلك ثلاثين ألفا أجازوا الناس فيها أخريات نهارهم.

وبعثرت كرات من المسك على الحضور، فتزاحموا لتلقفها، فوجدوا فى كــل رقعـــة، تتضـــمن اسم ضيعة، أو جارية، أو جواد، فيذهب المدعو لتسلمها، وذلك عد الدنانير والدراهم، ونوافح المسك والعنبر، والخلع السنية التى كانت تنثر على الحضور نثرا[1].

ونثر الحسن بن سهل فى هذا الحفل على طبقات الناس بنادق المسك ملثوثة على رقاع بالضياع، والعقار، وبدر الدنانير، والدراهم.

وقد أمهر المأمون بوران ألف حصاة من الياقوت، ليلة زفافها، وأوقد شموع العنبر، فى كل واحدة مائة من، وهو رطل وثلثان، وفرش لها الحصير المنسوج بالذهب المكلل بالدر والياقوت[2].

وقد نثرت أم الفضل بن سهل، والحسن بن سهل، جدة العروس على الخــليفة وعروســه ألف لؤلؤة، فأمر الخليفة بجمعها، ونظمها عقدا، أهداه إلى بوران.

وقــد أوقدت شمعة من العنبر، زنتها ثمانون رطلا، فى شمعدان من الذهب الخالص.

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٧٦.
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٧٣، تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول ص ٧٣.

وقــد أنفــق الحسن بن سهل فى هذا الحفل أموالا تقدرها الروايات العربية بخمسين ألف ألف درهم.

وقــد عوض المأمون الحسن بن سهل عن هذا البذخ خراج الأهواز، وفارس، سنة كاملة(١).

وروى أن أحــد وزراء المــأمون خلف بعد وفاته ثمانين ألف ألف ديــنار، ولمــا علم المأمون، قال: هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا(٢).

وروى أن المــأمون فرق فى ساعة واحدة أربعة وعشرين ألف ألف درهم.

وروى أن المــأمون ظــل عشرين شهرا بعد قدومة بغداد لا يسمع غناء، ثم سمع وشرب(٣).

وســأل اسحاق الموصلى المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والــرواة، لامــع المغــنين، فإن أراده للغناء غناء، فأجابه إلىذلك، ثم سأله بعد حين. أن يأذن له فى الدخول مع الفقهاء، فأذن له، فكان يدخل عليه، ويده فى يد يحيى بن أكثم، قاضى القضاة، حتى يجلسا بين يدى المأمون.

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتهما ص ٢٧٥-٢٧٦
(٢) النجوم الزاهرة ٢٢٧/٢، فى الأدب العباسي، العصر الأول ص ٥٤
(٣) الأغانى ١٠٦/٥، تاريخ الطبرى ٢٥٦/١٠

ثـم ســـأله أن يأذن له فى لبس السواد، زى العباسيين، يوم الجمعة، والصــلاة معــه فى المقصورة، فضحك المأمون، وقال: ولا كل ذا يـــا إسحاق وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم، وأمر له بها[1].

روى أن النضر بن شميل كان يدخل على الخليفة المأمون فى سمره، فدخل عليه ليلة، فدار الحديث على ذكر النساء، فقال المأمون: حدث هشـــام، عن مجاهد، عن الشعبى، عن ابن عباس، رضى الله عنهما، قـــال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز، فأورده بفتح السين.

قـــال النضـــر: صدق، يا أمير المؤمنين، هشام، حدثنا عوف بن أبى جميلة، عن الحسن، عن على كرم الله وجهه، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز، وأوردها بكسر السين.

وكـــان المـــأمون متكئا، فاستوى جالسا، وقال: يا نضر، كيف قلت: سداد، بكسر السين؟

فقال النضر: نعم، لأن السداد، بفتح السين، هنا لحن.

قال المأمون: أو تلحننى؟

---

(١) الأغانى ٥/٢٨٦

قال النضر: إنما لحن هشام، وكان لحانا، فتبع أمير المؤمنين لفظه.

قال المأمون: فما الفرق بينهما؟

قال النضر: السداد، بالفتح، القصد فى الدين والسبيل، وبالكسر البلغة، وكل ما سددت به شيئا فهو سداد.

قال المأمون: أو تعرف العرب ذلك؟

قال النضر: نعم، هذا العرجى يقول:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا    ليوم كريهة وسداد ثغر

وذكر سداد، بكسر السين.

قال المأمون: قبح الله من لا أدب له، وأطرق مليا، ثم قال: ما حالك يا نضر؟

قال النضر: أريضة لى بمرو، أتصابها، وأتمززها، أى أشرب صبابتها.

قال المأمون: أفلا أفيدك ما لا معها؟

قال النضر: إنى إلى ذلك لمحتاج.

فأخذ المأمون القرطاس، والنضر لا يدرى ما يكتب، ثم قال المأمون: كيف تقول فى الأمر من أن يترب الكتاب، بالبناء للمجهول؟

قال النضر: أتربه.

قال المأمون: فمن الطين؟

قال النضر: طنه.

قال المأمون: فما هو؟

قال النضر: مطين.

قـــال المـــأمون: هذه أحسن من الأولى ثم قال: يا غلام، تبلغ به إلى الفضل بن سهل.

فـــلما قـــرأ الفضل الكتاب قال: يا نضر، إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب؟

فأخبره النضر، ولم يكذبه.

قال الفضل: لحنت أمير المؤمنين؟

قال النضر: كلا، إنما لحن هشام.

ثـــم أمـــر الفضل للنضر من خاصة ما له بثلاثين ألف درهم، فأخذ النضر ثمانين ألفا بحرف استفيد منه[1].

ومـــن كان على هذه الشاكلة من الإنفاق، والثراء، والبذخ، والتبذير، إذا أضـــفنا تقديـــره العلم والعلماء، والأدب والأدباء فإنه يكون ملجأ الشـــعراء، وملاذهم، ومصدر ثرائهم، وموضوعا لشعرهم، وهذا ما حدث فعلا.

***

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٢-٣٠٣

روى أن كلثوم العتابى كان أيام هارون الرشيد فى ناحية المأمون ابنه، فى مقابلة الأمين، أخى المأمون، فلما خرج إلى خراسان ووقف على سنداد كسرى قال له المأمون: لا تدع زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شئ.

فلما أفضت الخلافة إلى المأمون، وفد إليه العتابى زائرا، فحجب عنه، فتعرض العتابى ليحيى بن أكثم القاضى، ليشفع له عند المأمون، فلم يأذن له المأمون، وشغل عنه، فلما رأى العتابى جفاءه، وقد تمادى، كتب إليه:

ما على ذا كنا افترقنا بسندا د ولا هكذا رأينا الإخاء
لم أكن أحب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء إلا صفاء
تضرب الناس بالمثقفة السمـ ر على غدرهم وتنسى الوفاء[1]

فلما قرأ المأمون أبيات العتابى دعا به، فلما دنا منه، سلم بالخلافة، ووقف بين يديه، فقال المأمون: يا عتابى، بلغتنا وفاتك فغمتنا، ثم انتهت إلينا وفادتك فسرتنا.

فقال العتابى: يا أمير المؤمنين، لو قسم هذا البر على أهل منى وعرفات لوسعهم، فإنه لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك.

---

(١) العقد الفريد، المطبعة التجارية ٢١٠/١
سنداد: موضع بفارس، ذو الصفاء: يقصد المأمون، المثقفة: بصيغة اسم المفعول، الرماح، السمر: جمع أسمر.

قال المأمون: سل حاجتك.

قال العتابى: يدك بالعطية أطلق من لسانى بالمسأله.

فأحسن المأمون جائزته وانصرف.

والشـــاهد أن العتابى استطاع الوصول إلى الخليفة المأمون بشعره، ونيل جائزة الخليفة على هذا الشعر، الذى عاتب فيه الشاعر الخليفة عـــلى ضـــياع الإخاء، والصفاء، والوفاء، ويذكره أنه ما افترق عنه عـــلى ذا، وإنما على عكسه، وهى جرأة قوية من الشاعر، ومع ذلك فإن المأمون قبلها منه، بل منحه جائزة، وتسامح معه، لفنه الشعرى، الذى يحتل مكانة عالية عند المأمون.

***

روى أن المأمون الخليفة العباسى دخل بغداد، فتلقاه وحده أهلها، فقال له رجل منهم: يا أمير المؤمنين، أنت كما قال الأول!

مازلت فى البذل والنوال وإطـــ     لاق لعان بجرمه علـــــــق
حتى تمنى البراء أنهـــــــم     عندك أسرى فى القيد والحلق[1]

(١) العقد الفريد، المطبعة التجارية ٢٢٦/١
العـــانى: الأسير، جرم: ذنب، علق: متعلق، البراء: البرئ، الحلق: بفتح الحاء واللام: جمع حلقة، وهى حلقة الحديد فى المجس.

والبيـــتان فيهمـــا مدح جميل، فهو يمدح المأمون بأنه متعلق بالبذل، والـــنوال، وإطلاق المحبوسين بجرمهم، حتى تمنح البرئ أن يكون أسيرا عنده.

وهى مبالغة لكنها مقبولة بقوله: تمنى، فهى أمنية من الأمانى، وهى مدحـــة جيـــدة قبـــلها المأمون، وكان وقعها عظيما فى نفسه فى هذا الاستقبال الذى يعد ترحيبا جيدا بالمأمون.

***

روى أن أبـــادلف دخل على المأمون الخليفة العباسى، وقد كان عتب عـــليه، ثم أقاله، فقال له المأمون، وقد خلا مجلسه: قل أبا دلف، وما عسيت أن تقول، وقد رضى عنك أمير المؤمنين، وغفر لك ما فعلت. فقال أبو دلف: يا أمير المؤمنين.

ليالى تدنى منك بالبشر مجلسى        ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة        إلى بها فى سالف الدهر تنظر[1]

والبيـــتان مـــن قبيل الاستعطاف، والاسترضاء، يبين بهما أن وجهه يقطـــر بشاشة، فلا خوف من الشر عنده، أو منه، ويتمنى أن ينظر

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٤١-٢٤٢
البشاشـــة: طلاقة الوجه والسرور، ماء البشاشة: رواؤها، يقطر: يسيل، سالف: قديمن أو سالف.

المـــأمون إليه بعين المودة والعطف التى كان ينظر المأمون إليه بها سابقا، أى يستجديه، ويستعطفه، ويسترحمه على نفسه.

وقـــد اســـتجاب المأمون لاستعطاف الشاعر الوالى أبى دلف، وكافأه عـــلى هـــذا الشـــعر، بـــرجوعه إلى ما كان من الولاية، والطاعة، والمناصحة.

•••

روى أن جاريـــة مـــن جوارى المأمون أهدت تفاحة له، وكتبت إليه رسالة، ذكرت فيها ببيتين من الشعر قال فيهما الشاعر:

حمرة التفاح مع حضرته ... أقرب الأشياء من قوس قزح

فعلى التفاح فاشرب قهوة ... واسقنيها بنشاط وفـــــــــرح[1]

هـــذه الواقعـــة حدثت بين المأمون وجارية من جواريه، صنعت ما صـــنعت، ثم كتبت إليه رسالة، وذكرت فيها بيتين من الشعر تصف فيهـــا التفاح، ولونه الأحمر مع الأخضر، يشبه ألوان قوس قزح، ثم الإلتماس، أو النصح بشرب القهوة، وهى قهوة الخمر، والتماس سقى القائل منها بنشاط وفرح.

---

(١) العقد الفريد ٣٠٤/٤

قـــوس قزح: القزح، الطرائق، وهى خطوط من صغره وخضرة وحمرة، وروى عن ابن عباس: لا تقولوا قوس قزح، فان قزح اسم شيطان، ولكن قولوا: قوس الله، قهوة: قد يقصد بها الخمر.

وهى جـــرأة قوية من الجارية، ودلالة على ثقافتها، وبصرها بالشعر، وحفظها إياه، ودلالة على أنها تعلم أن المأمون يعتز بالشعر، ويعلى مكانته، لذا كانت رسالتها مضمنة شعرا.

***

روى أن أحمد بن يوسف وزير المأمون كان منصرفا عن غسان بن عباد، وجرت بينهما هنأت بحضرة المأمون، الخليفة العباسى.

فقـــال المأمون يوما بحضرة خاصة خاصة أصحابه: أخبرونى عن غسان بن عباد، فإنى أريده لأمر جسيم.

وكان قد عزم على تقليده السند، مكان بشر بن داود، فتكلم كل فريق بما عنده فى مدحه، ومدحه أحمد بن يوسف.

فقال له المأمون: لقد مدحته على سوء رأيك فيه.

قال أحمد بن يوسف: لأنى فى أمير المؤمنين. كما قال الشاعر:

كفى ثمنا لما أسديت أنى　　نصحتك فى الصديق وفى عدائى

وأنى حين تندبنى لأمر　　يكون هواك أغلب من هوائى[1]

فأعجب المأمون ذلك منه، وشكره له غسان بن عباد، وتأكدت الحال بينهما.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٤٨/٢

أســديت: قدمــت من جميل، تندبنى: تطلبنى، هواك: حبى إياك، هوائى: حبى لنفسى، عدائى: أعدائى، أغلب: أقوى.

والشاهد أن أحمد بن يوسف وزير المأمون يخاطب المأمون بالشعر، أو يستشهد للمأمون بالشعر، أو يتمثل بالشعر الذى يوضح موقفه من المأمون، أو نصحه إياه، وقد أتى ببيتين من الشعر فى غاية الدقة فى التعبير عن الموقف الذى عرض له مع المأمون.

وذلـــك دليل على أنه يعرف أن المأمون إذا تمثل له بشعر فإنما ظفر منه بالاقتناع، والفهم لموقفه، فكان الشعر هو الوسيلة إلى ما يريد من المأمون.

***

روى أنـــه لما ظفر المأمون الخليفة العباسي بأبى دلف، وكان يقطع فى الجـــبال، أمـــر بضرب عـــه، فقال أبو دلف: يا أمير المؤمنين، دعنى أركع ركعتين.

قال الخليفة: افعل.

فركع أبو دلف، وجبر أبياتا، ثم وقف بين يدى المأمون، فقال:

بع بى الناس فإنى    خلف ممن تبيـــــع
واتخذنى لك درعا    قلصت عنه الدروع
وارم بى كل عدو    فأنا السهم السريـــع[1]

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٤٥-٢٤٦
بى: تفـــتح الياء لضرورة الوزن الشعرى، خلف: يأتى بعد السلف، درعا: يقصد درعا تقيه، قلصت: يقصد قصرت، السريع: يقصد سرعة الإصابة، أو سرعة الاستجابة.

فأطلقه، وولاه ناحية، فأصلحها.

والشاهد أن المأمون عفا عن أبى دلف الوالى لثلاثة أبيات من الشعر أنشدها أبو دلف للمأمون، ليسترضيه، ليعفو عنه.

والعجيب أن المأمون قد عفا عنه، ولم يكتف بذلك، وإنما كافأه أيضا.

***

روى أن المأمون قال للفضل بن الربيع، لما ظفر به، يا فضل، أكان فى حـــقى عليك، وحق أبائى، ونعمهم عند أبيك، وعندك، أن تثلبنى، وتسبنى، وتحرض على دمى، أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى؟

فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، أنت كما قال الشاعر فيك:

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرما

وليس يبالى أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما[1]

وهذا الشعر للحسن بن رجاء بن أبى الضحاك.

والشاهد أن المأمون عندما عتب على الفضل بن الربيع، لما ظفر به، استعطفه الفضل بشعر، يصفه فيه بالصفح، والعفو، وأنه بصفحه عن الإجرام، وعفوه عن المجرمين، لا يرى من الناس مجرما، ولا يبالى أن يكون به الأذى مادام الأذى لا يصيب مسلما.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٥٢
صفوح: مبالغة من الصفح، يغش: يلحق، بالكره: المكروه

فمـــا كان من المأمون إلا أن عفا عنه بهذا الشعر الذى استعطفه به والذى تمثل به الفضل من شعر رجاء بن أبى الضحاك، لفضل يعتذر بالشعر، والمأمون يقبل الشعر، وكأن الشعر هو اللغة المعتمدة بينهما.

•••

روى أن إبراهيم بن المهدى حكى للخليفة المأمون أنه حضر مجلسا غنت فيه جارية تقول:

توهمها طرفى فأصبح خدهـــا وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفى فآلم كفهـــــا فمن مس كفى فى أناملها عقــر

فجعل إبراهيم بن المهدى يطرب لحسن شعرها، ثم غنت على الوزن نفسه قولها:

أشرت إليها هل عرفت مودتـــى فردت بطرف العين إنى على العهد

فحدت عن الإظهار عمدا لسرها وحادت عن الإظهار أيضا على عمد

فضـــرب إبـــراهيم بن المهدى طربا لا يملك به نفسه، ثم غنت على الوزن نفسه قولها:

أليس عجيبا أن بيتا يضمنـــــى وإياك لا نخلو ولا نتكلـــــــم

سوى أعين تشكو الهوى بجفونها وتقطيع أنفاس على النار تضرم

إشارة أفواه وغمز حواجـــــب وتكسير أجفان وكف يسلـــم[1]

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٥٠

قال إبراهيم بن المهدى: فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذقها، ومعرفتها بالغناء، وإصابتها لمعنى الشعر، وأنها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت به.

ثم غنى إبرهيم بن المهدى:

ما للمنازل لا يجبن حزينا أصممن أم قدم المدى فبلينا

راحوا العشية روحة منكورة إن متن متنا أو حيين حيينا

وغنى أيضا:

أبى الله أن تمشى ولا تذكرينى وقد سفحت عيناى من ذكرك الدما

فردى مصاب القلب أنت قتلته ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

إلى الله أشكو نجلها وسماحتى لها عسل منى وتبذل علقما

إلى الله أشكو أنها أجنبية وأنى لها بالود ما عشت مكرما

وغنى ثالثا:

هذا محبك مطوى على كبده حرا مدامعه تجرى على جسده

له يد تسأل الرحمن راحته مما جنى ويد أخرى على كبده(١)

---

الطرف: العين، الوهم: التوهم، أنامل: جمع أنمله، وهى من الأصابع العقدة، أورؤوس، أو المفصل الذى فيه الظفر، عقر: جرح، طرف العين: مصدر طرف يطرف، أو جانب العين، حاد: مال، تضرم: تلتهب وتضطرم، جفون: جمع جفن، أنفاس: جمع نفس، أفواه: جمع فوه، حواجب: جمع حاجب، أجفان: جمع جفن.

(١) العقد الفريد ٢٥١/٤

صممن: من الصمم، وهو عدم القدرة على السمع، المدى: العهد، أو الزمن، بلين: فنين، العشية: الوقت فى العشاء، روحه: اسم مرة من الرواح، وهو الوقت آخر النهار، منكورة: إما منكرة، أو مستورة، سفحت: نزفت، ذاهل: غافل، أو متناسى،

والشـــاهد أن هـــذا المجلس بين المأمون، وإبراهيم بن المهدى كان مجلس غناء، والغناء لا يتم إلا بالشعر.

فقـــد حـــكى إبراهيم بن المهدى، وهو من بيت الخلافة، للمأمون أنه حضـــر مجـــلس غـــناء، غنت فيه جارية بعض الشعر، وردده أمام المأمون، ثم غنى هو لنفسه بعض الشعر.

والشـــعر الـــذى غنت به الجارية غزل رقيق، فيه معان جميلة، وإن كـــانت تخـــرج أحيانا إلى حد لا نرضاه، مع جمال الألفاظ، وروعة التعبير، وسهولة الأسلوب.

أمـــا شعر إبراهيم بن المهدى الذى تغنى به أمام المأمون فهو شعر المحـــب الحزين الذى يبغى من محبوبه الوصل، ورضاها عنه، كما يصور حاله فى بعد المحبوبة عنه.

كل ذلك فى مجلس الخليفة المأمون المحب للشعر والغناء.

***

روى أن إبـــراهيم بـــن المهدى حدث المأمون يوما بحكاية سفره مع أخيـــه الرشـــيد، والـــد المـــأمون بطريق مكة، وتخلفه عن الرفقة، وعطشـــه، وأنـــه أتى إلى بئر، فإذا حبشى، فالتمس منه إبراهيم أن يسقيه، فرفض الحبشى، فخطر صوت ببال إبراهيم، فترنم به، وهو

---

أوتاته، مغرما: شديد الغرام، وهو الحب، علقم: صاب أو مر، مطوى: مغلق، راحته: باطن الكف.

كفناني إن مت في درع أروى واسقياني من بئر عروة ماء[1]

فقـــال الحبشـــي: هذه بئر عروة، وهذا قبره، وسقاه الحبشي على أن يغـــنيه، وأن يدله على موضع العسكر، حتى أتى إبراهيم بن المهدى الرشيد أخاه، وحدثه بهذا.

فلما رجعا، فتلقاه الحبشي بقوله: مغن، فقيل له أتقول هذا لأخي أمير المؤمنين؟

فأمر إبراهيم له بصلة وكسوة، وأمر له الرشيد بكسوة.

فضحك المأمون، وطلب منه أن يغني هذا الصوت، فافتتن به، وكان لا يقترح على إبراهيم غيره.

والشـــاهد أن إبـــراهيم بن المهدى غنى للحبشي شعرا يذكر فيه بئر عروة، وكانت المفاجأة أن البئر الذى يريد الشرب منه هو بئر عروة نفسه.

- إن المـــأمون طـــلب إلى إبـــراهيم بن المهدى أن يغنيه، وافتتن بغنائه، وكان لا يطلب منه إلا هذا الصوت في الغناء.
- إن ذلك دليل على قيمة الشعر والغناء في عصر المأمون.
- إن إبراهيم بن المهدى المغني هذا هو أخو الخليفة هارون الرشيد بـــن المهدى، وعم الخليفة المأمون، فكان الغناء بين إبراهيم بن

---

(1) العقد الفريد ٤/١٢٧

درع: قميص، أروى: صاحبة الشاعر.

المهـــدى، وبين ابن أخيه المأمون، ولا حرج فى ذلك عليهما فى نظـــرهما، لأن الشـــعر والغـــناء لهما صولة فى دولة المأمون العباسى.

***

روى أن المـــأمون استحضر الجلساء، والمغنين، ومنهم الحسين بن الضـــحاك، آخـــر جلسة جلسها بدمشق، وقد عزم على الخروج إلى البذندون التى مات فيها، وقال لمخارق وعلوية: غنيا.

فسبق مخارق، فغنى بشعر جرير:

لما تذكرت بالديرين أرقنى صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقلت للركب إذ جد المسير بنا يا بعد يبرين من باب الفراديس

فغنى علوية فى معنى شعر:

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا(1)

وقـــال: خذوا بيد هذا الجاهل، أو النذير، واعطوا مخارقا ثلاثة آلاف درهم.

وتقوض المجلس، ولم يعد بعد.

قال علوية: وكدت أحبس لولا كرم المأمون.

---

(1) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٨٨
النواقيس: جمع ناقوس، الديرين، يبرين، مكانان، الحين:الهلاك.

**وذلك الخبر دليل على فهم المأمون الشعر، وتأثره به، حتى إنه أجاز مخارقا بثلاثة آلاف درهم، وطرد علوية، ولم يمنحه، تطيرا بما قال، حـــتى إنـــه كاد أن يحبسه، لغنائه شعرا يتطير منه، فتطير المأمون،** وضاق بعلوية، ومنح مخارقا جائزة.

**إن المـــأمون استحضر الجلساء، والمغنين والشعراء، فقد كان ممن استحضرهم الحسين بن الضحاك، وذلك دليل على اتجاه المأمون فى سمره فى مجالسه، وحبه الشعر، والغناء الذين كان لهما صولات فى** قصر الخلافة فى عصر المأمون العباسي.

***

روى أن المأمون وعد جارية وأخلفها الوعد، فكتبت إليه:

أرقت عينى ونامت　　　عين من هنت عليه

إن نفسى فاعذرنها　　　أصبحت فى راحتيه

رحم الله رحيمـــــا　　　دل عينى عليـــــه[1]

فلما قرأ رقعتها ضحك، ونفذ وعده.

وذلـــك دليل على أن للشعر مكانة فى قصر المأمون، وعند جواريه، وعـــنده هو، فهو يميل إلى الشعر، ويحب أن يخاطب به، وأن يكون الحديث به، والعتاب به أيضا.

---

(١) العقد الفريد ٣٧٦/٤

هنت: ضعفت منزلها، راحتيه: باطنا كفيه، تقصد فى يديه.

والعجيب أن المأمون قبل من الجارية هذا الشعر الذى هو مزيج من العـتاب والغزل، والغريب أيضا أن الجارية تخاطب الخليفة خطاب المحـب للمحـبوب، فقد رفعت الجارية التكلف بينها وبين المأمون وذلك أمر فى غاية الغرابة.

وربمـا كان هذا لونا من الغزل الصناعى الذى يقبل فى الشعر، لكنه على أيه حال غزل أنشدته الجارية للخليفة المأمون، دلالة على قيمة الشعر التى جعلت جارية فى مستوى محادثة الخليفة على هذا النحو.

***

روى أن العـباس الهمدانى كتب إلى الخليفة المأمون فى يوم نيروز يقول:

أهدى لك الناس المـرا    كب والوصائف والذهب
وهديتى حلو القصـا    ئد والمدائح والخطـب
فاسلم سلمت على الزما    ن من الحوادث والعطب[1]

فقال المأمون: احملوا إليه كل ما أهدى لنا فى هذا اليوم.

(١) العقد الفريد ٣٠٤/٤
المـراكب: جمـع مـركب، وهـو كل ما ركب، الوصائف والوصفاء جمع وصيف ووصـيفه، والوصـيف: الخادم دون المراهق، والوصيفة: الجارية، وصيف وصفاء، ووصـيفة وصـائف، المدائح: جمع مدحه، وهى قصيدة المدح، الخطب: جمع خطبة، الحوادث: جمع حادثة، العطب: الهلاك.

فقـد أعجب المأمون بالشعر الذى يحكى فيه الشاعر عن هدايا الناس للمأمون، وهديته هو، ودعائه للمأمون بأن يسلم على الزمان، لذا كان تشجيع المأمون الشاعر بهذه الهدايا.

وقـد سـوى الشاعر بين شعره وحلو قصائده، وبين الهدايا الثمينة، وربمـا كان يرى أن هديته أفضل، وأعلى مرتبة عند المأمون، وقد صـدق حسـه، حتى إن المأمون أهدى الشاعر بشعره كل ما أهدى لـلمأمون فى هـذا اليوم، فكان شعر الشاعر يفوق فى قدره كل هذه الهدايا التى أهديت إلى المأمون فى يوم النيروز.

وهذا تقدير للشعر يتصاغر أمامه كل تقدير.

***

روى أن اليزيدى شرب عند المأمون الخليفة العباسى، فلما أخذت منه الكأس أقبل يعتز عليه بتعليمه اياه، واساء مخاطبته.

فـلما أفاق اليزيدى من سكره عرف ما جرى، فلبس أكفانه، ووقف بين يدى المأمون، فأنشده:

أنا المذنب الخطاء والعفو واسـع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفـو

ثملت فأبدت منى الكأس بعض ما ... كرهت وما إن يستوى السكر والصحو

ولا سيما إن كنت عند خليفـة ... وفى مجلس ما إن يجوز به اللغـو

فإن تعف عنى ألف خطوى واسعا     وإلا يكن عفو فقد قصر الخطو[١]

فقال المأمون: لا تثريب عليك، فالنبيذ بساط يطوى بما عليه.

وهذا العفو، لم يكن إلا لهذه الأبيات الأربعة التى يعتذر فيها الشاعر، ويعــترف بأنه مذنب خطاء، لكن عضو الخلافة أوسع، ولو لم يكن ذنـــب لمـــا عـــرف العفو، ويحكى ما حدث منه فى مجلس الخليفة، ويستكبر ما صنع، إذ هو لا يجوز فى مجلس الخليفة، ثم يلتمس عفو الخليفة.

والغـــريب أن الشـــاعر قد نال هذا العفو الذى كان يبتغيه، ويقصده، ويريده من المأمون شعره هذا.

•••

روى أن المـــأمون كان له مغن، يسمى سوسنا، فنظرت إليه جارية للمأمون، وغنت:

ما مررت بالسوسن الغض إلا     كان دمعى لمقلتى نديمـــــــا

حبذا أنت والمسمى به أنـــــ     ـــت وإن كنت منه أذكى نسيما[٢]

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ١٦٢/٢

ثمــلت: ســكرت، عرف: بالبناء للمجهول، أبدت: أظهرت، اللغو: الساقط من الكلام، ألــف: أجد، الخطاء: مبالغة فى الخطأ، المذنب: بصيغة اسم الفاعل، العفو واسع: أى بال العفو واسع، أو العفو مجاله واسع، وما إن: أى لا بالنفى، الصحو: أى الإفاقة بعد السكر، خليفة: المقصود المأمون الخليفة العباسى، مجلس: أى مجلس الخليفة، الخطوا: هو طول ما بين القدميين عند المشى، أو الجرى.

(٢) العقد الفريد ١٤٣/٤

فوهب المأمون الجارية للمغنى.

وهــذه رواية غريبة تدل على أن المأمون كان يحب الشعر، ويشجع عــليه، مهما قيل، وممن قيل، فهذا مغن، تغزلت فيه جارية للمأمون ببيتين من الشعر، فما كان من المأمون إلا أن أهدى الجارية للمغنى، لما عرف من شعرها تغزلها فيه حبا.

والعجيــب أن تتجرأ جارية المأمون بمثل هذا الشعر، لولا أنها تعتقد أن للشعر منزلة عالية عند الخليفة.

والعجيــب أيضــا أن يكافــئها الخليفة على هذا الشعر، ويحقق لها رغبتها.

لكنه الشعر الذى يعلى قيمة الجارية فى نظر المأمون.

***

روى أنه لما أفضت الخلافة إلى المأمون أقام عشرين شهرا لم يسمع حــرفا من الغناء، ثم غناه أبو عيسى المغنى، وسأل عن إسحاق بن إبــراهيم الموصــلى، فحرجه عند المأمون بعض من حسده، فأمسك المأمون عن ذكر إسحاق.

فجاء علوية المغنى إسحاق، فذكر إسحاق له شعرا يغنى المأمون به، ليسأل المأمون عن هذا الشعر، فيقول له علوية: إنه لإسحاق.

---

الغض: الطرى الناضر، النديم: المشارك فى الشراب، أذكى: أطيب، وأشد عطرا، نسيما: رائحة طيبة.

وفعل علوية وغنى المأمون بالشعر، وهو:

يا مشرع الماء قد سدت مسالكه  أما إليك سبيل غير مسدود
لحائم حار حتى لا حياة بـــه  مشرد عن طريق الماء مطرود[1]

فلما سمعه المأمون: ويلك، لمن هذا؟

قال علوية: يا سيدى لعبد من عبيدك جفوته، واطرحته.

قال المأمون: إسحاق؟

قال علوية: نعم.

قال المأمون: ليحضر الساعة، فحضر، فأكرمه أيما إكرام.

فقـــد اصطنع إسحاق بن إبراهيم الموصلى حيلة لإيصال شعره إلى المـــأمون، لثقـــته فى ذوق المـــأمون، وأنـــه إذا سمع شعره سوف يستدعيه، ويرضى عنه، وقد صدق حسه، فاستدعاه المأمون، وسمع غناءه، وأجازه الجوائز الكثيرة.

- إن المـــأمون غناه أبو عيسى المغنى، وعلوية المغنى، ثم إسحاق المغنى.
- إن مجـــلس الخليفة كان مجلس شعر، وغناء، وذلك إعلاء لقيمة الشعر والغناء فى عصره.

---

(١) العقد الفريد ٤/١٢٤

مشرع الماء: مورد الشاربة، سدت: بالبناء للمجهول، مسالك: جمع مسلك، وهو طريق السلوك، مسدود: بصيغة اسم المفعول، حائم: اسم فاعل من حام بمعنى دار، حار: من الحيرة، مشرد: بصيغة اسم المفعول، مبعد: مطرود بصيغة اسم المفعول.

***

روى أن إبراهيم بن المهدى كان شاعرا مغلقا، وكان يصوغ فيجيد، وكان قد خالف على المأمون، ودعا إلى نفسه، فظفر به المأمون فعفا عنه.

وقال إبراهيم لما ظفر به المأمون:

ذهبت من الدنيا كما ذهبت منى هوى الدهر بى عنها وأهوى بها عنى

فإن أبك نفسى أبك نفسا عزيزة وإن أحتبسها أحتبسها على ضنى[1]

وغنى بهما بين يدى المأمون، فأعجب المأمون به، وكان أثر الناس عنده، ينادمه، ويسامره، ويغنيه.

والرواية تثبت أن المأمون برغم مخالفة إبراهيم بن المهدى عليه، ودعوته إلى نفسه، قد عفا عنه، لاعتذاره ببيتين من الشعر، يبين فيهما أنه هالك، لا محالة.

ومع ذلك فإن المأمون عفا عن إبراهيم بن المهدى، وصار أثر الناس عنده، ينادمه، ويسامره، ويغنيه، وذلك لبراعة فى الشعر والغناء، وذلك دليل على قيمة الشعر والغناء عند الخليفة المأمون.

***

روى أن زلزل المغنى غنى المأمون:

---

(١) العقد الفريد ١٢٧/٤
هوى: سقط، أهوى: أسقط، أو أبعد، ضنى: بخلى، وشحى، وأثرتى.

ألا إنما المأمون للناس عصمة | مميزة بين الضلالة والرشد
رأى الله عبدالله خير عبـــاده | فملكه والله أعلم بالعبـــد[1]

وذلك دليل أن المأمون كان يحب الشعر، ويسمع الغناء.

أما هذان البيتان فيحملان معنى جميلا، فالمأمون عصمة للناس مميزة بيـــن الرشد والضلالة، وأن الله تعالى هو الذى ولاه على الناس، فقد رأى الله تعـــالى المأمون خير عباده، فجعله ملكا، والله أعلم بالعبد، فذلـــك فعـــل الله تعـــالى الذى يعرف الخير للناس، فقد جعل خلافة المأمون دينية، من عند الله تعالى، فلا غرو أن يسمع المأمون الشعر غناء.

•••

روى أنـــه لما مات على بن موسى الرضا فى حياة المأمون الخليفة العباسى بطوس، وكان المأمون قد ولاه عهده، وعقد له الخلافة بعده، ونزع السواد من بنى العباس، وأمرهم بلباس الخضرة، وكان شعار العباسيين لبس السواد، وكان لباس الخضرة شعار أهل البيت، وكان عـــلى بـــن موسى الرضا من آل البيت، فشق قبر الرشيد، ودفن فيه

---

(١) العقد الفريد ١٢٧/٤
عصـــمة: حماية من الزلل، مميزة: مفرقة، عبدالله: أى المأمون، ملكه: جعله ملكا، أى خليفة، العبد: على عموم المعنى.

على بن موسى الرضا، تبركا به، وكان الرشيد قد مات بطوس، فدفن هناك.

ولذلك قال دعبل بن على الخزاعى:

| | |
|---|---|
| أربع بطوس علىٰ قبر الزكى بهـا | إن كنت تربع من دين على وطر |
| ما ينفع الرجس من قرب الزكى ولا | على الزكى بقرب الرجس من ضرر |
| هيهات كا امرئ رهن بما كسبـت | له يداه فخذ من ذاك أو فـــذر |
| قبران فى طوس خير الناس كلهـم | وقبر شرهم هذا من العـــبر[1] |

- وهــذا الهجــاء للرشــيد بعد موته أمر ذو بال، لا يستطيعه إلا شــاعر، وفى مثل موهبة دعبل بن على الخزاعى، فهذا أمر جد عجيب.
- أمــر آخــر هــو أن المهجو، وهو الرشيد الخليفة العباسى والد الخــليفة المــأمون، ومــن عجب أن يكون هذا الهجاء فى عهد المأمون، ولا يعاقب هذا الشاعر الذى تجاوز قدره، وتجاوز قدر الخليفة، وتجاوز قدر الإنسانية التى تأبى هذا الهجاء للخليفة بعد وفاته، حتى لو كان هذا الخليفة قد تجاوز فى عمله.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١٣٣/١

ربــع: أقــام، الــزكى: الطاهــر، وطر: حاجة، هيهات: اسم فعل بمعنى بعد، رهن: مرهون، ذر: دع، العبر: جمع عبرة، وهى العظة.

- إن الشـــاعر يظهــر فى هــذه الأبيات علويته، وتشيعه للعلويين بوضـــح تام، فهو يعلى من قدر على بن موسى الرضا، الزكى، خيــر الــناس، ويخفض من قدر هارون الرشيد، الرجس، شر الــناس، وتلك شيعية ما كانت لتقبل فى دولة بنى العباس الذين أشــبعوا العــلويين قــتلا وتنكيلا، حتى إننا لا نبالغ إذا قلنا: إن العــلويين قد نالوا من أبناء عمومتهم العباسيين القتل، والتعذيب أكثر مما ناله العلويون من الأمويين خصومهم الحقيقيين.
- ربمـــا يقـــلل من أثر هذه الأبيات من الشعر فى حق الرشيد أن المـــأمون كان يميل إلى العلويين، وكاد أن يمنحهم الخلافة، لولا أحداث حالت دون تحقيق ذلك.
- إن هذا الشعر يعد من الشعر السياسى الذى يظهر فيه كل شاعر حـــق الحـــزب الذى ينتمى إليه، ومن ثم يكون هناك تجاوز فى الحقائق، والمبالغات فى المساجلات الشعرية فى الشعر السياسى، حيـــث يحاول كل فريق من الشعراء الانتصار بالقلم، أو الأدب، أو الشـــعر لمـــن يرتضيهم حكاما فى الدولة العربية الإسلامية، وكان الشعر سلاحا ذا بال فى هذه المعارك السياسية، والحزبية.

***

روى أن المأمون الخليفة العباسى جلس للمظالم يوما، فكان آخر من تقدم إليه، وقد هم بالقيام – امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة.

فوقفت بين يديه، وألقت عليه السلام، فرد عليها يحيى بن أكثم.

فقال لها يحيى بن أكثم: يا أمة الله، تكلمي بحاجتك.

فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... ويا إماما به قد أشرق البلـــد

تشكو إليك – عميد القوم – أرملة ... عدى عليها فلم يترك لها سبد

وابتز منى ضياعى بعد منعتها ... ظلما وفرق منى الأهل والولد[١]

فأطرق المأمون الخليفة العباسى حينا، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد ... عنى وأقرح منى القلب والكبد

هذا أذان صلاة العصر فانصرفى ... واحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد

فالمجلس السبت إن يقضى الجلوس لنا ... ننصفك منه وإلا المجلس الأحد[٢]

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢-٣٣، نهاية الأدب ٦/٢٧٦
منتصف: بصيغة اسم الفاعل من انتصف، يهدى له، عدى عليها، فلم يترك لها، وابتز مـــنى، وفـــرق مـــنى: كلها بصيغة الفعل المبنى للمجهول، أو المفعول، الرشد: بفتح الشين، عميد القوم: منادى حذف منه حرف النداء، أرملة: فاعل تشكو، السيد: الشعر، ويكنى به عن الإبلن كما يكنى بالوبر عن الغنم، فيقال: ما له سبد ولا لبد، أى ليس ذا وبـــر، ولا صوف متبلد، يريد إبلا وغنما، وورد الشطر الثانى فى البيت الثانى هكذا: عدا عليها فما تقوى به أسد، وورد الشطر الثانى فى البيت الثالث هكذا: لما تفرق عنها الأهـــل والولد، منتصف: عادل، أشرق: أنار، وابتز: أخذ عنوة، أرملة: مات زوجها. ضياع: جمع ضيعة، أى مزرعة.

(٢) العقد الفريد ١/٣٣، نهاية الأدب ٦/٢٧٦
يروى البيت الأول هكذا:

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد ... وأقرح القلب هذا الحزن والكمد

أقـــرحه: غمـــه، ويروى البيت الثانى هكذا: هذا أوان صلاة العصر فانصرفى، الجلد: بفـــتح الجيم واللام، وأقرح: بالبناء للمجهول، إن يقضى الجلوس لنا: بالبناء للمجهول،

فــلما كـــان يــوم الأحد جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فذكــرت أن الخصم هو ابنه العباس، فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس.

فقيل لها: إنك بين يدى أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير فاخفضى من صوتك.

قال المأمون: دعوها، فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه.

ثــم قضـــى المأمون لها برد ضيعتها، وظلم العباس ابنه بظلمه لها، وأمــر بالكتاب لها إلى العامل الذى ببلدها أن يوغر لها ضيعتها، أى يسقط عنها خراجها، ويحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة(١).

- وهذه الرواية تبين أن المرأة قد عرضت شكواها شعرا، وقد رد عــليها الخــليفة المأمون شعرا أيضا، مما يدفعنا إلى القول بأن الشـــعر كـــان يمثل لغة التخاطب، أو اللغة الرسمية للمظالم، أو الصـــورة المثلى للتعبير الذى يروق فى أعين الناس فى العصر العباسى.

***

---

ننصفك: بالجزم، الجلد شدة الصبر، الخصم: بفتح الخاء، المخاصم فى الحق، ننصفك: نرد عنك الظلم.

(١) العقد الفريد ٣٤/١

وكان المأمون يقرض الشعر، وينشده فى مواضعه، حتى وهو يجلس للحكم، أو للمظالم.

- وهــذه الــرواية عــن المأمون تبين بجلاء أنه كان يوقر الشعر والشعراء، وقد قدر لامرأة جاءته تشكو من ظلم ابنه العباس أنها قدمــت شــكواها شــعرا، وذلك يدل على أنه كان محبا للشعر، مستمعا جيدا للشعراء.
- اعتداد المأمون بالشعر والشعراء، وتقديره دور الشعر على لسان الشعراء، حين يعبرون به عن حالهم، أو شكواهم.
- إن الشــعر ينشــد فى مجــلس الخليفة بلا حرج، بل يكون لذلك الشعر، ولصاحبه تقدير أكبر.
- إن الشــعر الذى ورد فى هذه الرواية منسوب لامرأة، مما يدل عــلى أن الشــعر كان يقرضه النساء، والرجال معا، بلا حرج، وربما علت منزلة المرأة بقرضها الشعر.
- إن الرواية تقول: إن المأمون أجاب هذه المرأة بالشعر، مما يدل على أنه كان يقرض الشعر، وينشده، بلا حرج، ويدل كذلك على بصره بالشعر، وثقافته التى تهيأت له، حيث كان الخلفاء يربون عــلى أيــدى رواة الشــعر، ونقدتــه، وعلماء اللغة، والفقهاء، والمحدثيــن، وهــؤلاء جميعــا كانت لهم دراية عالية بالشعر، والأدب، والــلغة، وكــانت اتجاهــاتهم كلها منصبة على الشعر

القديم، فكانوا يربون أولاد الخلفاء على فهم اللغة، والشعر القديم، وتذوقه، ونقده، وهذا يدفعنا إلى القول بأن هؤلاء العلماء والرواة كـــانوا المنافحين عن مدرسة المحافظين فى الشعر، أو المدرسة التقـــليدية الـــتى تميل إلى النظام القديم والنموذج الأمثل للقصيدة العربية، كما كانت فى العصر القديم.

- لــذا يعــد الخـــلفاء من أنصار هذه المدرسة القديمة التى تتخذ نموذجهـــا الأمـــثل من الشعر القديم واتجاهاته، والتى عانى من تعصـــبها لـــلقديم الشـــعراء المولـــدون الذيـــن ينتمون لمدرسة المجدديـــن، أو المدرسة التجديدية التى حاولت أن تغير من هذه الـــنماذج القديمة فى الشعر فى الشكل، والمضمون، لكن النقاد، والعلماء، والرواة وقفوا لهم بالمرصاد أمام محاولاتهم التجديدية.
- ومن ثم فإن كل ما ينشده الخلفاء، أو ينشد أمامهم، ويحوز القبول منهم إنما ينتمى إلى المدرسة القديمة فى الشعر.
- والعجيـــب أن المرأة قد عرضت شكواها شعرا، وقد عبرت عن تضـــررها مـــن ابـــن الخليفة بأسلوب راق فى التعبير، يصلح لمخاطبة الخلفاء، وذلك يدل على أن المرأة كانت تنال حظا غير قليل فى الثقافة الأدبية، حتى إنها لتستطيع أن تعبر عما فى نفسها شـــعرا، فقد مدحت الخليفة فى البيت الأول، وقدمت شكواها فى البيتين التاليين بأدب جم، وأسلوب رفيع.

- والأعجـب مـن ذلـك أن الخـليفة المأمون قد رد عليها بمثل بضاعتها، فقد أنشد شعرا فى الرد عليها، يبين فيه قبول دعواها، وتأثـره بشكواها، فى البيت الأول، ويعتذر إليها فى البيت الثانى بـأدب جم، وأسلوب رفيع، ويعدها بالنظر فى شكواها، بعد مـثولها أمامه، هى وخصمها، فى البيت الثالث، الذى يحدد فيه موعد الفصل فى الخصومة.
- ويلفت النظر أن المرأة أنشدت ثلاثة أبيات فى تقديم شكواها، وقد رد عـليها الخليفة المهدى بثلاثة أبيات يوضح لها أثر شكواها، فصار المجلس إعلاء لقيمة الشعر فى دولة بنى العباس.

***

روى أن المأمون الخليفة العباسى نظر إلى جارية من جواريه تخط خطا حسنا، فقال المأمون فيها:

وزادت لدينا خطوة حين أطرقت وفى أصبعيها أسمر اللون أهيف

أصم سميع ساكن متحـــرك ينال جسيمات المنى وهو أعجف[1]

---

(١) العقد الفريد ٢٨/٣
خطوة: مكانة، ومنزلة وهى بكسر الحاء وضمها، أطرقت: خفضت رأسها، أو أرخت عيـنيها تنظر إلى الأرض، و أو سكتت. اسم اللون: يقصد القلم، أهيف: نحيف طويل، أصـم: يقصد أنه يكتب ولا يتكلم، سميع: يقصد أنه يسمع أوامر صاحبته فى الكتاب، سـاكن: لا يتحرك، متحرك: أى فى يد الجارية: جسيمات: جمع جسيم، وجسيمه: أى عظيمة هائلة، المنى: جمع منية، وهى بضم الميم وسكون النون، وفتح الياءن ما يتمناه الإنسان، أعجف: يابس جاف، أو العجف: الهزال.

والشـــاهد أن هـــذا الشـــعر قد أنشده المأمون فى وصف القلم، وهو وصـــف جيـــد يقـــف أمـــام أوصاف كثيرة، للقلم، وصفه بها بعض الشعراء، وكان للمأمون هذا النصيب من الوصف لقلم الجارية التى تخـــط خطـــا حســـنا، وذلك دليل على ما بلغته الجوارى من تأدب، ومؤهلات لأن يخدمن فى قصور الخلفاء.

أمـــا وصـــف المأمون القلم فهو وصف مادى: أسمر اللون، أهيف، اصم، سميع، ساكن، متحرك، ووصف معنوى: ينال جسيمات المنى وهو أعجف.

وهمـــا وصفان جميلان فيهما دقة ملاحظة، وقوة لماحية، وذكاء من الخليفة المأمون.

***

قال المأمون فى وصف القلم:

كأنما قابل القرطاس إذ مشقت منها ثلاثة أقلام على قلم[1]

وهو وصف أخر للقلم الذى حظى عند المأمون بمكانة عالية، جعلته يصفه غير مرة.

***

---

(1) العقد الفريد ٣/٢٦
القرطاس: الورق: مشقت: أسرعت فى الكتابة.

روى أن المأمون قال يصف خاتما:

وأبيض أما جسمه فمـــدور    نقى وأما رأسه فمعـــار
ولم يكتسب إلا ليسكن وسطه    مؤنثة لم تكس قط خمار
لها أخوات أربع هن مثلهـــا    ولكنها الصغرى وهن كبار(١)

وهــذا وصـــف لـــلخاتم، والظاهر أن المأمون كان يحسن الوصف، ويصف كل ما يراه، فقد وصف الخاتم هنا وصفا لا يخلو من لماحية وذكـــاء، وهو وصف أشبه ما يكون بالأحاجى والمعميات، لكنه يدل على أن المأمون شاعر.

***

روى أن المأمون عتب على جارية من جواريه، فأرسل إليها رسولا، فلما رجع الرسول أنشأ المأمون يقول:

بعثتك مرتادا ففزت بنظـــرة    وأغفلتنى حتى اسأت بك الظنـــا
وناجيت من أهوى وكنت مبعدا    فياليت شعرى عذ دنوك ما أغنى
ونزهت طرفا فى محاسن وجهها    ومتعت باستظراف نغمتها أذنـــا

(١) العقد الفريد ٤١٢/٤
معار: أى قطعة أخرى فوق المدورة، أو قطعة لها شكل آخر، مؤنثة: يقصد الإصبع، لم تكس خمار: يقصد الإصبع لم تكس خمارا، أخوات أربع: يريد الأصابع، الصغرى: أى صغرى الأصابع، الخمار: غطاء الرأس.

لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا أرى أثرا منها بعينيك لم يكـــن
فياليتنى كنت الرســـول وكنتنى وكنت الذى يقصى وكنت أنا المدنى[1]

فاسترضـــاها المأمون، فسلم عليها، فلم ترد السلام، وكلمها فلم تجبه، فأنشأ المأمون يقول:

تكلم ليس يوجعك الكـــلام ولا يؤذى محاسنك السلام
أنا المأمون والملك الهمام ولكنى بحبك مستهـــــــام
يحـــق عليك أن لا تقتلينى فيبقى الناس ليس لهم إمام[2]

وذلـــك كله دليل على أن المأمون كان ينشد الشعر فى كل ما يعن له مـــن خواطر، وقد أنشد الشعر الأول، وهو شعر جميل المعنى، بديع الغرض، لا يخلو من طرافة، ولما حية، ودقة فى الوصف، الغزل. كمـــا أنشـــد الشعر الثانى الذى يمثل تضرع المحب للمحبوب، وهو أشبه بشعر والده الرشيد فى جواريه، يوضح إلى أى حد كان الخلفاء فى شـــعرهم يعبرون به عن حالة المحب، ولا ينظرون إلى موقعهم

---

(١) العقد الفريد ٣٧٦/٤
مـــرتادا: من الريادة، وهو السير أمام القافلة أو الجيش ليرى مكان الماء والكلأ، وهى بصـــيغة اســـم الفاعل، يقصى: بالبناء للمجهول، يبعد، المدنى: بصيغة اسم المفعول، المقرب.
(٢) العقد الفريد ٣٧٦/٤
الهمام: بضم الهاء، الملك العظيم الهمة، مستهام: هائم.

العـــالى فى الحياة السياسية فى العصر العباسى، وما ذلك إلا بالشعر والغزل.

•••

روى أن عمـــرو بـــن مســـعدة وفقيهـــا من أجلة الفقهاء دخلا على المأمون، فعرض عليهما الطعام، فرفضا، فقال المأمون:

اعرض طعامك وابذله لمن دخلا ... واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا
فلا تكن سابرى العرض محتشما ... من القليل فلست الدهر محتفـــلا

ثم عرض عليهما الشراب، فرفضا، فقال المأمون:

ردا على الكأس إنكمــــــــا ... لا تعلمان الكأس ما تجـــدى
لوذقتما ما ذقت ما امتزجت ... إلا بد معكما من الوجـــــــد
خوفتمانى الله ربكمـــــــا ... وكخيفتيه رجاؤه عنـــــدى
إن كنتما لا تشربان معـــى ... خوف العقاب شربتها وحدى[1]

والشـــاهد أن المـــأمون قد أنشد شعرا فى كل موقف كان بينه وبين جليسيه.

فقـــد أنشـــد شعرا فى عرض طعامه، وبذله لمن دخل عليه، وحلفه عليه، وشكره لمن أكل، ويوجه نصيحة فى البيت الثانى.

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٢٤، ٣٣٨-٣٣٩
محتشـــم: جيى خجـــول، محـــتفلا: أى يجـــتمع إليك الناس فى محفل، أجدى: أصاب الجدوى، الوجد: الحزن، أو الغضب.

وأنشـــد شـــعرا فى الشـــراب يأمرهما برد الشراب عليه، لأنهما لا يعـــرفان جدواه، ولو شربا لعرفا، وأنهما يخافان الله، وهو يرجو الله بقدر خوفهما، ويعلن أنهما إن لم يشربا معه سيشرب وحده.

وهو شعر للمأمون نقدره فنا، ولا نقدره موضوعا.

***

كتب طاهر بن الحسين إلى المأمون الخليفة العباسى، فى إطلاق ابن السـندى من حبسه، وكان عامله على مصر، فعزله عنها، وحبسه، فأطلقه له، وكتب المأمون إليه:

أخى أنت ومـــولاى          فما ترضاه أرضاه
وما تهوى من الأمر          فإنى أنا أهـــــواه
لك الله علـــــى ذاك          لك الله لـــك الله[1]

فالمأمون هنا ينشد شعراء، ولو أن هذا الشعر سهل بسيط، حتى ليقرب من النثر، إلا أنه دليل على أن المأمون قد بلغ فى الشعر مبلغا حسنا، حـــتى إنـــه إذا تكـــلم فإنما يلجأ إلى الشعر، وكأن الشعر لديه قد بلغ درجـــة لغة التخاطب السهلة البسيطة، مما يدل على قيمة الشعر عند المأمون العباسى.

***

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٦٢/١
أنا: تنطق بإخفاء المد لضرورة الوزن الشعرى، لك الله: حسبك، أو كافيك.

روى أن المأمون أنشد فى قينة له:

لها فى لحظها لحظات حتــف ... تميت بها وتحيى من تريد
فإن غضبت رأيت الناس قتلى ... وإن ضحكت فأرواح تعود
وتسبى العالمين بمقلتيـــــها ... كأن العالمين لها عبيـــــد(۱)

والمأمون هنا ينشد شعرا يصف فيه لحظات القينة، وهو معنى تردد فى الشـــعر القديـــم كثيرا، فلحظاتها لحظات حتف، تميت، وتحيى، وتقـــتل الناس إن غضبت، وتعيد أرواح الناس إن ضحكت، وتستعبد الناس بمقلتيها، كأن الناس لها عبيد.

وعلى رغم قدم هذه المعانى إلا أن المأمون عبر بها عن إعجابه بهذه القينة، وعينيها، ولحظاتها.

•••

روى أن عمـــرو بن سعد بن سلم قال: كانت نوبة أنوبها فى حرس المأمون الخليفة العباسى، فكنت فى نوبتى ليلة، فخرج المأمون متفقدا من حضر، فعرفته، ولم يعرفنى، فقال المأمون: من أنت؟

قـــال عمـــرو: عمرو، عمرك الله، ابن سعيد، أسعدك الله، ابن سلم، سلمك الله.

---

(۱) العقد الفريد ٤/١٤٥
لحـــظ: نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار، وهو أشد التفتا من الشرز، حتف: هلاك، تسبى: تستعبد، المقلة: شحمة العين التى تجمع البياض والسواد.

فقال المأمون: تكلؤنا هذه الليلة.

قال عمرو: الله يكلؤك قبلى، وهو خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

فقال المأمون:

إن أخاك الحق من يسعى معك
ومن يضر نفسه لينفعـــــــك
ومن إذا صرف الزمان صدعك
برد شمل نفسه ليجمعـــــــك[1]

والمـــأمون هنا يتمثل بالشعر الذى يعبر به عن الموقف الذى عرض له وكأن المأمون يستصحب الشعر فى كل حديث، أو محاورة.

والمـــأمون هنا وجد من هذا الحارس أخوة نافعة حقيقية، فالأخ الحق مـــن يســـعى مع أخيه، وينفعه حتى لو ضر نفسه، ومن يبدد شمله ليجمع شمل أخيه إذا صدعه صرف الزمان.

والمعنى جيد، والموقف يصلح فيه هذا التمثيل بالشعر، والشعر كان فى موقعـــه تماما، والمنشد هو المأمون، وقد اصاب قدرا كبيرا من البلاغة فى القول، والفصاحة فى التعبير، ولكل مقام مقال، وقد أحسن المأمون فى هذا المقام.

***

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٣١
صرف الزمان: حادثة، صدع: شق، برد: فرق، شمل: جمع.

روى يـــحيى بن أكثم قال: كنت عند المأمون الخليفة العباسى، فأتى برجل ترعد فرائصه، فلما مثل بين يديه قال المأمون كفرت بنعمتى، ولم تشكر معروفى.

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله بك على؟

فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، وقال متمثلا:

ولو كان يستغنى عن الشكر ماجد    لرفعه قدر أوعلـــــو مكان
لما أمر الله العباد بشكـــــــــره    فقال اشكروا لى أيها الثقلان

ثـــم الـــتفت المأمون إلى الرجل، فقال: هلا قلت كما قال أصرم بن حميد:

ملكت حمدى حتى إننى رجـــل    كلى بكل ثناء فيك مشتغـــــل
خولت شكرى لما خولت من نعم    فحر شكرى لما خولتنى خول[1]

والشـــاهد أن المأمون تمثل بالشعر فى الحالين، فقد تمثل ببيتين من الشـــعر أولا، يبين فيهما أنه لا يستغنى الماجد عن الشكر لعلو قدره، لأن الله تعالى أمر الثقلين بشكره.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٤٠
الفـــرائص: أوداج العـــنق، الثقلان: الإنس والجن، مشتغل: مشغول، حر شكرى: أى شكرى الخالص، خولتنى: منحتنى، أو أوليتنى، خول: خول الإنسان الحاشية من العبيد والأمـــاء، تطـــلق على الواحد، والجمع، والمذكر والمؤنث، وقوله: ايها الثقلان: تعبير مقتـــبس مـــن القـــرآن الكريم، خول: بتشديد الواو: منح، أو جعل شكره مرتبطا بنعم الممدوح.

وتمثل ببيتين آخرين يبين فيهما أنه ملك عليه حمده، فصار يثنى عليه بكـل ثـناء، وجعـل شكره مرتبطا بما خوله من نعم، فصار شكره مصاحبا لنعمه التى منحه اياها.

وقد تمثل المأمون بهذا الشعر، لما قال الرجل: وأين يقع شكرى فى جـنب مـا أنعـم الله تعالى بك على، فعبر المأمون عن هذا المعنى بالشـعر تعـبيرا أقوى من تعبير الرجل، وأبلغ فى تحصيل المعنى المقصود، والغرض المنشود.

وكل ذلك إعلاء لدولة الشعر فى عصر المأمون.

***

روى أن المـأمون لمـا أعرس، إذ بنى على بوران بنت الحسن بن سـهل وزيـره، وصـله بمال كثير، وأقطعه أرضا، فلما انصرف الحسـن، خـرج المأمون مشيعا، فقال له المأمون: يا أبا محمد، سل حاجتك.

فقال له الحسن: أسألك يا أمير المؤمنين أن تحفظ لى من قلبك ما لا أستطيع حفظه إلا بك.

فتبسـم المأمون، ثم قال: شهدت جعفر بن يحيى، وقد ودع الرشيد، فقال الرشيد: سل حاجتك، يا أبا الفضل.

فقال جعفر: تجعل بينى وبينك بيت كثير، حيث يقول:

وكونى على الواشين لداء شغبة    كما أنا اللواشى ألد شغوب[1]

وهذه الحاجة ما قدر لها أن تقضى.

والمأمون هنا يتمثل بالشعر، أو يحكى تمثل جعفر بنى يحيى بالشعر للرشيد أبيه، ويتخذ من هذه الرواية موضعا ليتمثل بالشعر الذى ورد فيه.

وذلك دليل على أن المأمون يحفظ الكثير من شعر القدماء، يتمثل به عند الحاجة إليه، وينشده فى الموقف الذى يكون الشعر فيه من قبيل فصـل الخطـاب، وذلـك لأن المأمون يعتز بالشعر، ويعده القول الفصل.

•••

روى أنه لما بنى المأمون ببوران، واسمها خديجة، فرش لها حصير مـن ذهب، وجئ بمكتل من ذهب مرصع بجوهر فيه در كبار، فنثر عـلى من حضر من النساء، وفيهن رشيدة، وحمدونة، بنت الرشيد، وأشـبههما، فمـا مس من حضر منهن شيئا منه، حتى قال المأمون لهن: شرفن أبا محمد، وأكرمن عروسنا.

(1) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٥٨
الواشـى: الكـذاب، لداء: شديدة الخصومة، وكذلك ألد، شغوب: مهيج الشر، وكذلك شغبة، سكون الغين.

فمدت كل واحدة منهن يدها، فأخذت درة، وبقى سائر الدر يلوح على حصير الذهب.

فقـــال المأمون: قاتل الله الحسن بن هانى، أبا نواس، كأنه رأى هذا المنظر، حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب[1]

والمـــأمون هـــنا يتمـــثل بشـــعر أبى نواس فى وصف فواقع الخمر بحصـــباء الـــدر على أرض من الذهب، حين رأى حصير الذهب، وعـــليه الدر يلوح، فتذكر بيت أبى نواس، وتمثل به، مما يدل على حفظه الشعر العربى.

كمـــا أن هذا التشبيه قد أعجب به البلاغيون، فقد جعلوه من التشبيه الشـــكلى المصيب، وقد أعجب به المأمون، حتى إنه ليقول: قاتل الله الحســـن بـــن هانئ، أبا نواس، كأنه رأى هذا المنظر، حيث يقول، وأنشد البيتين.

إلى هـــذا الحـــد كان المأمون يحفظ الشعر العربى، ويعرف معانيه، وتصـــويره، ويصـــيب عند التمثل به المحذ، ويطبق المفصل، وهى موهبة أدبية ونقدية فذة.

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٣٥٩
فواقعها: يصف فقاقيع الخمر، وهى النفاخات التى ترتفع فوقها كالقوارير، وقد يراد الصفرة، وهى لون الخمر، حصباء: حصى، در لؤلؤ، أرض من الذهب: أى الخمر، فهو يصف فواقع الخمر.

•••

روى أن هارون الرشيد كان بالرقة، فكتب إليه صاحب الخبر بموت الكسائى العالم، وإبراهيم الموصلى المغنى، والعباس بن الأحنف الشاعر فى وقت واحد، فقال الرشيد لإبنه المأمون: اخرج فصل عليهم، فخرج المأمون فى وجوه قواده، وأهل خاصته، وقد صفوا له، فقال له: من ترى أن يقدم؟

قال المأمون: الذى يقول:

يا بعيد الدار عن وطنه ... هائما يبكى على شجنه
كلما جد البكاء به ... زادت السقام فى بدنه[1]

قيل له هذا، وأشاروا إلى العباس بن الأحنف.

فقال المأمون: قدموه، فقدم عليهم.

والشاهد أن المأمون العباسى قدم الشاعر على العالم اللغوى، والمغنى، وذلك دلالة على أن الشعر يحتل عنده موقعا فريدا، عاد على الشاعر بالتقديم على العالم اللغوى، والمغنى.

وقد اختار المأمون بيتين من الشعر، غاية فى الملاحة والظرف، والتغزل، والتشوق، والحزن، والهيام، والشجن، والبعد عن الديار،

---

(١) العقد الفريد ٤/٢٤
هائما: شغف حبا، أو شدة العشق، أو شدة الوجد، شجنه: حزنه، الأسقام: جمع سقم، وهو المرض.

والوطن. والبكاء، والأسقام، وغير ذلك مما هو معروف عند شعراء الغزل، وخاصة العباس بن الأحنف، الشاعر العباسي.

وذلـك دليـل عـلى أن المأمون يفهم دقائق الشعر، ويعرف درره، ومحاسنه، وليس ذلك بغريب على المأمون.

•••

روى أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال: إنى بباب المأمون، إذ خـرج عبدالله بن السمط، فقال لى: علمت أن أمير المؤمنين على كما له لا يعرف الشعر.

قلت له: وبم علمت ذلك؟

قـال ابـن السمط: أسمعته الساعة بيتا، لو شاطرنى ملكه عليه لكان قليلا، فنظر إلى المأمون نظرة سمجة كاد أن يصطلمنى عليها.

قلت له: وما البيت؟

فأنشد:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا　　بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قلت له: والله، لقد حلم عليك، إذ لم يؤدبك عليه، ويلك، وإذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يدبر أمرها؟ ألا قلت كما قال جدك فى عبدالعزيز بن مروان:

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله[1]

فقال ابن السمط: الآن، علمت أننى أخطأت.

والشـــاهد هـــنا أن عبدالله بن السمط كان يرى أن المأمون لا يعرف الشـــعر، لأنه أنشد المأمون بيتا من الشعر، لو شاطره المأمون ملكه عليه لكان قليلا، وأن المأمون نظر إليه نظرة سمجة، وكاد أن يعاقبه. ولمـــا ســـمع عمـــارة بن عقيل هذا البيت أفهم عبدالله بن السمط أن المـــأمون قد فهم البيت جيدا، وأن الشاعر هو الذى لم يكن موفقا فى إنشـــاد هـــذا البيت، وأن المأمون قد حلم عليه، إذ لم يؤدبه على هذا البيت من الشعر.

وذلـــك لأن الشاعر ينفى عن المأمون الاشتغال بالدنيا، لأنه مشتغل بالدين، والناس مشغولون بالدنيا.

وكـــان رد عمـــارة بن عقيل على عبدالله بن السمط: وإذا لم يشتغل المأمون بالدنيا، فمن يدبر أمرها؟

ومعنى ذلك أن المأمون على حق فى فهم هذا البيت.

ثم يوجه عمارة بن عقيل عبدالله بن السمط الشاعر التوجيه السليم فى مدح الخلفاء، بعرضه بيتا مدح به جده، وكان شاعرا، عبدالعزيز بن

---

(١) العقد الفريد ٤/١٨-١٩

مشـــاغيل: جمـــع مشـــغال، مبالغة، مشتغلا: بصيغة اسم الفاعل، مضيع: بصيغة اسم الفاعل، عرض الدنيا: ماديات الحياة.

مـــروان يقـــول فيه: إنه لا يضيع نصيبه من الدنيا، فهو ينال نصيبه منها، ولا يشغله نصيبه من الدنيا من عرضها عن الاشتغال بالدين، فلا يضيع نصيبه من الدنيا، ولا ينكب على الدنيا انكباب، من يضيع دينة، فهو وسط بين النهل من الدنيا، والانشغال بالدين.

ففهم أبو السمط أنه أخطأ، وأن نظرة المأمون النقدية فى بيته الشعرى أدق فهمـــا، وأحسن موقعا، وأقرب إلى روح المعنى الذى يجب أن يمدح به المأمون.

وذلك يدل على أن المأمون كان ناقدا حصيفا، وذواقة بارعا.

***

روى أن أحمـــد بن يوسف وزير المأمون الخليفة العباسى كتب إلى المأمون يستجدى لزوار على باب المأمون، فوقع المأمون فى عرض كتابه:

الخير متبع، واموال الملوك مظان لطلاب الحاجات، فاكتب أسماءهم، وبيـــن مرتـــبة كـــل واحد منهم، ليصير إليه على قدراستحقاقه، ولا تكدرن معروفنا بالمطل والحجاب، فقد قال الشاعر:

فإنك لن ترى طرد الحر ... كإلصاق به طرف الهوان

ولم تجلب مودة ذى وفاء ... بمثل الود أو بذل اللسان[1]

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/١٥٠
الهوان: الذل، طرد: حجب ومنع، بذل اللسان: أى بذل الكلم الطيب باللسان.

نصـــيحة غاليـــة مـــن المأمون لوزيره أحمد بن يوسف، يتمثل فيها المأمون ببيتين من الشعر، يحذره فيهما من طرد الحر، ويحضه على ود ذى الوفـــاء، ويرســـم له فيهمـــا سياســـة مقابلة زوار الخليفة، والاستجداء لهم.

فالمأمون هنا تمثل ببيتين هما غاية فى التعبير عن الموقف الذى قيل فيه هذان البيتان، فهو يرسم سياسة استقبال الزوار لوزيره، وهو فى الوقت نفسه ينشد الشعر الذى يعبر به عن هذه السياسة أصدق تعبير. وتلك منزلة عالية فى فهم الشعر، والتمثل به فى المواقف المختلفة.

***

روى أن المـــأمون الخليفة العباسى قال لأبى دلف يوما: أنت الذى تقول:

إنى امرؤ كسروى الفعال          أصيف الجبال وأشتو العراقا[1]

ما أراك قدمت لحق طاعة، ولا قضيت واجب حرمة.

قال أبو دلف: يا أمير المؤمنين: إنما هى نعمتك، ونحن فيها خدمك، وما هراقة دمى فى طاعتك، إلا بعض ما يجب لك.

وذلك دليل على أن هذا الشعر من أبى دلف الوالى كان سببا لغضب المأمون عليه، فالمأمون فى هذه الرواية، ينقد بيتا من الشعر فى فخر

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ٢٤٢/١
كسروى: نسبة إلى كسرى ملك الفرس، أصيف: أقضى الصيف، أشتو: أقضى الشتاء.

أبى دلف، الوالى، بنفسه، ولم يعجب المأمون هذا الفخر، فنقد البيت الشــعرى، وقال لأبى دلف: ما أراك قدمت لحق طاعة، ولا قضيت واجب حرمة.

ولما استعطفه أبو دلف، بأن ما يتقلب فيه إنما هو نعمة الخليفة، وأنه مـــن خدمة، وأن دمه يراق فى طاعته، وهذا بعض ما يجب له، عفا عنه المأمون.

***

وروى أن عـــلى بـــن جبلة قال فى مدح أبى دلف القاسم بن عيسى العجلى، أحد أكابر قواد المأمون.

| | |
|---|---|
| إنما الدنيا أبو دلـــــــف | بين بادية ومحتضرة |
| فإذا ولى أبو دلـــــــــــف | ولت الدنيا على أثره |
| كل من فى الأرض من عرب | بين بادية إلى حضره |
| مستعير منك مكرمـــــــة | يكتسيها يوم مفتخرة[1] |

فقـــال له المـــأمون: قد جعلنا نستعير المكارم منك فقال أبو دلف: يا أمير المؤمنين، قول زور، وكلام غرور، أصدق منه ابن أخت لى، حيث يقول:

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٩١، العقد الفريد ٢٤٢/١
الـــبادى: ســـاكن الـــبادية، الحضر: سكان الحاضرة، مفتخرة: مفخره، أجوب: أقطع، الكـــرج: بفتح الكاف والراء موضع بالقرب من نهاوند، وهى حصن أبى دلف، قاسم: هو القاسم أبو دلف، ولى: مات، على اثره: خلفه، وفى رواية: ذرينى، بدلا من دعبنى

دعينى أجوب الأرض فى طلب الغنى فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

والشاهد أن المأمون ضاق من مدح على بن جبلة، الشاعر لأبى دلف العجــلى، وإليه، وأحد كبار قواده، ونقد هذا المدح بأنه إذا كان هذا المدح صادقا، فقد جعل الشاعر الممدوح أصل المكارم، وكل من فى الأرض، مــن عــرب، ومن عجم مستعير منه مكرمة، يكتسبها يوم مفتخره، فكأن المأمون يستعير المكارم من أبى دلف.

فهدأ أبو دلف روعه، وقد عرف سبب غضبه، فأنشده بيتا آخر لابن أخته، يقول فيه لصاحبته: دعينى أجوب الأرض فى طلب الغنى من أى مكــان، وبأية وسيلة، فليست الدنيا الكرج مكان أبى دلف، وليس الــناس القاسم أبا دلف، واعتذر له بأن هذا الشعر الذى قيل فيه قول قول زور، وكلام غرور، وإن أصدق من هذا الشاعر من يقول غير ذلك، وهو ابن أخته.

ومــن ثم هدأ روع المأمون عند سماع البيت الذى يناقض فى معناه الأبيــات الــتى قيلت فى مدح أبى دلف، وذلك دليل على دقة فهمه الشعر.

•••

روى أن المــأمون الخــليفة العباسى لما دخل بغداد أصفر دعبل بن عــلى الخزاعى، بعد أن أعطاه الأمان، وكان دعبل قد هجاه، وهجا أباه الرشيد.

فقال المأمون: يا دعبل من الحضيض الأوهد؟

فقال دعبل: يا أمير المؤمنين، قد عفوت عمن هو أشد جرمامنى.

أراد المأمون قول دعبل يهجوه:

إنى من القوم الذين سيوفهـــــم    قتلت أخاك وشرفتك بمقعــــــــد
شادوا بذكرك بعد طول خموله    واستنفذوك من الحضيض الأوهد

يفـــتخر عـــليه بقتل طاهر بن الحسين بى مصعب ذى اليمينين أخاه محمدا، وطاهر مولى لخزاعة، قبيلة دعبل بن على الخزاعى.

فاستنشـــد المأمون دعبل بن على الخزاعى القصيدة المرثية فى أهل البيت.

فاستعفاه دعبل.

فقـــال المأمون: لا بأس عليك، وقد رويتها، وإنما أحببت أن أسمعها منك.

فأنشدها دعبل، فلما انتهى إلى قوله:

ألم تر أنى من ثلاثين حجــــــة    أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم فى غيرهم متقســـما    وأيديهم من فيئهم صفــرات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم    أكفا عن الأوتار منقبضـــات
وآل رسول الله نحف جسومهم    وآل زياد غلظ القصــــــرات

بنات زياد فى القصور مصونة وبنت رسول الله فى الفلوات[1]

بكى المأمون، وجدد له الأمان، وأحسن له الصلة. والقصيدة طويلة، وكان دعبل مداحا لآل البيت، كثير التعصب لهم، والغلو فيهم، ومرثيته مشهورة، وهى من جيد شعره.

وأولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار على والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذى الثفنات
قفا نسأل الدار التى خف أهلها متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى أفانين فى الآفاق مفترقات
أحب قصى الدار من أجل حبهم وأهجر فيهم أسرتى وبناتى[2]

وهذه الرواية تبين عدة أمور:

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١/١٣٤
حجة: بكسر الجيم، سنة، أروح: من الرواح، وأغدو من الغدو، وهما آخر النهار وأوله، الفئ: الغنيمة، صفرات: خاليات، وتروا: بالبناء للمفعول، وتر: بكسر الواو، الثأر، القصرات: بفتح القاف والصاد، جمع قصرة، بفتح القاف والصاد، أصل العنق، زياد: يقصد بنات الأمويين، الفلوات: جمع فلاة، وهى الصحراء.

(٢) العقد الفريد ١/١٣٣
مقفر، بصيغة اسم المفعول، خالن العرصات: بفتح العين والراء، جمع عرصة، وهى الساحة، الجمرات: بفتح الجيم والميم، جمع جمرة، أى مكان رمى الجمار، السجاد: صيغة مبالغة من السجود، خف: رحل، قفا: الأمر للصاحبين على عادة الشعراء القدامى، شطتك بعدت غربة النوى، بعد السفر، أو الفراق، الآفاق: جمع افق، وهو منتهى من البصر، مفترقات: بصيغة اسم المفعول، قصى الدار: بعيدها.

- إن دعــبل الشـــاعر قــد هجا المأمون الخليفة العباسى بأنه من خــزاعة، التى قتل أحد مواليها محمدا الأمين أخا المأمون، مما أوصل الخلافة إلى المأمون، فهو يفخر عليه بذلك، ويهجوه بأنهم شادوا بذكره بعد طول خموله، واستنقذوه من الحضيض الأوهد.
- وفى هــذا تطــاول شــديد من الشاعر على الخليفة، لا يستطاع قبولــه، أو العفو عنه، ومع ذلك عفا المأمون عنه، وهذا أمر جد غريب.
- إنه كان من المنتظر حين يحضر المأمون الشاعر عنده أن ينتقم مــنه شر انتقام، لأنه هجاه أشد هجاء، وهجا أباه الرشيد أيضا، ومع ذلك فإن المأمون بعدما أحضر الشاعر أعطاه الأمان، وسأله عن الحضيض الأوهد الذى ذكره فى هجائه، وهو أمر يدعو إلى الاستغراب من موقف الخليفة من الشاعر.
- إن الشـــاعر قــد رد ردا عجيبا على الخليفة، حين قال: يا أمير المؤمـــنين، قــد عفوت عمن هو أشد جرما منى، وهذا الرد يدل عــلى الــثقة الشــديدة الــتى يعتقدها الشاعر فى أنه لن يعاقبه المـــأمون، لأن هذا الرد لا يعتذر فيه الشاعر عما بدر منه، من هجــاء الخليفة، وإنما هو اعتراف بجرمه، ومحاولة منه لتخفيف هذا الجرم بأن ثمت من هو أشد منه جرما، وعفا عنه الخليفة.

- إن الخـــليفة المـــأمون قـــد استنشد دعبلا مرثيته الجيدة فى أهل الـــبيت، ولما استعفاه دعبل، قال له المأمون: لا بأس عليك، وقد رويـــتها، وإنمـــا أحببت أن اسمعها منك، وهذا إمعان فى تكريم دعـــبل، والعفو عنه، والاحتفاء به، وبشعره، وحب الخليفة شعر دعـــبل، حتى لو كان هذا الشعر فى مدح آل البيت، وهو المدح الـــذى لا يروق للعباسيين، لكن يبدو أن للمأمون رأيا آخر غير رأى قومه العباسيين، مما انعكس على معاملته لدعبل الشاعر.
- إن الخليفة المأمون ربما كان رأيه أن مرثية دعبل لآل البيت إنما تنطق بجور بنى أمية، وليس لها علاقة ببنى العباس.
- إن الخـــليفة المأمون قد تأثر تأثرا عنيفا بمرثية دعبل لآل البيت، حين أنشدها دعبل الخليفة، حتى إن الخليفة قد بكى، وجدد الأمان لدعـــبل، وأحسن له الصلة، على رغم أن دعبلا كان مداحا لآل البيت، كثير التعصب لهم، والغلو فيهم.
- إنـــنى أرى أن هـــذه المرثية إنما تمثل رثاء لآل البيت، يتأثر به العباســـيون أيضا، وهم أبناء عمومة للعلويين، وهما معا خصوم الأمويـــن، من أجل ذلك أعجب المأمون بشعر دعبل، وتأثر به، وكافأه عليه، وليس فى ذلك أيه غرابة.

***

روى أن المأمون الخليفة قال لمحمد بن الجهم الشاعر: أنشدنى بيتا، أوله ذم، وآخره مدح، أولك به كورة، فأنشده ابن الجهم:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم    حسنت مناظرهم لحسن المخبر

فقال له المأمون: زدنى.

فأنشده ابن الجهم:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه    فطيب تراب القبر دل على القبر[1]

فولاه الدينور.

وهـذه الـرواية دليل على ما بلغه الشعر فى دولة العباسيين عامة، وعند المأمون خاصة، إذ إن المأمون قال لمحمد بن الجهم الشاعر: أنشدنى بيتا، أوله ذم، وآخره مدح، أولك به كورة.

إلى هـذا الحد بلغت قيمة الشعر، بل قيمة بيت واحد من الشعر عند المأمون، فبيت من الشعر يعادل عند المأمون ولاية كورة من الكور.

ولما انشده الشاعر بيتا أوله ذم: قبحت مناظرهم، وأخره مدح: فحين خـبرتهم حسـنت مـناظرهم لحسن المنظر، أعجب المأمون، وقال للشاعر: زدنى.

---

(١) العقد الفريد ٢٧/٤

خـبرتهم: أختبرتهم فعرفت معدنهم، المخبر: الباطن، طيب: الرائحة الزكية العطرة، دل: أرشد.

فأنشـــده الشــاعر بيتا آخر، فيه معنى جميل: أرادوا إخفاء قبره عن عدوه، لكن عدوه استدل على القبر لطيب تراب القبر الذى دل عدوه عــلى مكــان قبره، وهو معنى جميل يبين فيه طيب الممدوح، أنئذ أعجب المأمون بهذا الشعر، وولى الشعر الدينور.

وهكذا كانت قيمة الشعر عالية فى بلاط المأمون العباسى

***

روى أن المــأمون الخــليفة العباســى قال ليحيى بن أكثم القاضى: أخبرنى من الذى يقول؟

قاض يرى الحد فى الزناء ولا يرى على من يلوط من بأس

قال يحيى بن أكثم: يقوله يا أمير المؤمنين الذى يقول:

لا أحسب الجور ينقضى وعلى الــ أمة وال من آل عباس[1]

قال المأمون: ومن يقوله؟

قال يحيى بن أكثم: أحمد بن نعيم.

قال المأمون: ينفى إلى السند، وإنما مزحنا معك.

والشاهد أن المأمون أراد أن يمزح مع قاضيه، يحيى بن أكثم، فأمره أن يخبره من الذى يذم القاضى بأنه يرى الحد فى الزنى، ولا يرى بأسا على من يلوط.

---

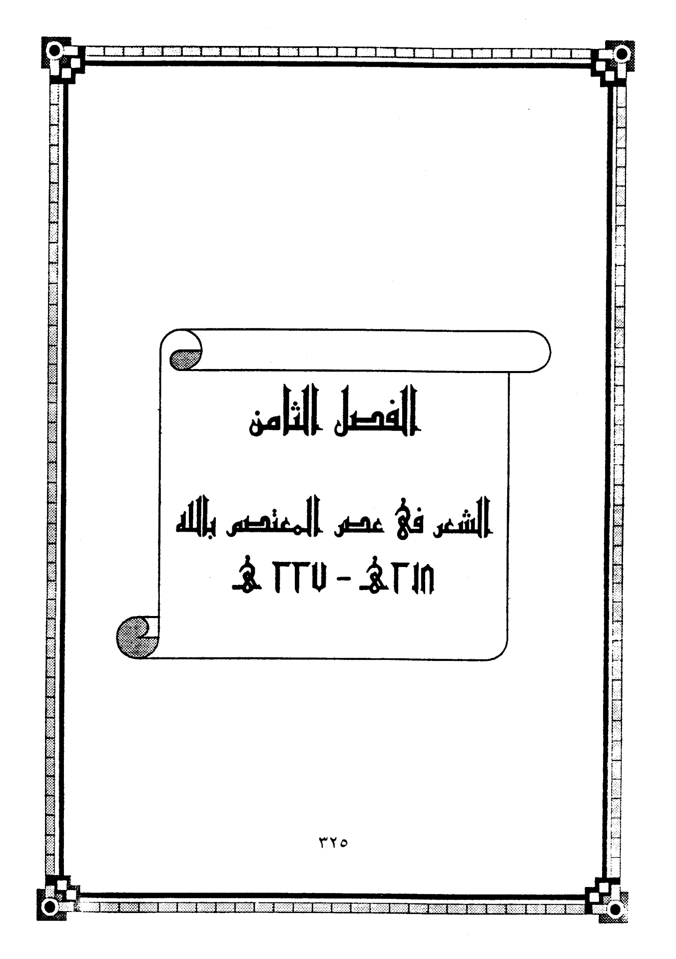
(١) العقد الفريد ٢/٣٤٣-٣٤٤
الجور: الظلم، بأس: شدة.

واستشـــعر القاضـــى الحرج، وأراد أن يبين للمأمون أن الشعراء لم يـــتركوا أحدا إلا هجوه، أو ذموه، فأنشد القاضى للمأمون بيتا، يقول فيه الشاعر: إن الجور لا ينقضى طالما أن على حكم الأمة خليفة من بنى العباس.

فســـأل المـــأمون عن قائل هذا البيت، وحنق عليه، وأم أن ينفى إلى السند، تأثرا بهذا البيت الذى قيل فى هجاء بنى العباس.

وقـــد أنشد المأمون القاضى شعرا، فرد عليه القاضى بإنشاد الشعر، وكـــان للشعر تأثير كبير على المأمون، وفى الشاعر الذى أنشد هذا الشعر، وهكذا نجد الشعر هو سيد الموقف فى كل هذه الحالات، مما يدل على قيمته فى دولة بنى العباس.

•••


الفصل الثامن
الشعر في عصر المعتصم بالله
٢١٨هـ - ٢٢٧هـ



المعتصــم بــالله، ٢١٨هــ - ٢٢٧ هــ، هو أبو إسحاق المعتصم بالله بن هــارون الرشــيد، الخليفة العباسى الثامن، بويع يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين، وتوفى يوم الخميس لاثنتى عشــرة ليــلة بقيــت من شهر ربيع الأول، سنة سبع وعشرين ومائتين، وكــانت خلافــته ثمان سنين وثمانية أشهر، وأمه أم ولد، يقال لها ماردة، وهى تــركية[1]، وكــان يســمى المثمن، وذلك أنه الثامن من خلفاء بنى العــباس، ومولــده سنة ثمان وسبعين ومائة، وولى الأمر فى سنة ثمانى عشــرة ومائــتين، ولــه ثمان وأربعون سنة، وكانت خلافته ثمانى سنين، وثمانيــة أشهر، ورزق من الولد الذكور ثمانية، ومن الإناث ثمانيا، وغزا ثمــانى غزوات، وخلف فى بيت ماله ثمانية آلاف ألف دينار، ومن الورق ثمانية آلاف ألف درهم، ووزر له محمد بن عبدالملك الزيات[2].

•••

روى أن أحمد بن أبى دواد قال: ما رأينا رجلا، نزل به الموت، فما شغله ذلــك، ولا أذهلــه، عما كان يجب أن يفعله، إلا تميم بن جميل، فإنه كان تغــلب عــلى شــاطئ الفــرات، وأوفى بــه الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم، فى يوم الموكب، حين يجلس للعامة، ودخل عليه، فلما مثل بين يديــه، ودعا بالنطع والسيف، فأحضرا، فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما،

---

(١) تاريخ الطبرى ١٢١/١٠

(٢) العقد الفريد ٣٠٤/٣

ولا يقـــول شيئا، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه، ويصوبه، وكان جسيما وسيما، ورأى أن يستنطقه، لينظر أين جنانه، ولسانه من منظره.

فقال المعتصم: يا تميم، إن كان لك عذر فأت به، أو حجة فأدل بها.

فقال تميم: أما إذ أذن لى أمير المؤمنين، فإنى أقول وتكلم، ثم أنشأ يقول:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظنى من حيث ما أتلفـــــت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتـــــلى ... وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يدلى بعفو وحجة ... وسيف المنايا بين عينية مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف ... يسل على السيف فيه وأسكـت
وما جزعى من أن أموت وإننى ... لأعلم أن الموت شئ موقـــــت
ولكن خلفى صبية قـــد تركتهم ... وأكبادهم من حســـــــرة تتفتت
كأنى أراهم حـــــين أنعى إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطة ... أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله روحـــــه ... وآخر جذلان يســــر ويشمت[1]

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/١٣٧-١٣٨

الـــنطع: فرش أو بساط من جلد، يبسط ويمد للقتل، كامنا: مستقرا، يلاحظنى: الضمير لـــلموت، يفلت: ينجو، يدلى: يعرض، مصلت: مشهر، منتضى، بصيغة اسم المفعول، يـــدلى: مضـــارع مـــن الرباعى: أدلى، الأوس بن تغلب: يقصد نفسه: يسيل: بالبناء للمجهول، ينتضى، ويشهر، أو يخرج من الغمد، موقت: أى مؤقت بوقت، أنعى: يذكر خـــبر موته، بالبناء للمجهول، خمشوا: ضربوا، خافضين: من الدعة والراحة واليسار، اذود: أدفـــع، الـــردى: الهـــلاك، موتوا: بالبناء للمجهول، لا يبعد الله روحه: دعاء له بالرحمة، يبعد من أبعد الرباعى، جذلان: فرح.

فتبسم المعتصم، وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل، اذهب، فقد غفرت لك الصبوة، وتركتك للصبية.

وهـذا موقف عجيب، فالشاعر أمام المعتصم، وقد دعى بالنطع والسيف، ليقـتل، والشـاعر يـنظر إليهما، ولا يتكلم، والمعتصم يصعد النظر فيه، ويصـوبه، ورأى أن يسـتنطقه، ليسـمع منه ماذا سيقول فى هذا الموقف العصـيب، وليعرف عقله، ولسانه، فقال له: إن كان لك عذر فأت به، أو حجة فأدل بها.

فأنشد تميم بن جميل شعرا، بين فيه موقفه، وموقف الموت منه، وقد كمن بيـن السـيف والنطع، يلاحظه، ويعترف بأن الخليفة قاتلة، وأنه المرء لا يفـلت من قضاء الله تعالى، وأنه لا أحد يدلى بعفو وحجة، وسيف الموت مصـلب بين عينيه، وأنه وقومه يعز عليهم أنه يسل عليه السيف ويسكت، ويبين أنه لا يجزع من الموت، ويعلم أن الموت موقت بوقت معلوم، لكن خـلفه صـبية تركهم، وأكبادهم تتفتت حسرة، وينظر إلى أنهم حين ينعى إليهـم قـد صـوتوا وضربوا وجوههم، ثم يقول: إن عشت عاشوا بغبطة وسـعادة أذود عنهم الردى، وإن مت ماتوا، وكم من مترحم عليه، وأخر شامت.

وهى أبيات صادقة معبرة عن أحاسيسه، وموقفه أصدق تعبير، وهى أيضا وليدة اللحظة والموقف، فقد أنشدها على البديهة والارتجال. فكاية غاية فى التعبير، وغاية فى التأثير.

وقد تأثر بها المعتصم أيما تأثير، حتى إنه عفا عنه، وقال له: كاد، والله يا تميــم، أن يســبق الســيف العــذل، اذهبن فقد غفر لك الصبوة، وتركتك للصبية.

وقــد مــس الشاعر شغاف قلب المعتصم، فكان منه هذا العفو، وليس ذلك بغريب على المعتصم الذى يعلى دولة الشعر فى بلاطه.

***

روى أن المعتصــم الخليفة العباسى زوج الحسن بن الأفشين باترجة بنت أشناس فقال المعتصم:

| | |
|---|---|
| زفت عروس إلى عروس | بنت رئيس إلى رئيـــــس |
| أيهما كان ليت شعــــرى | أجل فى الصدر والنفوس |
| أصاحب المرهف المحلى | أم ذو الوشاحين والشموس[1] |

والشــاهد أن المعتصــم ينشــد شعرا فى زواج الحسن بأترجة، يقول فيه: زفــت عــروس، وهى الزوجة إلى عروس، وهى الزوج، بنت رئيس إلى رئيس، ويقارن بينهما: أيهما كان أجل فى الصدور والنفوس، هل صاحب

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢١٧
عــروس: نعت يستوى فيه الرجل والمرأة ما داما فى إعراسهما، يقال رجل عروس، ورجــال عرس، بضم العين والراء، وامرأة عروس، ونساء عرائس، والعرس: بكسر العين امرأة الرجل، والجمع أعراس، وربما سمى الذكر والأنثى عرسين، بكسر العين، المرهف: بصيغة اسم المفعول، السيف المرقق، المحلى: السيف ذو الحلية، أو الوشى، الوشــاحين: مثــنى وشــاح، بكسر الواو، وهو شئ ينسج من أديم عريضا، ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

الســيف المحلى، أم صاحبة الوشاحين؟ والأبيات على بساطتها، فهى وليدة الموقف، مما يدل على أن المعتصم ينشد الشعر فى المواقف المختلفة التى تعرض عليه فى أى وقت، وفى أى موقف دلالة على موهبة المعتصم فى فن الشعر، وتذوقه، وفهمه، وإنشاده.

•••

روى أنــه لمــا قــبض المعتصــم عــلى محمد بن قاران صاحب جبال طبرســتان، والمســمى بالمازيار، رغب المعتصم فى أموال كثيرة يحملها إليــه إن هــو من عليه بالبقاء، ولم يقتله، فأبى المعتصم قبول ذلك، وتمثل بقول الشاعر:

إن الأسود أسود الغاب همتها     يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب[1]

فالمعتصــم رفض ترغيب ابن قاران إياه بالأموال الكثيرة، يحملها إليه، إن مــن عليه بالبقاء، بعدما قبض عليه، لكن المعتصم أبى أن يعفو عنه، ولم يــنخدع بهــذا الإغــراء، وتمثل ببيت شعر يبين فيه أن الأسود همتها فى المســلوب لا السلب، فهم المعتصم فى قتل ابن قاران، وليس فى الأموال التى أغراه بها ابن قاران.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢١٧
الغــاب: جمع غابة، وهى الأجمة، بفتح الهمزة والجيم والميم، الكريهة: فعليه. بمعنى مفعوله، وهى الحرب، المسلوب: القتيل، السلب: ما يسلب من الأموال والغنائم.

والمعتصم قد تمثل ببيت معبر عن الموقف الذى طرأ له، وعرض عليه تمام التعبير، واختيار الشعر فى المواقف المختلفة للتمثل بها ذكاء، وموهبة، وفهم دقيق للشعر، وحفظ له، والإتيان به لفصل الخطاب أو القول الفصل الذى لا ينازع، وتلك براعة من المعتصم العباسى.

•••

روى أن المعتصم ذكر جارية بمصر، فدعا مغنيا، فذكر له أمره مع الجارية وأنه أقلقه الشوق إليها، وأمره أن يغنى صوتا يصف هذه الحالة، فغنى:

وددت من الشوق المبرح أننى    أعار جناحى طائر فأطير
فما لنعيم لست فيه بشاشة    وما لسرور لست فيه سرور
وإن امرأ فى بلدة نصف قلبه    ونصف بأخرى غيرها لصبور

فقال المعتصم: والله ما عدوت ما فى نفسى، وأمر له بجائزة، ورحل من ساعته، فلما بلغ الفرما قال:

غريب فى قرى مصر    يقاسى الهم والندما
لليلك كان بالميدا    ن أقصر منه بالفرما[1]

---

(١) العقد الفريد ٤/١٤٥، ٤/٤٧
المبرح: الشديد العظيم، أعار: أنال إعارة، الميدان: مكان، الفرما: مصر، أو مكان بها، ليلك: يخاطب نفسه، قرى: جمع قرية، الميدان: يقصد بغداد، ويروى: السقم، بدلا من الندم، والسقم بمعنى المرض.

وهـذه الـرواية تثبت أن المعتصم العباسى قد ذكر جارية أحبها بمصر، فدعـا مغنيا، وبين له أمره مع الجارية، وأنه أقلقه الشوق إليها، وأمره أن يغنى صوتا، يصف فيه هذه الحالة.

وذلك دليل على أن للشعر منزلة عند المعتصم، فهو الذى يجعله يسلو، أو ينسى، وربما كان الشعر هو الذى يجعله يتذكر جاريته، وربما أراد إثبات موقفـه هـذا عـن طريق الشعر، أى إن الشعر هو فارس الحلبة فى هذه القصـة، يعـبر عـنها، ثم يتولى الغناء تلحين هذا الشعر، ليخلد الموقف تماما.

إن الشـعر الذى أنشده المغنى يقول فيه: وددت أننى أعار جناحى طائر، لأطيـر إلى مصـر، من الشوق المبرح بى إلى هذه الجارية، إذ إن النعيم الـذى لسـت فيـه، ليست له بشاشة، والسرور الذى لست فيه، ليس فيه سـرور، وإن المرء الذى يعيش نصف قلبه فى بلدة، والنصف الأخر فى أخرى غيرها ليعد صبورا.

وقـد أعجب المعتصم بهذا الشعر، حتى إنه قال للمغنى والله ما عدوت ما فى نفسى، وأمر له بجائزة.

والعجيـب أن المعتصـم لـم يطـق الصبر الذى ذكره الشاعر فى البيت الأخيـر، ورحل من ساعته، فلما بلغ الفرما فى مصر قال شعرا آخر، بين فيـه أنه غريب فى قرى مصر، يقاسى الهم والندم، على غربته، ويخاطب

نفسـه قائلا: ليلك كان بالميدان فى بغداد أقصر منه بالفرما فى مصر، فقد طال ليله فى مصر من مقاساته الهم والندم.

وهكـذا كان المعتصم شاعرا أيضا فى التعبير عن المواقف المختلفة، ولو أنـه اسـتدعى من يعبر عنه عن الموقف الأول، فقد عبر هو بنفسه عن الموقف الثانى.

وذلك أصدق دليل على اهتمامه بالشعر، وإحساسه الشديد به، وأنه الوسيلة المعبرة بصدق عن أية حال تعترى حياته.

***

روى أن المعتصم الخليفة العباسى كتب إلى عبدالله بن طاهر:

أعزز على بأن أراك عليلا ... أو أن يكون بك السقام نزيلا

فوددت أنى مالك لسلامـتى ... فأعيرها لك بكرة وأصـيلا

فتكون تبقى سالما بسلامتى ... وأكون ممن قد عراك بديلا

هذا أخ لك يشتكى ما تشتكى ... وكذا الخليل إذا أحب خليلا[1]

---

(١) العقد الفريد ٢/٣

أعـزز عـلى: أسـلوب تعجب، يقصد به أن مرضه أمر يعز عليه، عليلا: مريضا، السـقام: المرض، نزيلا: ضيفا نازلا، فوددت أنى مالك لسلامتى، فى الأصل: فوددت أنى أكـون مالكـا لسـلامتى، والبيت يكون على ذلك يكون مكسورا، والتصويب من عملـنا، بكرة: الوقت أول النهار، اصيلا: الوقت أخر النهار قبل الغروب، أو الزوال، عـراك: يقصـد، أعارك، أو عراه: أى نزل به، وأصابه، أخ: يقصد نفسه، يشتكى ما تشتكى: يقصد يشتكى بشكواك.

والمعتصـــم فى هــذه الرواية يقول لعبدالله بن طاهر: يعز على أن أراك عــليلا، أو ينزل بك السقام، ويود أن يكون مالكا سلامته، ليعيرها له بكرة وأصــيلا، فيــبقى سالما بسلامته، ويكون قد عراه بديلا، ويبين أنه أخ له يشتكى ما يشتكى أخوه، وكذلك الخليل إذا أحب خليلا.

وهــذا موقــف مرض فيه عبدالله بن طاهر، فأنشد المعتصم هذه الأبيات وبعثها إليه، ليشاركه فى التصبر على مرضه.

وذلــك دليــل على اهتمام المعتصم بالشعر، وإنشاده، وأنه يهرع إليه فى مواقفه كثيرا.

•••

روى أن الــروم خرجت إلى زبطرة، أيام المعتصم بالله الخليفة العباسى، بقيــادة توفيل، ملك الروم، فنزلوا على زبطرة، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائــتين، وفــتحها بالســيف، وقتل، وسبى، فضج الناس فى الأمصار، واستغاثوا فى المساجد، ودخل إبراهيم بن المهدى على المعتصم العباسى، فأنشده قصيدة طويلة، منها:

يا غيرة الله قد عاينت فانتقمــى      تلك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على إجرامها قتلت      ما بال أطفالها بالذبح تنتهب(١)

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٨٥

غيرة الله: يقصد غيرة الله تعالى على محارمه التى انتهكت، وربما أراد الخليفة نفسه، فهو القائم على أمر المسلمين، عاينت: رأيت رأى العين، يرتكب وتنتهب، وقتلت: كلها بالبناء للمجهول.

فخرج المعتصم من فوره نافرا، وفتح عمورية.

•••

ويقـــال: إن المعتصـــم بـــلغه أن روميا لطم أسيرة فى زبطرة، فصاحت: وامعتصـــماه، فأحفظـــه ذلك، وأغضبه، فسار فى خمسمائة ألف، أو مائتى ألـــف، وفتح عمورية، فقال فى وصف هذه الحال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى قصيدته المشهورة.

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعـــب

يقول فيها:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... منك المنى حفلا معسولة الحلـــب

ألفيت جد بنى الإسلام فى حد ... والمشركين ودار الشرك فى صبب

ويقول فيها للمعتصم:

لبيت صوتا زبطريا هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب[1]

يعنى صوت التى صاحت: وامعتصماه، ثم أمر المعتصم ببناء زبطرة.

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٨٥

الكـــتب: كـــتب المـــنجمين الذين حذروا المعتصم من غزو عمورية، حد الأولى: حد السـيف، والـــثانية الفاصل، حفلا: جمع حافل، وهى الناقة التى امتلأ ضرعها باللبن، معســولة: بطعــم العســل، الحلب: الحليب، جد: الحظ والبخت والنصيب، فى صعد: ارتفـــاع، صـــبب: انخفاض، صوتا زبطريا: صوت المرأة التى صاحت: وامعتصماه، هـــرقت أهرقت، الكرى: النوم، رضاب: الريق، الخرد: جمع خريدة، والخرود: المرأة الحيية.

فهـذه الـرواية تثـبت أن إبراهيم بن المهدى دخل على المعتصم، فأنشده شـعرا، فيـه تحميـس للمعتصم، يخاطب به غيرته على الدين، وغضبه للمسلمين، ليهب لقتال الروم، وقد كان.

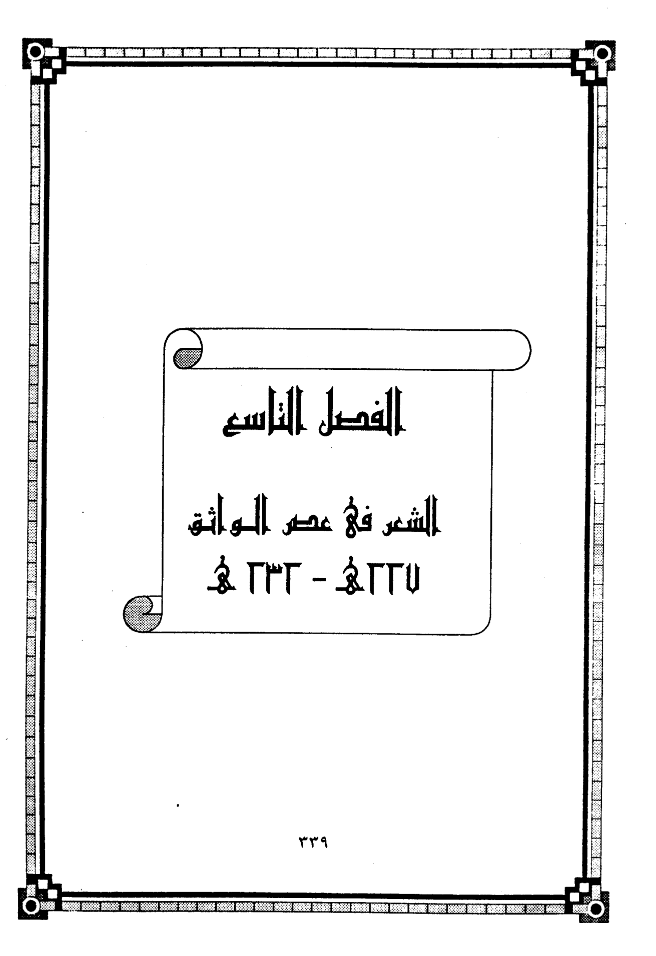
أمـا الشـعر الـذى أنشده إبراهيم بن المهدى، فيقول فيه: يا غيرة الله قد عايـنت مـا حـدث للمسلمين، فانتقمى من الروم، فهذه النساء ترتكب فى حقهن الجرائم، هب الرجال على إجرامها قتلت، مال الأطفال تذبح؟

وقـد تحمـس المعتصم بهذا الشعر، وخرج لقتال الروم، وهزمهم، وفتح عمورية، فكان الشعر من قبيل الحماسة.

وقـد أنشـد أبو تمام المعتصم قصيدة رائعة بين فيها أن السيف والحرب والقتال أصدق من قول المنجمين الذين خوفوا المعتصم من فتح عمورية، ويشـيد بموقعـة عمورية، وأنها نصر للإسلام على الكفر، ويحكى قصة المرأة التى لطمها الرومى، وصاحت: وامعتصماه.

كـل ذلـك يـدل على ما بلغه الشعر فى دولة بنى العباس، وعند الخليفة المعتصم.

•••



# الفصل التاسع

## الشعر في عصر الواثق
## ٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ

الواثـــق، ٢٢٧هـــــ – ٢٣٢ هــــ، هو الخليفة التاسع فى دولة بنى العــباس، وهو أبو جعفر هارون الواثق بن المعتصم، بويع بالخلافة لإحـــدى عشـــرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، فكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما، وهو والد محمد المهتدى، الخليفة الرابع عشر من خلفاء بنى العباس، وهو أخو الخليفة المتوكل، وأمه أم ولد، ووزر له محمد بن عبدالملك الزيات(١).

***

روى أن الخـــليفة الواثـــق أشـــخص إلى أبى عثمان بكر بن محمد المـــازنى الشيبانى العالم اللغوى، وكان السبب فى ذلك أن جارية له غنت.

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم(٢)

فـــرد عـــليه بعـــض الناس نصبها رجلا، وتوهم أنه خبر إن، وليس كذلـــك، وإنمـــا هو معمول لمصابكم، لأنه فى معنى إصابتكم، وظلم خبر إن.

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٤

(٢) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٤

أظلوم: الهمزة للنداء، ظلوم: منادى، مصابكم: إصابتكم، ظلم: مصدر.

فقالت الجارية: لا أقبل هذا، وقد قرأته على أعلم الناس بالبصرة أبى عثمان المازنى.

فلما دخل المازنى على الخليفة، قال له الواثق: من خلفت وراءك؟

قال له المازنى: خلفت أخيه أصغر منى، أقيمها مقام الولد.

فقال الواثق: ما قالت لك حين خرجت؟

قــال المازنى: طافت حولى، وقالت، وهى تبكى، أقول لك، يا أخى، ما قالت بنت الأعشى لأبيها، وهو:

تقول ابنتى حين جد الرحيل … أرانا سواء ومن قد يــتم
أبانا فلا رمت من عندنــــا … فإنا بخــير إذا لم تـــرم
ترانا إذا أضمرتك البـــلاد … نجفى وتقطع منا الرحم[1]

قال الواثق: فما قلت لها؟

قال المازنى: أقول لك، يا أخية، ما قال جرير لزوجته، أم حزرة:

ثقى بالله ليس له شريك … ومن عند الخليفة بالنجاح[2]

فقال الواثق: لا جرم، إنك ستنجح، وأمر الواثق له بثلاثين ألف درهم.

***

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٤-٣٠٥

يتم: بفتح الياء والتاء، أو كسر التاء، صار يتيما، جد الرحيل: تجدد، أو صار جدا، أو اجــتهد، رام يروم: طلب أو قصد، أو رام يريم، أضمرتك: أبعدتك، أو وارتك، نجفى: بالبناء للمجهول، أى يجفونا الناس، يقطعون صلتنا، الرحم: القرابة.

(٢) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٥

النجاح: نجاح المسعى والمقصد.

وفى غير هذه الرواية أن المازنى لما دخل على الخليفة الواثق، قال الواثق: با اسمك؟

قـــال المازنى: أراد الواثق أن يعلمنى بمعرفته إبدال الباء مكان الميم فى هذه اللغة.

فقال المازنى: بكر بن محمد المازنى.

فقال مازن بنى شيبان، أم مازن بنى تميم؟

قال المازنى: مازن بنى شيبان.

قال الواثق: حدثنا.

قال المازنى: يا أمير المؤمنين، هيبتك تمنعنى.

وقال الراجز:

لا تقلواها وادلواها دلوا إن مع اليوم أخاه غدوا[1]

قال الواثق: فسره.

قـــال المـــازنى: لا تقلوها: لا تعنفا بها فى السير، يقال: قلوت، إذا سرت سيرا عنيفا.

ودلوت: إذا سرت سيرا رفيقا.

ثـــم أحضر الواثق التوزى، وكان فى دار الواثق، وكان قد قال: إن مصابكم رجل، توهما أنه خبر إن.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٥

غدوا: مصدر غدا، أى أتى وقت الغدو، وهو أول النهار.

فقال له المازنى: كيف تقول: إن ضربك زيدا ظلم؟

قال التوزى: خبر، وفهم المسألة.

•••

روى أنــه لمــا وفد أبو عثمان المازنى على الخليفة الواثق، قال له الواثق: هل خليت وراءك أحدا يهمك أمره؟

قال المازنى: أخية لى ربيتها، فكأنها بنتى.

قال الواثق: ليت شعرى، ما قالت حين فارقتها؟

قال المازنى: أنشدتنى قول الأعشى:

تقول ابنتى يوم جد الرحيل      أرانا سواء ومــــن قديتم
أبانا فلا رحت من عندنـــا      فإنا نخاف بأن تخــــترم
أرانا إذا أضمرتك البــــلا      د تخفى وتقطع منا الرحم

قال الواثق: ليت شعرى، ما قلت لها؟

قال الواثق: أنشدتها، يا أمير المؤمنين، قول جرير:

ثقى بالله ليس له شريك      ومن عند الخليفة بالنجاح[1]

قال الواثق: أتاك النجاح، وأمر له بعشرة آلف درهم.

---

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢١٠-٢١١
جد الرحيل: صار جدا، أو أسرع، أو حان، يتم: أى صار يتيما، وهو بالبناء للمجهول، أبانــا: مــنادى بحــرف نداء محذوف، رمت: لعلها رحت، وهى أفضل فى المعنى، تخــترم: بالنادى للمجهول، أى تخترمه المنية، أى يموت، أضمرتك: وارتك، وخبأتك، تخفى: تستتر، الرحم: الصلة، ثقى: أمر لها من وثق.

ثم قال الواثق للمازنى: حدثنى حديثا ترويه عن أبى مهدية مستظرفا.

فــروى المــازنى حديــثا حدثه به الأصمعى عن أبى مهدية فى أن الأعراب والأغراب سواء فى الهجاء.

فضـــحك الواثق من الرواية، حتى شغر برجله، وقال: لقد لقى أبو مهدية شرا، وأمر له بخمسمائة دينار.

وهــذه الروايات تدل على أن مجلس الواثق كان مجلس لغة ونحو، وأدب، فقــد كان المجلس يخوض فى تصحيح بيت شعر نحويا، مع الإرتباط بمعناه، ثم سؤال عن الشعر الذى أنشدته ابنة المازنى لأبيها، والشــعر الــذى أنشده المازنى لابنته، كذلك فهم الواثق اللغة وإبدال الميــم بــاء، وشرح بعض الألفاظ الغريبة فى الشعر، والحديث عن بعض اللغويين.

وذلك كله يدل على إهتمام الواثق باللغة، والنحو، والأدب، والشعر، والنقد، والتذوق الأدبى، والفنى.

***

روى أن الخليفة الواثق سأل سماره، ذات ليلة، عن السبب الذى من أجله نكب الخليفة الرشيد البرامكة، وكان يعرف ما سيجيبون به.

فقال أحد سماره: إن البرامكة احتجنوا الأموال، واستهلكوها، مغترين بعطــف الخــليفة الرشيد، حتى احتال بعض الناس، وأسمع الخليفة الرشيد قول عمر بن أبى ربيعة.

وعدت هند وما كانت تعد ليت هند أنجزتنا ما تعد

واستبدت مرة واحـــــــدة إنما العاجز من لا يستبد[1]

فقـــال الخليفة الرشيد: أجل والله، إنما العاجز من لا يستبد، ثم وثب على البرامكة، وأطاح بهم، وأزال نعمتهم.

فقـــال الخـــليفة الواثق: صدق والله جدى، إنما العاجز من لا يستبد، وأخذ فى ذكر الخيانة فى الأموال، وما يستحق أهلها، ولم يمض على ذلـــك أسبوع، حتى نكب كتابه، وعماله، وعذبهم، حتى أدوا الأموال التى اختانوا فيها.

والشـــاهد أن الخليفة الواثق يعلم قصة الرشيد مع البرامكة، وأن من أسباب نكبتهم الشعر الذى أنشده عمر بن أبى ربيعة، وأسمعه بعض الناس الخليفة الرشيد، وأن الرشيد استجاب لمضمون هذا الشعر، أو المغـــزى منه، ونكب البرامكة، وكذلك فعل الخليفة الواثق تأثرا بما فعله جده الرشيد حين سمع هذا الشعر، فكان الشعر هو سبب حماسة الرشيد والواثق على البرامكة والولاة.

---

(١) الدولة الأموية والعباسية وحضارتها ص ١٨٨

وعـــدت: أى وعـــدت بالوصـــل، أنجـــزت الوعد: نفذته، استبدت: تصلبت فى الرأى وامتنعت عن الوصل، العاجز: الضعيف الواهن.

إن الشـــعر الـــذى سمعه الراشد، ثم الواثق فى الغزل، ومع أنه فى الغزل إلا أن الغرض من ورائه كان موارى، ومع ذلك فهمه الرشيد، ثم احتذى الواثق حذو جده.

•••

روى أن إسحاق الموصلى شخص إلى الخليفة الواثق، بسر من رأى، وأهله ببغداد، فتصيد الواثق، وهو معه إلى نواحى عكبرا، فلما قرب من بغداد، قال إسحاق:

طربت إلى الأصيبية الصغار ... وهاجك منهم قرب المزار

وكل مسافر يزداد شوقـــــا ... إذا دنت الديار من الديار[1]

ولحنه، وغناه الخليفة الواثق، فاستحسنه، وأطربه، فصرفه إلى بغداد على ما أحب.

وكـــان إســـحاق قد قال أولا: وكل مسافر يشتاق يوما، فعابوا قوله: يوما، وقالوا: هى لفظة قلقة فى هذا الموضع، لم تحل بمركزها، ولا لها هنا موقع.

قال إسحاق: فضعوا مكانها مثلها، لا خير منها.

فما استطاعوا ذلك، فغيرها إسحاق إلى قوله: يزداد شوقا.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٢١

الصـــبيبة: تصغير الأصيبية، جمع الجمع لصبى، هاجك: أثار نفسك، المزار: الزيارة، أو المكان، دنت: قربت.

وهــذه الـــرواية تدل على أن الخليفة الواثق فهم الشعر الذى أنشده إســـحاق الموصلى، وفهم الغرض الذى يقصده إسحاق من وراء هذا الشعر، وتلك درجة عالية فى تذوق الشعر.

إن الشـــعر الذى أنشده الخليفة الواثق فيه تشوق، وحنين إلى أصبيته الصـــغار، فقد طرب إليهم، وهاجه منهم قرب مزارهم، وذكر حكمه فى الـــبيت الثانى، وهى: وكل مسافر يزداد شوقا إذا دنت الديار من الديـــار، وهى حكمة ملائمة للغرض الذى أنشد من أجله إسحاق هذا الشـــعر، كمـــا أنه تعبر عن حاله أصدق تعبير، وقد فهم الواثق ذلك الموقـــف مـــن هذا الشعر، واستحسن الشعر، وأطربه، ولبى مطلبه، وهى نظرة ثاقبة فى فهم الشعر، وأغراضه.

أمـــا تصـــويب الـــبيت، فقد جاء ليهذب ألفاظ البيت، ويضع الكلمة المناسبة فى موضعها، ويلغى الكلمة القلقة النابية من موضعها أيضا، وهى نظـــرة نقدية تذوقية، لمن اعترضوا على إسحاق، وبراعة من إسحاق فى تغيير هذه اللفظة.

***

روى أن أحمـــد بـــن أبى دواد دخل على الخليفة الواثق فقال الخليفة الواثق له: مازال قوم اليوم فى ثلبك، ونقصك.

فقال ابن أبى دواد: فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟

قال الواثق: أبا عبدالله:

وسعى إلى بعيب عزة نسوة          جعل المليك خدودهن نعالها[1]

والشـــاهد هنا أن الخليفة الواثق قد تمثل ببيت من الشعر، ليعبر عن الموقـــف الذى طرأ فى مجلسه، وهو أن بعض الناس قد أخذوا فى ثـــلب ابـــن أبى دواد، ونقصــــه، فاستشهد الواثق ببيت شعر، يقول: وســـعى قوم بالنميمة، والوشاية بينى وبين عزة، وأنا لم أصدقهم، بل أدعو عليهم بقولى: جعل الله خدودهن نعالها.

فالواثق بهذا البيت يخبر ابن أبى دواد أنه لم يصدق الوشاة، بل كذبهم ودعا عليهم.

وذلك يدل على أن الواثق يحفظ من الشعر العربى ما يجعله يتمثل به فى كل موقف يعرض له، مما يدل على مكانة الشعر عنده.

***

روى أن الواثـــق كان له مغن، فوقع هذا المغنى فى سحاة، ودفعها إلى جارية للواثق:

إنى رأيتك فى المنام كأننى          مترشف من ريق فيك البارد

وكأن كفك فى يدى وكأنما          بتنا جميعا فى مكان واحـــد[2]

---

(١) العقد الفريد ٢/٣٥٣، ١/٢٣١

عزة: هى صاحبة كثير بن عبدالرحمن، المليك: الله تعالى، سعى: مشى بالنميمة، جعل المليك خدودهن نعالها: جملة دعائية.

(٢) العقد الفريد ٤/١٤٤

مترشـــف: مســـتقص فى شـــربه لا يبقى شيئا فى الإناء، أو أخذ الماء بالشفتين، وهو بصيغة اسم الفاعل، فيك: فمك.

فأجابته الجارية:

خيرا رأيت وكل ما أبصرته ستناله منى برغم الحاسـد

فنكون أنعم عاشقين تعاطيا ملح الحديث بلا مخافة راصد[1]

فأعتقها الواثق، وزوجها من المغنى.

والشعر الذى أنشده المغنى يبين أنه يبغى الزواج من جارية الواثق، فهو يقول: إنه رآها فى المنام، كأنه يرتشف ريقها البارد، وكفها فى يـده، وكأنـه بـات معهـا فى مكان واحدة، أى رأى فى المنام أنه تزوجها، أو يتمنى ذلك.

أمـا جـواب الجارية فقد قالت: إن ما رأيته خير، وكل ما أبصرته سـتناله، برغم الحاسدين، وتكون الجارية مع المغنى أنعم عاشقين. يعطى كل واحد منهما الأخر ملح الحديث، بلا مخافة الحاسد.

ومعنى ذلك أن المغنى يرغب فى الزواج من الجارية، وأن الجارية توافق على الزواج، والعجيب أن كلا منهما قد أنشد شعرا فى حاله، والغـريب أيضـا أن الواثق لما سمع هذا الشعر، لبى رغبة المغنى والجارية، وزوجهما، مما يدل على قيمة الشعر عنده.

***

(١) العقد الفريد ٤/١٤٤
الملح: الحديث السهل الحسن الظريف، مفرده ملحة، الراصد: الرقيب، تعاطيا: أعطى كل منهما الأخر.

وروى أن محمــد بن حماد الشاعر كتب يعرض فى حاجة له، ببيتى شعر إلى الواثق الخليفة العباسي، يقول:

جذبت دواعى النفس عن طلب المنى    وقلت لها كفى عن الطلب المزرى

فإن أمير المؤمنين بكفــــــــه    مدار رحى بالرزق دائبة تجرى[1]

فوقع الخليفة الواثق تحت هذين البيتين:

جذبــك نفسك عن امتهانها بالمسألة دعانى إلى صونك بسعة فضلى عليك، فخذ ما طلبت هنيئا.

فقــد عرض الشاعر حاجته فى بيتين من الشعر، وأنشدهما الواثق، يقــول فيهما: منعت دواعى النفس عن طلب المنى، وقلت لها: كفى عــن الطــلب الذى يزرى بى وبك، فإن أمير المؤمنين يملك رحى، مدارها فى كفة، تجرى دائبة بالرزق، فعلام تطلبين المنى، وهذا أمير المؤمنين يعطى الرزق بغير طلب.

فمـــا كـــان مـــن الواثق إلا أن وقع بقوله للشاعر: جذبك نفسك عن امتهانها بالمسألة، كما ذكر الشاعر فى بيتيه، دعا الواثق إلى صونه، بسعة فضله عليه، فخذ ما طلبت هنيئا.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٤٩

دواعى: جمـــع داع، المـــزرى: من أزرى الرباعى، بمعنى حقير، الرحى: آلة طحن الحب، دواعى: هنا بمد الياء، والقياس أن تفتح للنصب، وذلك لضرورة الوزن، مدار: اسم مكان من دار، دائبة: دائمة، تجرى: أى تجرى بالرزق.

وذلــك دليــل على أن الواثق فهم هذا الشعر، وفهم غرض الشاعر، وأكــرم الشــاعر، ومــنحه ما طلب، رغبة فى هذا الشعر من ذلك الشــاعر، وذلك يدل على دقة فهم الواثق الشعر، وسخائه فى الإثابة على الشعر.

***

روى أن الخليفة الواثق قال:

لا بك السقم ولكن كان بى　　　وبنفسى وبأمــــى وأبـــــى

قيل لى إنك صدعت فمـــا　　　خالطت سمعى حتى دير بى[1]

يقــول الواثق: لا جعل السقم بك، ولكن جعل بى، وبنفسى، وبأمى، وأبى، وهــذه مبالغة من الواثق، فهو يفدى المخاطب بنفسه، أما أن يفدى المخاطب بأمه وأبيه، فهذا ما لا نرضاه.

ولعله يقصد أنه يفديه بأعز عزيز لديه، وهما الأم، والأب، على أنه تعــبير عــربى مشــهور، فهــذا ما نقبله على أنه أسلوب يدل على الإعــتزاز فقط، بصرف النظر عن مكانه الأم والأب، وإلا فلا يعلو عليها أحد غيرهما.

---

(١) العقد الفريد ٥/٢

السـقم: المــرض، صــدعت: بالبناء للمجهول، أى أصبت بالصداع، خالطت سمعى: وصلت إليه، دير بى: أى أصبت بالدوار من وقع الخبر.

أما البيت الثانى فيبين أن الواثق حين قيل له إن المخاطب صدع، قد وقــع هــذا الخبر عليه موقعا صعبا، حتى إنه قد أصيب بالدوار من جراء هذا الخبر.

وعــلى أية حال فهذا شعر من الواثق، يشرع فيه حالة طرأت عليه، أقل ما يقال فيه إن الواثق يستطيع قرض الشعر، وتلك درجة عالية، ومنزلة رفيعة فى تقدير الشعر من الخليفة الواثق.

وربمــا أراد الواثــق أن الســقم الذى ألم بالمخاطب، لم يكن يصيبه وحــده، وإنمــا تأثر به الواثق، وأبوه، وأمه، فهى مشاركة وجدانية للمخاطب، وذلك لا ضير فيه، ولا ضرر منه.

•••

نسب للخليفة الواثق قوله فى خادمه مهج:

| | |
|---|---|
| مهج يخطف المهج | بضنى الطرف الوعج |
| حسن القد مخطف | ذو دلال وذو غنــــج |
| ما لعين رأت محا | سنه عنه منعـــــــرج[1] |

---

(١) ديوان البحترى ٢٥٣٣/٤، أخبار البحترى ص ١٧٧، تاريخ الخلفاء ص ٣٤٢، أخبار الدول ٦٨/٢

المهــج: بضــم الميم وفتح الجيم، جمع مهجة، وهى من كل شئ خالصة، ودم القلب، والــروح، يخطف: يأخذ، الضنى: المرض أو الهزال الشديد، الطرف: العين، الدعج: اشتداد سواد سواد العين، وبياض بياضها، واتساعها، القد: القوام، بفتح القاف، والقامة، مخطــف: بصيغة اسم المفعول بمعنى رشيق، الدلال: التدلل، وهو حسن حديث المرأة ومزجها، أو التكسر والملاحة فى التجرؤ، أو التساهل فى المعاملة، النضج: بفتح الغين

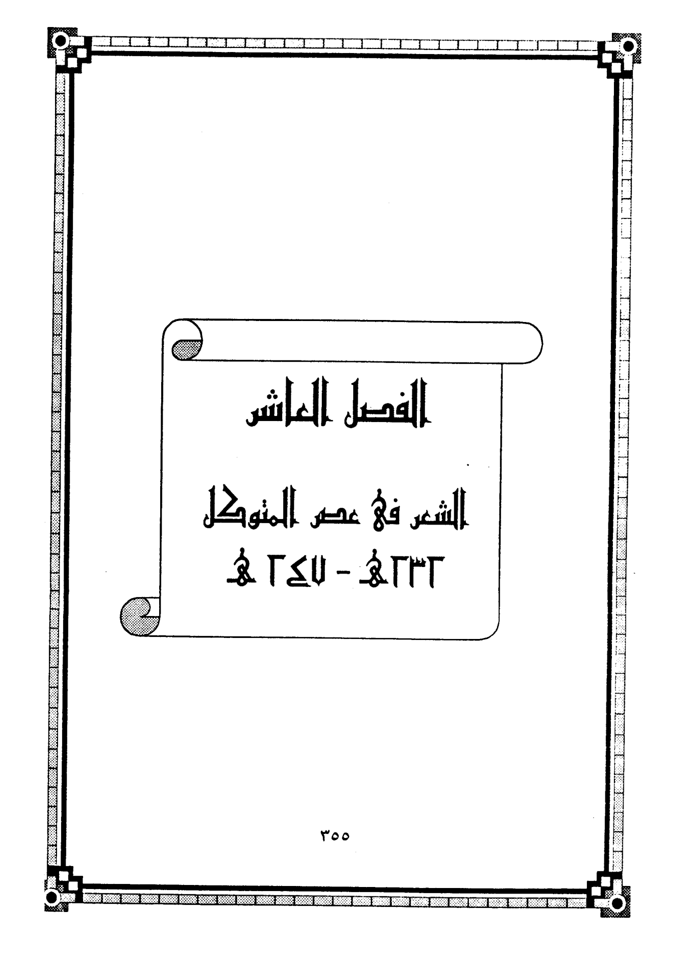
وهــذا شعر نسب للخليفة الواثق، وهو غزل فى خادمه، ونحن نربأ بالخليفة أن ينحدر إلى مثل هذا الشعر، إلا أننا سنغمض الطرف عن الغــرض الــذى لا يجب أن يكون، ونحسن الظن، ونقول: إنه شعر يصـــف فيـــه خادمه وصفا يدل على إعجابه به كشخص، أو إنسان، وربما كان ذلك الشعر لونا من التعجب من أن هذا الخادم فيه صفات الأحـــرار، أو يكـــون هذا الشعر لونا من ألوان الرغبة فى التعبير، واتخاذ أى موضوع لإظهار البراعة فى الشعر.

والشـــعر الـــذى روى منســـوبا إلى الخليفة الواثق، أو إلى البحترى يصـــف فيه الخادم، واسمه مهج بأنه يخطف القلوب، وقد عبر عنها بالمهيج لتجانس اسم الخادم، ويخطفها بضنى القلب وعذابه، والدعج، وحسن القوام، والدلال، والغنج، فالعين لا تنبو عنه، وإنما تتعلق به.

وعــلى أية حال فهو شعر منسوب للخليفة الواثق، وذلك يمثل اتجاها كـــان موجـــودا فى العصر العباسى، وظهر فى شعر غير واحد من شعراء هذا العصر.

---

والنون، منعرج: بصيغة اسم المكان، أى وجهة يعرج إليها، ويروى: ليس للعين إذا بدا عنه باللحظ منعرج.


الفصل العاشر
الشعر في عصر المتوكل
٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ

المـــتوكل، ٢٣٢هـــ - ٢٤٧ هــ، هو الخليفة العاشر من خلفاء بنى العباس، وهو أبو الفضل جعفر المتوكل بن الخليفة المعتصم الخليفة الثامن، وأخو الخليفة الواثق، الخليفة التاسع، ووالد الخليفة المنتصر، الخـــليفة الحـــادى عشر، ووالد الخليفة المعتز، الخليفة الثالث عشر، ووالد الخليفة المعتمد، الخليفة الخامس عشر، بويع لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة، وقتل لثلاث خلون من شـــوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فكانت خلافته أربع عشرة سنة، وتســـعة أشهر، وتسعة أيام، ووزر له محمد بن عبد الملك الزيات، وعـــبدالله بـــن يحيى بن خاقان، وكان خليفته على القضاء يحيى بن أكثم[1].

***

روى أن المـــازنى سئل بحضرة المتوكل عن قوله تعالى: وما كانت أمك بغيا، فقيل: كيف حذفت التاء، وبقى فعيل، وفعيل إذا كان بمعنى فاعل لحقته التاء نحو فتى، بتشديد الياء، وفتية.

فقال المازنى: إن بغيا ليست بفعيل، وإنما هى مفعول، بمعنى فاعلة، لأن الأصـــل فيهـــا بغـــوى، بضم الغين، ومن أصول التصريف إذا اجتمعت الواو والياء، والسابق منهما ساكن، قلبت الواو ياء، وأدغمت

---

(١) العقد الفريد ٣/٣٠٤

اليـــاء فى الياء، كما قالوا: شويت شيا، وكويت الدابة كيا، فعلى هذه القضية بغى، ووجب حذف التاء منها، لأنها بمعنى باغية، كما تحذف من صبور، بمعنى صابرة[1].

وهكـذا كان مجلس المتوكل، مجلس علم، ولغة، ونحو، وأدب، فلا عجب إذا وجدناه يهتم بالشعر العربى اهتماما عظيما.

***

روى أن المـــتوكل كان له خادم يسمى شفيعا، كتب على عاتق قبائه الأيمن:

بدر على غصن نضير شرق الترائب بالعبير

وعلى عاتقه الأيسر:

خطت صفيحة وجهه فى صفحة القمر المنير[2]

وهذه الرواية تدل على مبلغ قيمة الشعر فى عصر المتوكل، حتى إن الخدم يكتبون على الأقبية شعرا، فهذا شفيع خادم المتوكل كتب على عـــاتق قبائه الأيسر بيتا من الشعر، يصف فيه نفسه، بأنه بدر على غصن نضير، شرقت ترائبه بعبير العطور.

---

(١) الأدب العربى وتاريخه ٢/٣٠٥-٣٠٦

(٢) العقد الفريد ٤/٣٨٦-٣٨٧

نضـــير: ناضـــر، الـــترائب: جمع تربية، وهى عظام الصدر، العبير: الشذا والرائحة العطـــر، الشرق: غص، أو شجى، خطت: كتبت، صفيحة: صفحة، أو ديباجة، صفحة القمر: وجهه.

وكـــتب عــلى عاتق قبائه الأيسر بيتا أخر، يصف فيه نفسه بأنه قد خطت صفيحة وجهه فى صفحة القمر المنير، وكأنه قمر، أو وجهه قمر، أو هو جزء من القمر.

وذلك دليل على قيمة الشعر، ومنزلته في عصر المتوكل.

***

روى أن المتوكل أمر الحسين بن الضحاك أن يقول شعرا فى شفيع خادم المتوكل، وكان قد حيا المتوكل بوردة، وهو يلبس ثيابا موردة، فقال: الحسين بن الضحاك:

| | |
|---|---|
| فيا وردة بيضاء حيا بأحمر | من الورد يمشى فى قراطق كالورد |
| ويغمز كفى عند كل تحيـــة | وكفله تستدعى الشجر إلى الـــورد |
| سقانى بكفيه وعينيه شربـــة | فأذكرنى ما قد نسيت من العهـــــد |
| سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة | من الدهر إلا من حبيب على وعــد[1] |

فأمر المتوكل له بجائزة ثمينة.

وهــذه الـــرواية تبين أن المتوكل كان سمر مجلسه الشعر، فقد أمر الحســين بن الضحاك الشاعر أن ينشد شعرا فى خادم المتوكل الذى

---

(١) العقد انفريد ٣٧١/٤

القـــرطق: بفـــتح القاف والطاء، وسكون الراء، ملبوس يشبه القباء، وهو من ملابس العجـــم، الشجى: الحزين، ياوردة بيضاء: تصوير للخادم، حيا: قدم التحية، يغمز: يبين بالغمز، تستدعى: تطلب، شربة: اسم مرة من شرب، فأذكرني: ذكرني، العهد: يقصد عهـد الصبا والشباب، سقى الله دهرا: دعاء للدهر بالسقيا على عادة العرب إذا أحبت مكانا أو زمانا دعت له بالسقيا، من حبيب على وعد: أى على وعد من حبيب.

حيـــا المـــتوكل بـــوردة، ويلبس فى الوقت نفسه ثيابا موردة، فأنشد الحسين بن الضحاك شعرا، وصف فيه الخادم بأنه وردة بيضاء حيا بوردة حمراء، ويلبس قراطق موردة، ويغمز كفه عند التحية، وكفاه تســتدعى الحــزين إلى الورد، أى إلى الخادم، أو الملبس، أو الورد المقدم تحية إلى المتوكل، ويقول سقانى بكفيه، وعينيه شربة فأذكرنى العهد القديم الذى نسيته، ويدعو لعهد شبابه بالسقيا، على عادة العرب فى الدعـــاء لـــلمكان، أو للزمان بالسقيا، هذا العهد الذى لم يبت فيه الشاعر ليلة إلا على وعد من حبيب.

وهى أبيات فيها وصف، وغزل، تنشد فى مجلس الخليفة بلا حرج، مما يدل على قيمة الشعر فى عهد المتوكل.

•••

وقد رويت هذه الأبيات كما يلى:

وكالوردة البيضاء حيا بأحمر    من الورد يسعى فى قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحيـــــة    بكفيه يستدعى الخلى إلى الوجــــد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربـــة    تذكرنى ما قد نسيت من العهـــد
سقى الله عيشا لم أنم فيه ليلة    من الدهر إلا من حبيب على وعد(١)

(١) زهر الأداب وثمر الألباب ٢/٢٣٤-٢٣٥
أحمـــر: أى ورد أحمـــر، قـــراطق: جمع قرطق، ملبس يشبه القباء، وهو من ملابس العجـــم، وهـــو بفتح القاف والطاء، وسكون الراء فى المفرد، عبثات: جمع عبثة من العبث، الخلى: الخالى القلب، الوجد: الحزن، شربة: اسم مرة، أسقى: بالبناء للمجهول.

ثـم دفـع الحسـين بن الضحاك الرقعة إلى شفيع، وقال ادفعها إلى مولاك، فلما قرأها استملحها، وقال المتوكل: لو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك، ولكن بحياتي ياشفيع إلا كنت ساقيه بقية يومه، وأمر المتوكل للحسين بمال كثير، حمل معه، لما انصرف.

***

وكـان يزيد المهلبي حاضرا، فصار إلى الحسين، بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام فقال للحسين: ويحك، أتدرى ما صنعت؟

قال الحسين: لا أدع عادتي بشئ، وقد قلت بعدك:

لا رأى عطفة الأحبـــ ـــة من لا يصرح
أصفر الساقين أشـــ ـــكل عندى وأملـح
لو تراه كالظبى يسـ ـنح طـورا ويبرح
خلت غصنا على كثيـ ـب بنـور يوشح[٢]

وهذه الأبيات وصف للساقي، وهو وصف نربأ بالحسين بن الضحاك عن قوله، فهو غزل بالمذكر، لكننا على أيه حال سوف نحسن الظن، ونقـول: إنه إعجاب بمنظر الخادم الذى هو فى مثل منظر الأحرار، ومن هو يستحق أن يكون من خدم الخليفة المتوكل.

---

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٣٥
عطفة: اسم مرة من عطف، أشكل: أكثر موافقة، أملح: أحسن، يسنح ويبرح: أى يمر عـلى اليميـن واليسار، أو تكون فيه العيافة بالتفاؤل والتشاؤم، خلت: ظننت، كثيب: مجتمع الرمل، نور: زهر، يوشح: يرصع، أو يكون كالوشاح.

هــذه الرواية تدل على إعجاب المتوكل بشعر الحسين بن الضحاك، حتى إنه قال: لو كان شفيع مما تجوز هبته لو هبته لك، ولكن بحياتى يا شفيع إلا كنت ساقيه بقية يومه، وأمر المتوكل للحسين بمال كثير، حمل معه لما انصرف.

أما بقية الرواية فقد استقصى الحسين بن الضحاك شعره الذى أنشده فى الخــادم، يقول فيه: من لا يصرح بالحب فلا رأى عطفة الأحبة، ويصـــف شفيعا بالملاحة، والملاعمة، ويشبهه بالظبى السانح البارح، وبالغصن على الكثيب، وعليه نور كالوشاح.

***

روى أن المــتوكل قــال لعــلى بن الجهم: دخلت إلى قبيحة، وهى جاريــته، وقد كتبت على خدها بالمسك اسمى، فوالله ما رأيت سوادا فى بياض أحسن منه فى ذلك الخد، فقل فيه شعرا.

وكانت مظلومة خلف الستارة، فقالت:

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفــرا بنفسى خط المسك من حيث أثرا

لئن أودعت سطرا من المسك خدها لقد أودعت قلبى من الحب أسطرا

فيا من لمملوك تملك مالـــــكا     مطيعا له فيما أسر وأظهـــــــرا

ويا من مناها فى السرائر جعفـــر     سقى الله من صوب الغمامة جعفرا[(١)]

وأفحم على بنى الجهم، فلم ينطق، فضحك الخليفة المتوكل.

وهذه الرواية تدل على عناية الخليفة المتوكل بالشعر، فقد حكى موقفا حدث له مع جاريته قبيحة، فقد كتبت على خدها بالمسك اسم الخليفة المتوكل، فقال المتوكل فوالله ما رأيت سوادا فى بياض أحسن منه فى ذلـــك الخـــد، وأمر المتوكل على بن الجهم الشاعر أن يقول فى هذا الموقف شعرا.

لكن قبيحة جارية المتوكل كانت تقف خلف الستارة، فأنشدت شعرا، قالت فيه عن نفسها: وكاتبة بالمسك فى خدها جعفرا المتوكل، الخليفة العباســـى أفدى بنفسى خط المسك من حيث أثر فى الخد، أى بنفسى هذا الخد، لئن كتبت سطرا من المسك على خدها، فقد أودعت القلب أســـطرا من الحب، ثم تقول: من لمملوك، وهى الجارية تملك مالكا، وهـــو الخليفة، مطيعا له فى السر والعلن، ويا من مناها فى السرائر جعفـــر الخليفة، وهى الجارية، ثم تدعو للخليفة: سقى الله جعفرا من مطر الغمامة.

---

(١) العقد الفريد ٣٧٢/٤

بنفســـى: أى أفديها بنفسى، جعفر: هو الخليفة المتوكل، مملوك: عبد، أو رقيق، مالك: ســـيد، تقصد الخليفة، وتقصد بالمملوك قبيحة، السرائر: جمع سريره، وهى السر الذى يكتم، مناها: منيتها، صوب: المطر، الغمامة: السحابة، كاتبة: هى الجارية قبيحة، خط المسك: أثره، أودعت: تركت وديعة، أظهر: أعلن،

والعجيـــب أن يأمر الخليفة الشاعر على بن الجهم يقول الشعر، مع تحديـــد الموضـــوع له، والأغرب أن تنشد الجارية الشعر، بدلا من الشاعر، وأن تعبر تعبيرا سهلا سلسا على هذا النحو الذى رأيناه فى هذا الشعر، وكأنها شاعرة ذات قدم راسخة فى هذا الفن.

والأعجب أن الشعر فيه غزل واضح، وجرأة عالية من الجارية على الخليفة.

وفى الـــنهاية فـــإن الشاعر بعد ما سمع هذا الشعر أفحم، ولم ينطق، وأن الخليفة ضحك لذلك.

وهكـــذا كـــان الشعر فى بلاط المتوكل، تنشده الجوارى، والشعراء والخليفة، ويسمعه الخليفة، ويثيب عليه.

•••

روى أن الخـــليفة المتوكل العباسى لما خرج إلى دمشق، ركب يوما يتنزه فى رصافة هشام بن عبدالملك، فدخل إلى دير هناك قديم، بناه الروم بين مزارع وأنهار.

فبيـــنما هو يدور فيه بصر برقعة ملصقة، فأمر أن تقلع، فقلعت، فإذا فيها مكتوب:

أيا منزلا بالدير أصبح خاليـــا تلاعب فيه شمأل ودبـــــور

كأنك لم يسكنك بيض أو أنس ولم تتبختر فى فنائك حـــور

وأبناء أملاك عباشم ســـــادة صغيرهم عند الأنـــام كبـــير

إذا لبسوا أدراعهم فعوابس　　وإن لبسوا تيجانهم فبدور
ليالى هشام فى الرصافة قاطن　　وفيك ابنه يا دير وهو أمير
إذ العيش غض والخلافة لدنة　　وأنت طرير والزمان غرير
وروضك مرتاض ونورك نير　　وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب غمامة　　عليك لها بعد الولى بكور
تذكرت قومى خاليا فبكيتهم　　بشجو ومثلى بالبكاء جدير
وعذبت نفسى وهى نفس لها إذا　　جرى ذكر قومى أنة وزفير
لعل زمانا دان يوما عليهم　　لهم بالذى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس　　ويطلق من ضيق الزمان أسير(١)

---

(١) الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٢٥٣
تلاعب: أى تتلاعب، وحذف حرف المضارع، وهو جائز، وقد ورد فى الشعر، شمال: ريح تهب من ناحية القطب، الدبور: الريح التى تقابل الصبا، بيض: جمع بيضاء، أوانس: جمع أنسة، وهى المرأة التى يؤنس بحديثها، أو الفتاة الطيبة النفس، المحبوب قربها وحديثها، حور: جمع حوراء، من الحور، وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها، والحوراء: بينة الحور، أملاك: جمع ملك، عباشم: جمع عبشم، أى منسوب إلى عبد شمس، أدرع: جمع درع، عوابس: جمع عابس، وهو المقطب الجبين، تيجان: جمع تاج، بدور: جمع بدر، هشام: هو ابن عبدالملك، الخليفة الأموى، الرصافة: يقصد رصافة هشام بن عبدالملك بالشام، وهى قنسرين، وفيها توفى هشام، وبويع الوليد بن يزيد بن عبدالملك بعد هشام، قاطن: ساكن مقيم، غض: طرى، والمقصود الخلافة نعيمها باق، لدنة: غضة يقصد طيب الخلافة، طرير: ذو ناصية، يقصد أيام القوة، أو الشباب، أو طرير: بمعنى ظاهر ناتئ، غرير: صغير، أو غير مجرب. يقصد أول الزمان، أو الزمان يغر، أى يخدع، مرتاض: يرتاضه الناس، عيش نضير: أى حسن، صوب: نزول المطر، أو المطر نفسه، بكور: تبكير، شجو: حزن، أنه: تألم، أو آهة، دان عليهم: ظلمهم، الدير: مكان للعبادة، تتبختر: تختال، الفناء: ساحة الدار، سادة: جمع سيد، الأنام: الخلق، الرصافة: فى دمشق، روض: بستان، نير كثير النور، الغيث: المطر، خاليا: خالى البال، بكيتهم: بكيت من أجلهم، الزفير: النفس الحار، تهوى: ترغب، بائس: حزين أو شقى، يطلق: بالبناء للمجهول.

فـــلما قرأها المتوكل ارتاع لها، وتطير، ثم دعا بصاحب الدير، وقال له: من كتب هذه الرقعة؟

قال: لا أدرى والله، وأنا منذ نزل أمير المؤمنين هذا المنزل لا أملك من أمره شيئا، يدخله الجند وغيرهم.

فكـــلم أصحاب المتوكل، الخليفة المتوكل إلى أن سكن غيظه، ثم بان بعـــد ذلـــك أن الذى كتب هذه الأبيات رجل من ولد روح بن زنباع الجذامى، كانت أمه من موالى هشام بن عبدالملك، الخليفة الأموى.

•••

والشاهد أن هذا الشعر وجد مكتوبا على رقعة ملصقة، وكأنها ذكرى لمجد كان لبنى أمية، سجل فى هذا الشعر.

وقـــد اهـــتم المتوكل بهذه الرقعة، فأمر أن تقلع، ولما وجد فيها هذا الشعر، وقرأها المتوكل ارتاع لها، وتطير، حتى سأل صاحب الدير عـــن كاتب هذه الرقعة، وكلمه أصحابه إلى أن سكن غيظه، ثم تبين بعد ذلك أن الذى كتب هذه الأبيات أحد أتباع الأمويين.

أما الشعر المكتوب، فهو شعر يناجى هذا المنزل بالدير الذى أصبح خاليـــا، تتلاعب فيه الرياح وكأنه لم يسكنه قبلا البيض الأوانس، ولم تتبخـــتر فى أفنيته الحور، ولم يأت إليه الأملاك السادة من بنى أمية، الذيـــن كـــان صـــغارهم كبارا عند الناس، وكانوا إذا لبسوا الدروع عوابـــس، وإذا لبسوا التيجان فهم بدور، ويتذكر ليالى كان هشام بنى

عبدالملك بن مروان قاطنا فى الرصافة، وابنه الذى كان أميرا وكان فى الديــر، وقت أن كان العيش غضا، والخلافة هانئة، والدير يقف شـــامخا، والزمان فى أوله بالسعادة، وروض الدير مرتاض، ونوره نير، وحياة بنى مروان سعيدة، ويدعو للدير بالسقيا، ثم يتذكر قومه، ويــبكيهم بنفسه التى لها أنه وزفير عند ذكر قومه، ويرجو أن يعود الـــزمان إلى ســـابق عهده، فيدور لبنى أمية بالسعد، ليفرح الحزين، وينعم البائس، ويطلق الأسير.

وهى أبيـــات تنكأ جراحا لبنى أمية، فلابد أن يكون أثرها سيئا على الخـــليفة المتوكل العباسى، لذا ضاق بها، وتطير منها، ولو أنه وجد قائلها لعاقبه أشد العقاب، نظرا لأن الشعر هنا شعر سياسى يقف فى صـــف الأمويـــن، وذلـــك ما لا يروق للعباسيين والمتوكل الخليفة العباسى.

وهكذا كان أثر الشعر على الخليفة المتوكل.

***

روى أنه أنشد على بن الجهم جعفرا المتوكل الخليفة العباسى شعره، الذى أوله:

هى النفس ما حملتها تتحمل

وكان فى يد المتوكل جوهرتان، فأعطاه التى فى يمينه.

فأطرق على بن الجهم متفكرا فى شئ يقوله، ليأخذ التى فى يساره.

فقال المتوكل: مالك متفكرا؟ إنما تفكر فيما تأخذ به الأخرى، خذها لا بورك لك فيها.

فأنشأ على بن الجهم يقول:

بسرمن را إمام عــدل ... تغرف من بحره البحار
يرجى ويخشى لكل أمر ... كأنه جنة ونـــــــــار
الملك فيه وفى بنيــــه ... ما اختلف الليل والنهار
يداه فى الجود ضرتان ... عليه كلتاهما تغــــــار
لم تأت منه اليمين شيئا ... إلا أتت مثله اليســـــار(١)

والشاهد أن الشاعر على بن الجهم حين أنشد الخليفة المتوكل قصيدة مـــدح، منحه المتوكل جوهرة مقابل القصيدة، ففكر الشاعر فى نيل الجوهـــرة الـــتى فى يساره، حيث إنه كان معه جوهرتان، فلما رأى الخـــليفة ذلـــك مـــنح الخليفة الشاعر الجوهرة الثانية، فأنشد الشاعر الخليفة قصيدة أخرى.

إن الشـــعر الـــذى أنشـــده على بن الجهم يمدح فيه المتوكل بالعدل، والجـــود، وأنه يرجى، ويخشى، فكأنه جنة ونار فى الرجاء والخشية من الناس، وإن الملك فيه وفى بنيه إلى الأبد، وإن يديه تتنافسان فى

---

(١) العقد الفريد ٣٧١/١

ســـرمن را: مدينة سميت سرمن رأى بناها المتوكل، وأسكن فيها الأتراك، ما اختلف الـــليل والنهار: ما تعاقبا، الضرة: هى الزوجة الثانية، الإمام: الخليفة المتوكل، بحره: بحر كرمه، يرجى ويخشى: بالبناء للمجهول، تأتى: تفعل، تغرف: تنال بكثرة.

الجود، كأنهما ضرتان فى الجود، كلتاهما تغار من الأخرى فيه، فما تـأتى اليمين جودا إلا وأتت مثله اليسار، وهى صفة تسعد العربى، وخاصة من هو على شاكلة الخليفة المتوكل، وذلك دلالة على فهمه الشعر، ومعرفة قيمته وتقدير الشعراء.

***

روى أن المـتوكل أرسـل رسالة إلى أهل حمص، الخارجين عليه، وهى رسـالة من الرسائل التى أغنت عن الجيوش، كتبها إبراهيم بن العباس الصولى على لسان المتوكل، ضمنها بيت شعر، هو:

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه[1]

وذلـك دليل على أن الشعر له دوره، وقيمته، عند الخليفة، حتى إن رسالته إلى أهل حمص ضمنها بيتا من الشعر.

إن هذا البيت من قبيل التهديد والوعيد، فهو يقول: أمرى معكم أناة، وتمهـل، ورويـة، ورزانـة، فإن لم تغن معكم عقب بعدها الوعيد، والـتهديد، فـإن لـم يغـن أغـنت العزائم القوية للخليفة بحربكم، وإخضاعكم لحكمه، ولكم أن تتخيروا واحدة منها.

***

(١) الأناة: الحلم، تغنى: تفيد، عقب: أعقب، وأتى عقبها، وعيد: تهديد بالشر، العزائم: جمع عزيمة، وهى الهمة العظيمة، أو ما نواه من الحرب.

روى أن الخليفة المتوكل كان جالسا يوما، ومعه الفتح بن خاقان، والبحترى الشاعر، وبين يديه غلام حسن الوجه، يقال له: راح، فقال المتوكل: يا بحترى، قل فى راح بيت شعر، ولا تصرح باسمه.

فقال البحترى:

جاز بالود فتى أمـــــ ... سى رهينا بك مـــدنف

اسم من أهواه فـــــى ... شعرى مقلوب مصحف[1]

والشاهد أن المتوكل أمر البحترى أن يقول فى راح بيت شعر، بغير أن يصرح باسمه، وانصاع البحترى للأمر، وأنشد بيتين.

فى البيت الأول يصف ما حدث: مر بالود فتى أمسى متعلقا بك، مريضا بهواك.

وفى البيت الثانى كشف عن اسمه بطريق الأحجبة، فهو جاز، لكنه مقلوب مصحف، إذ إن اسمه راح.

وذلك دليل على قيمة الشعر فى حديث الخلفاء.

***

روى أن الخليفة المتوكل أمر البحترى الشاعر أن يهجو على بن يحيى المنجم، بأبيات، ليس مثلها يضر، ولكنه ذكر صورته.

---

(1) ديوان البحترى ٤/٢٦١٠، تاريخ بغداد ٣/٤٤٩
جاز: مر، رهينا بك، محبوسا عليك، مدنف: الذى ثقل عليه المرض، مقلوب: معكوس، مصحف: التصحيف: تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد، وقد صحف البحترى اسم راح، بأن قلبه إلى حار، ثم صحفه بالتنقيط، فجعله: جاز.

فقال البحترى:

كل أخـــلاق على نجتويها ونذمـــه
هو قرد حين يبدو غير أنا لا نكمه
مقلتاه وحجاجـــا ه وشدقاه وخطمه[1]

فضحك المتوكل حتى استلقى، وبلغ ذلك على بن يحيى المنجم، فعاب هذا على البحترى، لما حدث بينهما من التباعد.

والشـــاهد أن المـــتوكل هـــو الذى أمر البحترى أن يهجو ابن يحيى المنجم، فهو يريد المسامرة، والمساجلة، والتفكه بالأدب والشعر.

وكـــان الشـــعر الـــذى هجا به البحترى ابن يحيى من قبيل الفكاهة، والتملح، والتظرف، وكان ذلك فى مجلس الخليفة المتوكل.

***

روى أن قـــبيحة أقـــامت بقصـــر للمتوكل عاتبة عليه، فأمر الخليفة المـــتوكل البحـــترى الشاعر أن يعمل شعرا على لسانه إلى قبيحة، ورســـم له ما يريد، فكتب البحترى هذه الأبيات، فلما قرأت الأبيات عادت إلى أمرها، ووصل المتوكل البحترى.

وهذه الأبيات هى:

---

(١) ديوان البحترى ٤/٢١٠٦، الموازنة ٢/٢٦٠
نجـــتويها: نكـــرهها ونتجنبها، كمه: شد فمه بالكمام، الحجاج: العظم الذى ينبت عليه الحـــاجب، الخطـــم: الأنف، الشدق: بفتح الشين وكسرها، جانب الفم، وجمع المفتوح: شدوق، وجمع المكسور: أشداق.

تعاللت عن وصل المعنى بك الصب  وآثرت بعد الدار منا على القرب
وحملتنى ذنب الفراق وإنه  لذنبك إن أنصفت فى الحكم لا ذنبى
والله ما اخترت السلو على الهوى  ولا حلت عما تعهدين من الحب
ولا ازداد إلا جدة وتمكنا  محلك من نفسى وحظك من قلبى
فلا تجمعى هجرا وعتبا فلم أجد  جليدا على هجر الأحبة والعتب(١)

والشاهد أن الخليفة المتوكل عتبت عليه جاريته التى صارت زوجا له، فنهض المتوكل إلى الشعر، لعله يستعطف به قلب قبيحة، ورسم للبحترى ما يريد.

وقد كتب البحترى بعض الأبيات، ومنحها المتوكل، ليرسلها إلى قبيحة، فلما قرأت الأبيات عادت إلى سابق عهدها مع الخليفة المتوكل ووصل البحترى الشاعر على هذه الأبيات:

وهذه الأبيات يقول فيها: تعاللت بالعلل الواهية عن وصلى، وأنا معنى بك صب، وآثرت البعد على القرب، وحملتنى ذنب الفراق، وهو ذنبك أنت عند الإنصاف فى الحكم، ثم يقسم لها أنه ما اختار السلو على الهوى، ولا حال عما تعهد من الحب، وأن محلك من

---

(١) ديوان البحترى ١/١٢٩

قبيحة: زوجة المتوكل، وأم ولده المعتز، رومية كانت فائقة الجمال، فسميت قبيحة من أسماء الأضداد، وكانت جارية المتوكل، تعاللت: أدعيت علة، المعنى: المعذب، الصب: المحب حبا شديدا، آثرت: فضلت، السلو: النسيان، حلت: تحولت، جدة: تجددا، تمكنا: رسوخا، وثباتا، محلك: مكانتك ومنزلتك، حظك: نصيبك، هجرا: بعدا، عتبا: عتابا، جليدا: متجلدا صابرا.

نفسى، وحظك من قلبى لا يزدادان إلا تجددا وتمكنا، فلا تجمعى أنت علـى هجـرا، وعـتابا، فلا يوجد من هو متجلد على هجر الأحبة والعتاب.

والغريب هذا العتاب والاستعطاف بين المتوكل وجاريته، أو زوجته، والشـعر الـذى قيـل، وقيمـة الشعر عند الجارية، والخليفة، وفى المراسلة بينهما، واستدعاء البحترى لقول مثل هذا الشعر.

***

روى أن البحـترى أنشـد الخـليفة المـتوكل قصيدة، وأبو العنبس الصيمرى حاضر، فلما فرغ من الإنشاد، قام أبو العنبس، وقد غمزه المـتوكل أن يولع به، فهجاه، فولى البحترى لما سمع ذلك مغضبا، فضـحك المـتوكل لذلـك، وأمـر لأبى العنبس بالصلة التى أعدت للبحترى.

ولما شكا البحترى ذلك قائلا: ضاع العلم، وهلك الأدب، لصديق له، قال له: الملوك تمزح بأكثر من هذا، ومضى البحترى إلى الفتح بن خاقان، فشكا إليه ذلك، فقال له نحوا من هذا القول، وعوضه[1].

***

(١) ديوان البحترى ١٩٩٢/٣، أخبار البحترى ص ٨٧، الأوراق ص ٣٢٥

وروى أن المبرد قال: ووردت سرمن رأى، فأدخلت على المتوكل، وبيــن يدى المتوكل البحترى الشاعر، فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المــتوكل، وفى المجــلس أبــو العنبس الصيمرى، فأنشد البحترى قصيدته.

فــلما انتهى مشى القهقرى للإنصراف، فوثب أبو العنبس، فقال: يا أمير المؤمنين، تأمر برده، فقد والله عارضته فى قصيدته هذه.

فأمر برده، فأخذ أبو العنبس ينشد شيئا، ووصل ذلك بالشتم، فضحك المتوكل، حتى استلقى على قفاه، وفحص برجله اليسرى، وقال: يدفع إلى أبى العنبس عشرة آلاف درهم.

فقال الفتح بن خاقان: يا سيدى، البحترى الذى هجى، وأسمع المكروه ينصرف خاليا.

قال المتوكل: ويدفع إلى البحترى عشرة آلاف درهم.

قـــال الفتح: يا سيدى، وهذا البصرى الذى أشخصناه من بلده، يقصد المبرد، لا يشركهم فيما حصلوه؟

قال المتوكل: ويدفع إليه عشرة آلاف درهم.

فانصرفنا كلنا فى شفاعة الهزل، ولم ينفع البحترى جده واجتهاده.

والقصيدة التى أنشدها البحترى هى:

عن أى ثغر تبتسـم ... وبأى طرف تحتكـم
حسن يضن بحسنـه ... والحسن أشبـه بالكلم
قل للخليفة جعفر الـ ... متوكل بـن المعتصم
للمرتضى ابن المجتبى ... والمنعم ابـن المنتقم
أما الرعية فهى مـن ... أمنات عدلك فى حرم
يا بانى المجـد الذى ... قد كان قوض فانهدم
اسلم لدين محمـد ... فإذا سلمت فقـد سلم
نلنا الهدى بعـد العمى ... بك والغنى بعد العدم(١).

أما أبيات الصيمرى فهى:

من أى سلح تلتقـم ... وبأى كف تلتطـم
أدخلت رأسك فى الحرم ... وعلمت أنك منهزم(٢)

وجعـل يصيح خلف البحترى بالشطر الأخير لأن البحترى ولى لما سمع ذلك مغضبا.

---

(١) مـروج الذهب ٤٢/٤، ديوان البحترى ١٩٩٣/٣، الأغانى ١٧٣/١٨، طبقات الـنحويين واللغويين ص ١١١، معجم الأدباء ١٢/١٨، إنباه الرواة ٢٤٤/٣، تجريد الأغـانى ٢١٧٤/٢، مخـتار الأغـانى ٢٢٢/٨، الوافى بالوفيات ١٩٣/٣، شرح المقامات ٣٨/١.
ثغر: فم، طرف: عين، المجتبى: المختار المصطفى، فى حرم: فى أمان، قوض: هدم.
(٢) ديوان البحترى ١٩٩٣/٣
السلح: الروث، تلتقم: من اللقم، وهو تناول الطعام، تلتطم: تلطم على الوجه.

والقصيدة التى أنشدها البحترى الشاعر المتوكل الخليفة مدح للخليفة المرتضـــى ابن المصطفى المختار، المنعم ابن المنتقم، والرعية فى أمـــان مـــن عدلـــك، وأنه بانى المجد الذى كان قد هدم، ويدعو له بالسلامة لدين الإسلام، لأنه إذا سلم الخليفة فقد سلم الإسلام، ويقول: نلنا الهدى بك بعد العمى، والغنى بعد العدم.

أمـــا هجـــاء الصـــيمرى البحترى فهو هجاء لا يخلو من السخرية، والتهكم، وإرادة إضحاك الخليفة عليه، وقد نجح فى ذلك أيما نجاح.

***

وحـــدث البحترى قال: كنت أمدح المتوكل مقوما لفظى، غير مرسل نفســـى، فقـــال لى الفـــتح، وكان والله ما علمت قوى الأدب، حسن المعـــرفة، بالشـــعر: ليس بك حاجة فى مدح أمير المؤمنين إلى مثل هـــذا، لين كلامك حتى يفهم، فإنه يلذ ما يفهم، فعلمت أنه نصحنى، فمدحته بأشعارى التى منها:

لى حبيب قد لج فى الهجر جدا وأعاد الصدود منه وأبدا[1]

ومنها:

لم لا ترق لذل عبدك وخضوعه فتفى بوعدك[2]

ومنها:

---

(١) ديوان البحترى ٢/٢٧١١، الصناعتين ص ٦٣، الموازنة ٢/٣٥٤

(٢) ديوان البحترى ٢/٧٠٥، أخبار البحترى ص ٨٧

عن أى تغر تبتسم          وبأى طرف تحتكم[١]

فحظيت عنده، وقربت من قلبه، وتوفرت على صلاته، وذلك يدل على أن المتوكل استحسن هذه القصيدة فيما استحسن من شعر البحترى.

قال عبدالقادر الجرجانى: لا يمكن ادعاء أن جميع شعر البحترى فى قلة الحاجة إلى الفكر، والغنى عن فضل النظر، كقوله:

فؤادك منك ملآن          وسرى فيك إعلان[٢]

وقوله:

عن أى تغر تبتسم          وبأى طرف تحتكم

وهل ثقل على المتوكل قصائده الجياد حتى قل نشاطه لها، واعتناؤه بها إلا لأنه لم يفهم معانيها، كما فهم معانى النوع النازل الذى انحط إليه[٣].

وذلك يدل على أن البحترى بشعره القوى الجزل كان يفهمه جيدا، ويعيه الخليفة المتوكل، لأنه قد تربى على الشعر القديم، واللغة، على

(١) أخبار البحترى ص ٦٨، ديوان البحترى ٣/١٩٩٣

(٢) ديوان البحترى ٤/٢٢٤٣، الأمانى ١/٢٢٥، قطب السرور ٢/٢٤٢ظ، من غاب عنه المطرب ص ٩٩، نهاية الأرب ٤/١٣٠، ديوان المعانى ١/٢٦٢، الوساطة ص ٣٦٣، سمط اللآلى ٢/٦٣٥، التبيان ٤/٥٦، السفينة ٢/٦٠ظ، الواحدى ص ١٣٤.

(٣) ديوان البحترى ٣/١٩٩٤، أسرار البلاغة ص ١٢٤

يـــد المؤدبيـــن مـــن عـــلماء الـــلغة، ورواة الأشعار، ونقدة الأدب وصيارفته.

•••

روى أن البحترى قال: أول ما مدحت به الفتح بن خاقان[1].

هب الدار ردت رجع ما أنت قائله    وأبدى الجواب الربع عما تسائله

فأنشدته إياها، بعد ما أقمت شهرا لا أصل إلى إنشاده، وهو مع ذلك يجـــرى عـــلى ويصـــلنى، ثم جلس جلوسا عاما، وحضرت وحدى، فرأيته يبتسم عند كل بيت جيد، فعلمت أنه يعرف الشعر، وكان ذلك أعجب إلى من جميع ما وصلنى به، وكان أول ما اهتز له حين بلغت إلى قولى:

وقد قلت للمعلى إلى المجد طرفه    دع المجد فالفتح بن خاقان شاغله[2]

وإلى قولى:

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله    ورقت كما رق النسيم شمائله[3]

فلما فرغت سره ما سمع، وأمر لى بخمسة آلاف درهم، وقال: أمير المؤمنين يخرج لصلاة الفطر، ويخطب، فاعمل شعرا تنشده إياه إذا

---

(١) أخبار البحترى ص ٨٣-٨٤، ديوان البحترى ٢/٩٩١، ٣/١٦٠٦

(٢) ديوان البحترى ٣/١٦٠٨، الموازنة ٢/٢٩٤، ديوان المعانى ١/٧١

(٣) الصـــناعتين ص ٢٩٨، زهر الآداب ١/٦٨، الذخيرة ١/٣٢٥، معجم الأدباء ٦٣/١٧

الخلال: الخصال، واحدتها خلة، الشمائل: الطباع، واحدتها شمال.

رجـــع، فـــلما جـــاء الفطر، وركب، ورجع، أوصلنى إليه بعد أيام، فدخلت، فأنشدته المتوكل:

أبر على الأنواء نائلك الغمر    وبنت بفخر ما يشاكله فخر[1]

فلما بلغت إلى قولى:

بهرت قلوب السامعين بخطبة    هى الزهر المبثوث واللؤلؤ النثر[2]

قـــال المتوكل للفتح: هذا شاعرك؟ فجعل يصفنى له، فأمر لى بعشرة آلاف درهـــم، فأخذتها من وقتى، وخصصت بالفتح، حتى كنت أشفع إليه فى الناس، ثم صيرنى بعد ذلك من جلساء المتوكل.

والشـــاهد أن البحترى وصل إلى إعجاب الفتح بن خاقان، ليصل بعد ذلك إلى إعجاب المتوكل، وهو هدفه الأسمى.

وقـــد أعجب المتوكل بشعر البحترى، حتى جعل يصفق له، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

***

دخل البحترى على المتوكل، فأنشده قصيدته فيه، وهى:

أيها الشيخ المعنى بالطرب

---

(١) أبر عليه: فاقه وغلبه، نائلك: عطاؤك، يشاكله: يماثله.
(٢) أخبار البحترى ص ٨٤
بهرت: اصبت بهرا، المبثوث: المنثور، النثر: المفرق.

فأمـــر له بعشرين ألف درهم، ورمى إليه بعدة من تماثيل كانت فى يده، من ند، وفار مسك، فقال:

لئن كان هذا طيبا وهو طيب       لقد طيبته من يديك الأنامل[1]

وعـــنى الفـــتح بـــن خاقان بالبحترى، فأعطاه مالا كثيرا، وكان مع البحترى أحمد بن أبى فنن، وهو شاعر قد أفرغ شعره فى مدح الفتح بن خاقان.

وتـــلك الرواية تدل على ما بلغه البحترى الشاعر بشعره من منزلة، ومكانة عالية عند الخليفة المتوكل.

وقد مدح البحترى، المتوكل، فأمر له بعشرين ألف درهم. ومجموعة مـــن الهدايا القيمة، فلما قبضها البحترى أنشد بيتا أخر، معناه أنه إذا كان هذا الند والمسك طيبا، وهو بالفعل طيب، فقد طيبته أناملك التى هى أكثر طيبا من الطيب نفسه، وذلك ردا لما فعله المتوكل معه، من المنح.

وهكذا كان الشاعر، والشعر فى دولة بنى العباس فى عصر المتوكل.

***

---

(١) ديوان البحترى ٥/٢٦٩٨، أخبار البحترى ص ٩٣، الحيوان ٧/٢١٠
فـــار المسك: قال الجاحظ: والناس يجدون ريح المسك فى بيوتهم فى بعض الأحايين، وهى ريح قارة، يقال لها قارة المسك، المعنى: المعذب، هذا: اشارة إلى الند والمسك، طيب: ذو رائحة طيبة، الأنامل: جمع أنملة وهى طرف الإصبع.

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء، وهى أحسن من القمر، فقال لها ما اسمك؟

فقالت الجارية: برهان.

قال المتوكل ولمن هذا الماء؟

قالت الجارية: لستى قبيحة.

قال المتوكل: فصبيه فى حلقى، فشرب على آخره، ثم قال للبحترى: قل فى هذا شيئا.

فقال البحترى:

ما شربة من رحيق كأسها ذهب    جاءت بها الحور من جنات رضوان
يوما بأطيب من ماء بلا عطش    شربته عبثا من كف برهـــان[1]

والشـاهد هنا أن المتوكل قد أعد الموضوع، وحدده للبحترى، وأمر البحترى أن ينشد شعرا فى الموضوع الذى حدده، وقد أنشد البحترى فعلا الشعر على البديهة والإرتجال فى بيتين من الشعر.

إن الشـــعر الذى أنشده البحترى قد عبر به عن الواقعة التى حدثت، وقـد وصـف المـاء الذى شربه المتوكل عبثا، بلا عطش من كف

(١) ديوان البحترى ٦٨١/٥، الأغانى ٤٣/٢١، تجريد الأغانى ٢١٧١/٢، مختار الأغانى ٣١٨/٨

قبيحة: هى زوجة المتوكل، وأم ولده المعتز، سميت بالضد لفرط جمالها، الرحيق: الخمر، وضرب من الطيب، الحور: جمع حوراء، رضوان: خازن الجنة، العبث: العمل لا حكمة فيه ولا فائدة، برهان: اسم الجارية.

جاريته أفضل من خمر كأسها ذهب جاءت به الحور العين من جنات رضوان، فهذا الماء الذى شربه المتوكل أفضل.

وقد بالغ البحترى فى هذين البيتين، لأن ماء الجنة لا يعلوه ماء أخر، لكـنها مـبالغة الشعراء، وذلك الشعر، وتلك المبالغة مما يروق فى أعين الخلفاء، من مثل الخليفة المتوكل.

***

روى أن محمـد بن عبدالملك الزيات كتب إلى الخليفة المتوكل، لما أحس بالموت، وهو فى حبس المتوكل، رقعة إلى المتوكل فيها:

هى السبيل فمن يوم إلى يـوم كأنه ما تريك العين فى النوم
لا تعجلن رويدا إنمـا دول دنيا تنقل من قوم إلى قـوم
إن المنايا وإن أصبحت ذا فرج تحوم حولك حوما أيما حـوم[1]

فلما وصلت إلى المتوكل، وقرأها أمر بإطلاقه فوجدوه ميتا.

والشـاهد هـنا أن محمـد بن عبدالملك الزيات، حين كان فى حبس المتوكل، وأحس بالموت، هرع إلى الشعر، فكتب ثلاثة أبيات، يسكب فيها الحكمة، لعل المتوكل يأمر بإطلاقه، وقد كان، فقد تأثر المتوكل

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٤١
هى السـبيل: يقصد المنية، السبيل: الطريق الذى يسير فيه أو إليه كل الناس، ما تريك العين فى النوم: المنام، أو الرؤيا، رويدا: بمعنى تمهل، تنقل: أى تنتقل، وحذف حرف المضارعة، تحوم: تطوف، حوما: مصدر حام يحوم، أيما حوم: مبالغة، فرج: مخرج، ويسر.

بالشـــعر، فأمـــر بـــإطلاق محمد بن عبدالملك الزيات، لكن القدر لم يمهله، فقد وجد ميتا.

وهــذه الأبيات نفثة مصدور أحس بالموت، لذا يقول: إن المنية هى الطريق لكل حى، يسير فيه لا محالة، فمن يوم إلى يوم يسير الناس إلى المـــنايا، وكـــأن هــذا الطريق رؤيا، أو منام، فلا تعجلن، وإنما تمهـــل، والدنيا دول تنتقل من قوم إلى قوم، وإن المنايا تحوم حولك، وإن كنت ذا فرج، فسوف تهجم عليك.

وهذه المعانى هى ما قاله محمد بن عبدالملك الزيات فى آخر حياته، وهى حكـــم رائعة حقيقية جاءت فى ظل تجربة فريدة، شديدة الوقع عـــلى النفس، فلا عجب أن يتأثر بها الخليفة المتوكل أيما تأثر، لأنه ذواقة للشعر.

***

روى أن عـــلى بن الجهم كان عند الخليفة المتوكل، حين دخل عليه رسول برأس إسحاق بن إسماعيل.

فقام على بن الجهم بين يدى المتوكل، وأنشد:

أهلا وسهلا بك من رسول

جئت بما يشفى من الغليل

برأس إسحاق بن إسماعيل[1]

فقال المتوكل: قوموا التقطوا هذا الجوهر، لا يضيع.

والشـــاهد أن المـــتوكل قد سمع إنشاد على بن الجهم الشاعر، وهى فـــرحة وســـعادة للمـــتوكل، وأكمـــلها، أو عبر عنها على بن الجهم بالشـــعر، فـــأعجب المتوكل، وسر، وأمر جلساءه بالتقاط الجوهر، إعجابا، وسعادة.

أما الشعر الذى أنشده على بن الجهم، فهو يرحب فيه بالرسول الذى جاء برأس إسحاق، وأنه جاء بما يشفى الغليل، مما يدل على أنه من أنصار المتوكل، والعباسيين.

***

روى أن أبـــا العـــباس المبرد دخل على المتوكل، الخليفة العباسى، واخـــتار له الفتح بن خاقان وقتا، فسأله المتوكل، وقال: يا بصرى، أرأيت أحسن وجها منى؟

قال المبرد: لا، والله ولا أسمح راحة، ثم تجاسر فقال:

(١) العقد الفريد، المكتبة التجارية ١/٢٢٤

أهلا وسهلا: حللت أهلا، ونزلت سهلا، وهو تعبير يدل على التحية، الغليل: الغيظ.

جهرت بحلفة لا أتقيهـــا　　بشك فى اليمين ولا ارتيـــاب
بأنك أحسن الخلفاء وجهـــا　　وأسمح راحتين ولا أحابـــى
وأن مطيعك الأعلى محلا　　ومن عاصاك يهوى فى تباب(١)

فقال الخليفة المتوكل: أحسنت، وأجملت فى حسن طبعك، وبديهتك.

فقـــال المبرد: ما ظننتنى أبلغ هذا الشرف، ولا أنال هذه المرتبة، فلا يـــزال أمير المؤمنين يسمو بخدمه إلى أعلى المراتب، ويصرفهم فى المذاهب.

والشـــاهد أن المـــبرد أنشـــد ثلاثـــة أبيات فى مدح المتوكل، بدأها بالمجاهرة بالحلف حلفة، لا يتقيها بالشك، ولا الارتياب، بأن الخليفة المـــتوكل أحسن الخلفاء وجها، وأسمح وأجود راحة، والشاعر يقول ذلك، لا يحابى الخليفة، ويقول إن من أطاع الخليفة يحل أعلى محل، ومن عصاه يسقط فى الهلاك.

وهـــذه الأبيات من المبرد صادفت موقعها، فقال له الخليفة أحسنت، وأجملت، فى حسن طبعك، وبديهتك.

وقـــد رد المبرد على الخليفة ردا جميلا بليغا متواضعا فى أدب جم، يلائم خطاب الخلفاء، ومسامرتهم.

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٦١
حـــلفة: اسم مرة من الحلف، لا أتقيها: لا أخشاها، أسمح: أكرم، راحتين: مثنى راحة، وهى بـــاطن اليد، أحابى: أسامح، محلا: منزلة، عاصاك: أى عصاك، يهوى: يسقط، تباب: هلاك، وخسران.

•••

كـــان الخـــليفة المتوكل قد عقد لولده: المنتصر، والمعتز، والمؤيد، ولاية العهد، ثم تغير على المنتصر، وكان يسميه المنتظر، ويقول له: أنت تتمنى موتى، وتنتظر وقتى، ويأمر الندماء أن يعبثوا به، إلى أن أوغر صدره، وأقل صبره، فاستعان بالأتراك على قتل أبيه المتوكل، وبويع المنتصر من ساعته.

فرثاه البحترى بمرثية من أجود ما قيل فى معناها، وكان حاضرا ليلة قـــتل المـــتوكل، هو والشاعر يزيد المهلبى، فاختفى أحدهما فى طى الباب، والأخر فى قناة الشاذروان[١].

فرثاه البحترى بقصيدة مطلعها:

محل على القاطول أخلق داثرة وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره[٢]

وقـــد أجمع المؤرخون على أن المنتصر كان شريكا فى التآمر على قـــتل أبيـــه، لأن الوزيـــر عبيد الله بن خاقان، والفتح بن خاقان كانا يوغـــران قلب المتوكل على ابنه المنتصر، ويرغبانه فى عزله من

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٦١-٢٦٢

(٢) ديوان البحترى ٢/١٠٤٥

محـــل على القاطول: قصر المتوكل، والقاطول: نهر كأنه مقطوع من دجلة، كان فى موضع سامرا، قبل أن تعمر، أخلق: بلى، داثرة: الذى درس، وبلى، وامحى، تغاوره: تحاربـــه، أخلق داثرة، قيل: أنه مما أنكر على البحترى، فيقال: دثر مخلقه، ولا يقال: أخـــلق داثرة، لأن الداثر لا بقية له، فتخلق، أو يستجد، صروف: جمع صرف، وهى حوادثه ونوازله.

ولايــة العهـد، ليكــون الأمــر للمعــتز، وكان المتوكل قد استمع لمشــورتهما، بــأن يقوم المعتز فى يوم جمعة بالصلاة بالناس، وفى الجمعــة التالية حسنا له أن يصلى هو بالناس، فاستمال المنتصر إليه قواد الأتراك، ودبروا معه مؤامرة.

وتــروى بعض المراجع أن البحترى كان حاضرا فى هذا المجلس واختــبأ، وقــد أظهر البحترى فى هذه القصيدة موقفه من المتوكل، والمنتصــر والمعتز، وأنبأ عن أمله، فى أن يلى الخلافة المعتز دون المنتصر[١].

وهى قصــيدة طويــلة، وكــان أبو العباس ثعلب يقول فيها ما قيلت هاشــمية أحسن منها، وقد صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب، عن تخوف العواقب[٢].

وفيها يقول:

---

(١) ديوان البحترى ٢/١٠٤٥
(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٦٢

ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه    وإذا ذعرت أطلاؤه وجـــآذره
وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت    على عجل استاره وستـــائره
تخفى له مغتاله تحت غــــرة    وأولى لمن يغتاله لو يجاهـــره
ولا نصر المعتز من كان يرتجـــى    له وعزيز القوم من عز ناصـــره
تعرض ريب الدهر من دون فتحه    وغيب عنه فى خراسان طاهـــره
ولو لعبيد الله عون عليهـــــم    لضاقت على وراد أمر مصـــادره
أدافع عنه باليدين ولم يكـــن    ليثنى الأعادى أعزل الليل حاسره
ولو كان سيفى ساعة القتل فى يدى    درى القاتل العجلان كيف أساوره
حرام على الراح بعدك أو أرى    دما بدم يجرى على الأرض مائره
وهل أرتجى أن يطلب الدم واتر    يد الدهر والموتور بالـــــدم واتره
أكان ولى العه أضمر غــدره    فمن عجب أن ولى العهد غادره
فلا على الباقى تراث الذى مضى    ولا حملت ذاك الدعــــاء منابره
ولا وأل المشكوك فيه ولا نجا    من السيف ناضى السيف غدرا وشاهره
وإنى لأرجو أن ترد أمـــوركم    إلى خلف من شخصه لا يغـــادره
مقلب أراء تخـــــــاف أناته    إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره(١)

---

(١) ديوان البحترى ٢/١٠٤٥-١٠٤٩
وحش القصر: صور نساء القصر بالبقر الوحشى، وهى مما تشبه به النساء، كما يرى بعض شراح القصيدة، أو ان الشاعر يشير إلى قصر المتوكل الذى فى حديقة الحيوان الـتى انشـأها المـتوكل خـارج مدينة سر من رأى، أو القصر الذى أنشئ فى حير الحيوانـات عملا بعادة الفرس القدماء فى وصل حير الوحوش بالقصر الملكى، ريع: بالبـناء لـلمجهول،: فـزع، سـرب: قطيع أو جماعة، بكسر السين، ذعرت: بالبناء

وتلك القصيدة تدل على أن البحترى كان ينهل من عطاء الخليفة المتوكل، حتى صار محبا له، وفيا وقت غدر ابنه المنتصر به.

ولم يهب البحترى صولة المنتصر، وإنما أنشد هذه القصيدة بعد قتل المتوكل، وولاية المنتصر، وذلك دليل على أن للشعر مواقف غاية فى القوة، وكذلك الشعراء أيضا.

---

للمجهول، الأطلاء: جمع الطلا، وهو الظبى، الجاذر: جمع الجؤذر، وهو ولد البقر الوحشى، تشبه المرأة فى جمال العينين، صيح، فهتكت: بالبناء للمجهول، أستار: جمع ستر، وستائر: جمع ستارة، مغتاله: وهو التركى الذى قتل المتوكل، غرة: بكسر الغين، الغفلة، المعتز: يقصد قصة المعتز بن المتوكل، أى أن حزب المعتز لم يجد من يناصره أمام المتآمرين لمصلحة أخيه المنتصر، يرتجى: بالبناء للمجهول، فتحه: يقصد الفتح بن خاقان، غيب: بالبناء للمجهول، طاهرة: يقصد الأمير طاهر بن عبدالله بن طاهر، وكان يميل إلى المعتز، عبيد الله، هو الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكل، وراد: جمع وارد، مصادره: جمع مصدر، وقد أراده مثلا، من ورود الماء، والصدور عنه، الأعزل: من ليس معه سلاح، حاسر: يقصد حسر السلاح، أى خلعه، المساورة: المواثبة، الراح: الخمر، المائر: الجارى، الواتر: الظالم، الموتور: من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، والشاعر يعجب كيف يطالب بدم هذا القتيل، إذا كان الذى يجب أن يثأر له، وهو ابنه، هو المحرض على قتله، وقد أوضح سخطه على المنتصر، أى وهل يرتجى أن يطلب الدم طالب مدى الدهر، ولى العهد: يقصد المنتصر، ولى العهد بالبناء للمجهول، ملى: بضم الميم، وتشديد اللام المكسورة، بالبناء للمجهول، متع، تراث: ميراث، الباقى: المنتصر، الذى مضى: المتوكل، وأل: طلب النجاة، المشكوك فيه: أى القاتل، أو المنتصر، ناضى السيف: شاهره، أو مخرجه من الغمد، خلف من شخصه: يقصد المعتز، العجلان: المتسرع، الأناة: التمهل والترفق، والحلم والوقار، الأخرق: الأحمق الذى لم يرفق فى عمله، البوادر: جمع البادرة، وهى الحدة، أو ما يبدر من الإنسان عند حدته من الخطأ.



# الفصل الحادي عشر

## الشعر في الفترة الثانية
## من العصر العباسي الأول
## ٢٤٧هـ - ٢٨٩هـ



هــذه الفــترة ولى فيها بعض الخلفاء كانوا أيضا من محبى الأدب، ومشــجعى الشــعر والشعراء، وكان لهم ذوقهم الأدبى والفنى، ولم يكونـــوا أقل من سابقيهم، سوى أنهم كانوا أضعف منهم، وقد وصف المؤرخون هذه الفترة بأنها فترة الخلفاء الضعاف من العصر العباسى الأول، على عكس الفترة الأولى، وهى فترة الخلفاء الأقوياء.

وقد ولى فى هذه الفترة من الخلفاء ستة خلفاء، هم:

***

- المنتصــر، ٢٤٧ - ٢٤٨ هــ، وهو أبوجعفر محمد المنتصر بن المــتوكل، بويع لأربع خلون من شوال، سنة سبع وأربعين ومائتين، وتوفـــى لأربـــع خلـــون من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وأربعين ومائتيـــن، فكانـــت خلافـــته ســـنة، وستة أشهر، ووزر له أحمد بن الخصيب، وحاجبه وصيف، ثم بغا.

- المســتعين، ٢٤٨ - ٢٥٨ هــ، هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصـــم، بويـــع لأربـــع خلـــون من شهر ربيع الآخر، سنة ثمان وخمســـين ومائتين، وكانت خلافته ثلاث سنين، وتسعة أشهر، وقتل بعد خلعه نفسه بتسعة أشهر، وأمه أم ولد يقال لها مخارق، ووزر له أحمد بن الخصيب، ونكبه.

***

- المعـــتز، ٢٥٢ - ٢٥٥ هـــ، وهو أبو عبدالله محمد المعتز بن المتوكل، وأخو المنتصر، ولى لأربع خلون من المحرم، سنة اثنتين وخمســين ومائتين، وقتل لليلة خلت من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتيــن، وكانت خلافته منذ بويع له، واجتمعت الكلمة عليه ثلاث ســنين، وستة أشهر، وثلاثة وعشرين يوما، ومنذ بايعه أهل سر من رأى إلــى أن قــتل أربــع سنين، وستة أشهر، وخمسة عشر يوما، وكانت الفتنة قبل ذلك بينه وبين المستعين سنة.

***

- المهــتدى، ٢٥٥ - ٢٥٦ هـــ، هو أبو عبدالله محمد بن الواثق، بويع لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل لأربع عشــرة لــيلة بقيــت من رجب، سنة ست وخمسين ومائتين، فكانت خلافته أحد عشر شهرا، وأربعة عشر يوما.

***

- المعــتمد، ٢٥٦ - ٢٧٩ هـــ، هــو أبوالعباس أحمد المعتمد بن المتوكل، وأخو الخليفة المنتصر، والخليفة المعتز، بويع للية بقيت من رجــب، سنة ست وخمسين ومائتين، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، سنة تسع وسبعين ومائتين، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة، ووزر له عبيدالله يحيى بن خاقان، وسليمان بن وهب، والحسن بن مخلد، وصاعد بن مخلد، وأبو الصقر إسماعيل بن بلبل.

***

- المعتضـــد، ٢٧٧ - ٢٨٩ هـــ، هو أبو العباس أحمد بن الموفق، بويـــع فى رجب، سنة سبع وسبعين ومائتين، وتوفى لسبع بقين من شـــهر ربـــيع الآخر، سنة تسع وثمانين ومائتين، فكانت خلافته تسع ســـنين، وتسعة أشهر، وأربعة أيام، ووزر له عبدالله بن سليمان بن وهب، ثم ابنه القاسم بن عبيدالله[1].

***

قـــال أبوإســـحاق الحصـــرى: قد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة وهدم لآخرين أبنية منيفة، وتمثل بالشعر فى قوله:

وما هو إلا القول يسرى فتغتدى له غرر فى أوجهٍ ومواسم[2]

فالشـــعر يمـــثل منزلة عالية، ومكانة رفيعة فى إعلاء مكانة أقوام، وخفض مكانة آخرين.

وهذا ما فهمه خلفاء بنى العباس، فالشعر هو الصحيفة اليومية، التى تـــتردد بيـــن الناس، وتنتسر شيم بنى العباس، وسماتهم، وأخلاقهم، وتؤيد دولتهم، وسلطانهم.

***

[1]- العقد الفريد ٣/٣٠٤-٣٠٧.
[2]- زهر الآداب وثمر الألباب ١/٥٨.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى: سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل يقول: إنما الشعر كالميسم.

فقـال الـرجل: كيف يكون ذلك كذلك، والميسم يذهب بذهاب الجلد، ويـدرس مع طول العهد، والشعر يبقى على الأبناء، بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء.

وقـال عمر رضى الله عنه: تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تتقى[1].

وهاتـان الروايـتان تدلان على مكانة الشعر فى العصر القديم حتى العصر العباسى.

وهذا ما فطن إليه خلفاء بنى العباس، فاستجادوا الشعر، واستنشدوه، وأنشـدوه، وقرضوه، وربوا أولادهم عليه، وأتوا بكبار علماء اللغة، ورواة الأشعار، ونقدة الشعر ليثقفوا أولادهم، ويعلموهم لغة قومهم، ولغـة قـرآنهم، وأدب العـرب، فنمـت ملكاتهم على حب الشعر، وقرضه، ونقده، وتمييز جيده من رديئه، وحبب ذلك إليهم أن يمدحوا بالشعر.

***

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ٥٨/١.

وقال أبوتمام:

| | |
|---|---|
| إن القوافي والمساعي لم تزل | مثل النظام إذا أصاب فريداً |
| هي جوهر نثر فإن ألفته | في الشعر كان قلائداً وعقودا |
| من أجل ذلك كانت العرب الألى | يدعون هذا سؤددا مجدودا |
| وتند عندهم العلا إلا إذا | جعلت لها مرر القصيد قيودا[1] |

ومعنى ذلك أن للشعر قدره، وللشعراء مكانتهم، وقد فهم ذلك بنو العباس جيدا، فكان احتفاؤهم بالشعر، وإثابتهم عليه، وتقديرهم إياه حق التقدير، فعلت دولة الشعر في عصر العباسيين.

وهذه هي مكانة الشعر في رأى أبى تمام، وأبو تمام شاعر من شعراء العصر العباسي الأول، لذا فهذا الرأى يمثل رأى شاعر من شعراء الدولة العباسية التي نحن بصدد تقدير قيمة الشعر، ومنزلة الشعراء فيها، لذا تعد هذه شهادة على قيمة الشعر عند أبى تمام، وفي القرن الثالث الهجري، وفي العصر العباسي الأول.

كذلك فهذا الشعر يبين قيمة الشعر عند العرب الأولين، ومنزلته بينهم، ومكانته عندهم، فكان للشعر بين العرب حتى هذا العصر الذي

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ١/٥٨-٥٩

تند: بفتح التاء، وكسر النون، وتشديد الدال، جعلت: بالبناء للمجهول، مرر: جمع مرة، بكسر الميم فيهما، وهي إحكام الفتل، وتند: تنفر وتشرد، قلائدا: نونت، وكان يجب منعها من الصرف، وذلك لضرورة الوزن الشعرى.

نحــن بصــدد محاولة فهمه مكانة لا تعلوها مكانة فن آخر من فنون القول.

***

وقال ابن الرومى:

أرى الشعر يحيى الناس والمجد بالذى ... تبقيه أرواح لـــه عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهـــد ... وما الناس إلا أعظم نخرات[1]

***

وهــذه هــى مكانة الشعر عند ابن الرومى، وهو من شعراء القرن الثالــث الهجــرى، والعصــر العباســى الأول، المبرزين المفلقين، المجيدين.

وقــد فهم للشعر هذه المكانة خلفاء بنى العباس، فسمت دولة الشعر عندهم، وعلت مكانة الشاعر أيضا عندهم، فلا عجب إن سمعنا هذه المكافــآت، والمــنح، والجوائز، والهبات، والصلات، والعطايا التى تنهال على شعراء العباسيين من خلفاء بنى العباس.

***

[1]- زهر الاداب وثمر الألباب ٥٩/١
تبقــيه: بضــم التاء، وفتح الباء، وكسر القاف المشددة، عطرات: بفتح العين، وكسر الراء، معاهد: جمع معهد، بمعنى منازل، أو أماكن معهودة، أعظم: بضم الظاء، جمع عظم، نخرات: باليات، بفتح النون وكسر الخاء.

- حدث البلاذرى[1] قال: كنت من جلساء المستعين بالله، وقد قصد الشعراء إليه، ليمدحوه.

فلما مثلوا بين يديه، قال لهم: لا أرضى إلا بمثل قول البحترى، فى الخليفة المتوكل:

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما ... فى وسعه لسعى إليك المنبر

فلما رجعت إلى بيتى صنعت هذين البيتين، ثم عدت إليه، فقلت: قد قلت فيك أحسن مما قال البحترى فى المتوكل.

قال المتوكل: هات، فأنشدته:

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته ... يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته ... نعم هذه أعطافه ومناكبه[2]

فهش لهما المستعين، وأعطانى سبعة آلاف دينار.

والشاهد أن البلاذرى الذى أنشد هذا الشعر كان من جلساء المستعين، وذلك له دلالة على مجلس المستعين، وجلسائه من الشعراء والأدباء.

- إن الشعراء قد قصدوا إلى المستعين، ليمدحوه، وذلك دلالة على دولة الشعر، ومنزلته عند الخليفة المستعين، وأن هذا أمر معتاد، فكل

---

[1]- مشتاق: محب، وسعه: طاقته، المنبر: مكان الخطابة، أو هو دلالة على الملك.

[2]- تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول، ص٢٧٦.
المناكب: جمع منكب، وهو عظم العضد والكتف، البرد: القباء، المصطفى: الرسول صلى الله عليه وسلم، الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب، والعطف، بكسر العين، وسكون الطاء، الجانب من لدن الرأس إلى الورك.

شاعر قد أنشد قصيدة إنما يذهب بها لمدح الخليفة، كما أن كل شاعر يهيئ نفسه لمثل هذا اليوم، وذلك إعلاء للشعر، وإثراء له.

- إن المستعين لما مثل الشعراء بين يديه، قال لهم: لا أرضى إلا بمثل قول البحترى فى الخليفة المتوكل، ومعنى ذلك أنه يريد نوعا معينا من الشعر يعلو فى معناه، ويرقى إلى مثل هذا الشعر الذى حدده، وتلك درجة عالية فى فهم الشعر.

- إن البلاذرى رجع إلى بيته، وصنع بيتين، وعاد إلى الخليفة المستعين، وقال له: قد قلت فيك أحسن مما قال البحترى فى المتوكل، وأنشده البيتين، فهش لهما المستعين، ومنحه سبعة آلاف دينار.

- الملاحظ أن بيت البحترى فى المتوكل فيه مبالغة خفف منها قوله: لو، فهو تمن.

أما بيتا البلاذرى فهما تزيد فى المبالغة، فهو يجعل من الخليفة المستعين مثيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك مالا نرضاه من المبالغة، فقد جعل برد النبى صلى الله عليه وسلم يظن أن المستعين هو النبى صلى الله عليه وسلم، ويقول: إن أعطاف المستعين، ومناكبه هى نفسها أعطاف الرسول صلى الله عليه وسلم ومناكبه.

***

روى أن المعتز أنشد فى قينة له:

فأمسيت فى ليلين للشعر والدجى وشمسين من كأس ووجه حبيب[1]

وهذا شعر أنشده الخليفة فى قينة له، وهو شعر فى الوصف، صور فيها تصويرا جميلا مصيبا، ولو أنه تصوير مادى، لكنه صادف معناه وموقعه، وتلك درجة عالية فى قرض الشعر من الخليفة المعتز العباسى، ولعل هذا المعنى تطرق إليه الشعراء أيضا.

***

روى البحترى: لما بنى الخليفة المعتز قصره الكامل، دخلت عليه، فأنشدته قصيدة فى مدحه، ووصف قصره الكامل، حتى أتيت على آخرها، ومنها:

| | |
|---|---|
| ليدم لنا المعتز إن بملكه | عز الهدى وخبا ضلال الباطل |
| مازال يكلأ ديننا ويحوطه | بالمشرفية والوشيج الذابل |
| تفديك أنفسنا وقلت فدية | لك من تصرف كل دهر غائل |
| ورأيت عبدالله فى السن التى | تعد الكثير بدهرها المتطاول |

[1]- العقد الفريد ٤/١٤٥.

ليلين وشمسين، على التصوير، الدجى: جمع دجية، بمعنى الظلام، يصور الشعر بأنه ليل فى ظلامه، وسواده مضافا إلى الليل الحقيقى، كما يصور الكأس ووجه الحبيب بالشمس، قال ابن الأعرابى: لا تسمى الكأس كأسا إلا وفيها الشراب.

| | |
|---|---|
| ولقد بلوت خلاله فوجدتـــــه | معطى خلال من لديك جلائل |
| يحكيك فى كرم الفعال خلائقا | بخلائق وشمائلا بشمـــــائل |
| قدمت فى عناية مشـــــكورة | كانت لديه ذرائعى ووســــائلى |
| وأرى ضمانك للوفاء ووعده | لا يرضيان سوى النجاح العاجل[1] |

فقـــال المعـــتز: يا وليد، ما أنشدتنى قط إلا أطربتنى، ولا رأيتك إلا سررت للملك ببقائك.

فقبلت الأرض، وقلت: عبدكم الذى أعتقتموه، وسائلكم الذى أغنيتموه.

والشاهد أن الشعر ينشده الشعراء للخلفاء، فى كل مناسبة، والمناسبة هنا بناء الخليفة المعتز قصره الكامل.

- إن المعـــتز ذواقة للشعر، لذا كان تعليقه على قصيدة البحترى: يا ولـــيد، مـــا أنشـــدتنى قط إلا أطربتنى، ولا رأيتك إلا سررت للملك ببقائك، وذلك دليل على إعجابه بقصيدة البحترى، وإعجابه بالبحترى

[1]- ديوان البحترى ٣/١٦٤٢-١٦٤٦، أخبار البحترى ص ١٠٦، الموازنة ٢/١٣٠.
الوشـــيج: شـــجر الرماح، وأصله عروق القنا، وسميت به لتداخل بعضها فى بعض، الذابـــل: الدقـــيق، المشـــرفية: السيوف نسبة إلى مشارف الشام، أو موضع فى اليمن، عـــبدالله هـــو ابـــن المعتز. ليدم: دعاء بالدوام، خبا: خمد وزال، يكلأ: يحفظ، يحوط: يحفـــظ، تفديـــك: تجعـــل فـــداء لـــك، غائل: اسم فاعل من غال بمعنى غدر وأهلك، المتطاول: الطويل بلوت: اختبرت، خلال: جمع خلة، وهى الخلق أو الطبيعة والسجية، جلائـــل: جمـــع جلـــيلة، بمعنى عظيمة القدر، يحكيك: يشبهك، الفعال: الفعل الحسن والكـــرم، خلائـــق: جمـــع خليقة، بمعنى الخلق، شمائل: جمع شمال، عناية: اهتمام، الذرائع: جمع ذريعة، بمعنى الوسيلة، الوسائل، جمع وسيلة، الذابل: يقصد الدقيق، قلت فدية: قل قدرها لعظم قدر الممدوح.

إعجابـــا، بلـــغ الغايـــة، وتلك إمارة على قيمة الشعر فى دولة بنى العباس.

***

روى الزبـــير بن بكار قال: دخلت على المعتز بالله أمير المؤمنين، فسلمت عليه.

فقال المعتز: يا أبا عبدالله، إنى قد قلت فى ليلتى هذه أبياتا، وقد أعيا على إجازة بعضها.

قال الزبير: أنشدنى.

فأنشده المعتز، وكان محموما، يقول:

إنى عرفت علاج القلب من وجـــع ... وما عرفت علاج الحب والجـــزع
جزعت للحب والحمى صبرت لها ... إنى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن حبه وجـــــع ... فليس يشغلنى عن حبكم وجعـــــى

قال الزبير: فقلت:

وما أمل حديثى ليلة أبـــــــدا ... مع الحبيب وياليت الحبيب معى[1]

فأمر المعتز للزبير على البيت ألف دينار.

---

[1]- العقد الفريد ٢٣/٤

وجع: مرض وألم، الجزع: قلة التصبر، الحمى: مرض، أمل: أصاب بالملالة والسأم، علاج القلب من مرض: يقصد المرض على الحقيقة، علاج الحب والجزع: يقصد مرض القلب بالحب، من صبرى ومن جزعى: يقصد الصبر على مرض الحمى، والجزع لمرض الحب، يشغله: يلهيه وينسيه.

والشـــاهد هـــنا أن الخليفة المعتز قد أنشد أبياتا من الشعر، وقد أعيا عليه إجازة بعضها، مما يدل على أنه لم يستوف المعنى الذى يريده، ولم يستقصه، ورغب فى ذلك.

- إن جليســـه كـــان مـــن الأدباء الشعراء، فلما دخل عليه، حكى له المعـــتز حكايـــة أبياته، ليجيزها، وقد أجازها فعلا، مما يدل على أن المعتز كان مشغولا بهذه الأبيات، ويريد استكمالها.

- إن الشـــعر الـــذى أنشـــده المعتز كان غزلا، تصرف فيه الزبير، وأكملـــه، ويا للعجب من غزل الخليفة الذى ينشده بغير تحرج، مما يدل على قيمة فن الشعر فى بلاط المعتز.

- أمـــا الجائـــزة التى نالها الزبير فقد بلغت مبلغا عظيما فى عطايا الخلفـــاء الشـــعراء، فقـــد كانت ألف دينار على البيت الواحد، وتلك المكافأة تدل على قيمة الشعر عند المعتز.

***

روى ابـــن رجاء الكاتب أن الخليفة المعتز أخذ منه جارية، فأخذت العـــود، فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح، ذكرت ما كانت فيه من أيامهما قبلا، وهى تقول:

| | |
|---|---|
| لا كان يوم الفراق يوما | لم يبق للمقلتين نومـــــا |
| شتت منى ومنك شمـــلا | فسر قوما وساء قومـــــا |
| يا قوم من لى بوجد قلب | يسومنى فى العذاب سوما |

ما لامني الناس فيـــه إلا          بكيت كيما أزاد لومـــــا[1]

فلما فرغت من صوتها رفع المعتز رأسه إليها، والدمع يجرى على خديها، فقصها عن الخبر، وحلف لها أن يبلغها أملها، فأعلمته القصة، فردها إلى ابن رجاء، وأحسن إليها، وألحقه في ندمائه وخاصته.

هـــذه الـــرواية تـــدل على أن الشعر والغناء قد يتخذان ذريعة عند الخلفاء، ليصل الشعراء إلى ما يريدون من وراء هذا الشعر، وذلك الغـــناء، فحين أخذ المعتز جارية ابن رجاء الكاتب، وكان ذلك على غـــير رغبـــتها، لجأت إلى الشعر تغنيه للخليفة المعتز، فغنت عليه صـــوتا حزينا، من قلب قريح، ذكرت فيه ما كانت من أيامها قبلا، ولمـــا فرغت منه، رآها المعتز تبكى، فقصها عن الخبر، وحلف لها أن يبلغها أملها، فأعلمته القصة، فردها إلى ابن رجاء، وأحسن إليها، وألحقه في ندمائه، وخاصته، وكان ذلك كله بسبب الشعر الذى غنته للخليفة المعتز.

– أمـــا الشعر الذى غنته الجارية، فهى تدعو فيه على يوم الفراق، حيـــث لـــم تـــنم فيه، فقد شتت منها ومن سيدها الشمل، وسر قوما، وســـاءها هـــى وسيدها، ثم تستبعد أن يساعدها أحد على شدة الحب

---

[1]- العقد الفريد ٤/٤١

المقلـــة: شحمة العين التى تجمع البياض والسواد، شتت: فرق، الشمل: الجمع، الوجد: شدة الحب، يسوم: يذيق، أزاد: بالبناء للمجهول، لا كان يوم الفراق يوما: جملة دعائية يدعـــو فيها على يوم الفراق، سر قوما: يقصد العازل، وساء قوما: تقصد نفسها وابن رجاء الكاتب سيدها.

الذى يذيقها العذاب، والذى يلومها فيه النّاس، وكلما لاموها ازدادت بكاء كى يزيدها الناس لوما.

وكان هذا الشعر كفيلا بأن يرجعها المعتز إلى سيدها، مما يدل على قيمة الشعر عند المعتز، وفهم الجارية ذلك، حتى اتخذت من الشعر ذريعة إلى ما تريد.

***

حدث عبدالله بن المعتز قال: كان المعتز قد أقطعنى إقطاعا، وجاورنى فى بعضه البحترى، فسألنى البحترى أن أهب له الضيعة التى تجاوره، فوعدته، فتحمل على بأبى، وعمل فى ذلك أشعارا منها قوله:

| | |
|---|---|
| يا واحد الخلفاء غير مدافـــع | كرما وأحسنهم ندى وصنيعا |
| أنت المطاع فإن سئلت رغيبة | ألفيت للراجى نداك مطيعـــا |
| إنى أريدك أن تكون ذريعـــة | فى حاجتى ووسيلة وشفيعـــا |
| ماسالها أحد سواى خليفـــــة | فى الناس مرئيا ولا مسموعا |
| لو لم أمت بها إليك بديعـــة | ما كنت فى كرم الفعال بديعا[1] |

فقال لى: يا عبدالله، اقض حاجة البحترى، فوهبت له الضيعة.

[1]- ديوان البحترى ١٣٠٩/٢، أخبار البحترى ص ١٠٥
واحد الخلفاء: واحدهم فى صفاته، وخلائقه، وكرمه، أى لا يبلغه أحد فى المنزلة، غير مدافع: غـــير مزاحم، الرغيبة: الأمر المرغوب فيه، والعطاء الكثير، الذريعة: الوسيلة، ماسالها: ما ســألها، خفف الهمزة فيها، الفعال: الفعل الحسن، والكرم، مت به إليه: وصل وتوسل، واحد الخلفاء: النادر الفريد فى نوعه، ندى: كرم، الصنيع: المعروف والفعل الحسن، الراجى: الذى يرجو نداه، حاجتى: مطلبى، شفيع: وسيلة، الندى: الكرم، الصنيع: حسن المعروف، الراجى نـــداك: الطالب كرمك، سئلت، ألفيت: بالبناء للمفعول، ما سالها أى ما سألها وسهلت الهمزة، الفعال: الفعال الطيبة.

وكان البحترى قد قال فى ذلك وفى مدح عبدالله بن المعتز:

| | |
|---|---|
| وجاور ربعى بالشأم رباعه | وليس الغنى إلا مجاورة البحـــر |
| ولى حاجة لم آل فيها وسيلة | إلى القمر الوضاح والسيد الغمر |
| شفعت إليه بالإمام وإنمـــــا | تشفعت بالشمس اقتضاء إلى البدر |
| فلم أر مشفوعا إليه وشافعـــا | يدانيهما فى منتهى المجد والفخر |
| فعال كريم الفعل مطلب الجدا | وقول مطاع القول متبع الأمـــر[1] |

والشـــاهد أن البحـــترى حين رغب أن يهب له ابن المعتز إقطاعا، توســـل بالشـــعر إلـــى المعتز أبيه، فمدحه بشعر، بين فيه أنه واحد الخلفاء فى الكرم، وأحسنهم حسن فعل، وهو المطاع، فإذا سئل أطاع ومنح، وأنه ذريعة الشاعر ووسيلته فى حاجته التى يرجوها من ابنه، وأن حاجة الشاعر ما سألها أحد قبله خليفة من الخلفاء، وأن الشاعر لو لم يمت إليه بها بديعة ما كان الخليفة بديعا فى كرم الفعال.

وقـــد اســـتجاب الخلـــيفة المعتز، وأمر ابنه عبدالله أن يقضى حاجة البحترى، فوهب عبدالله للبحترى الضيعة.

---

[1]- ديوان البحترى ١٠٠٧/٢، الموازنة ١٧٧/٢، حماسة ابن الشجرى ص ١٨٠، معجم البلدان ٣٧٥/٦.

يشير الشاعر إلى أن لابن المعتز ضياعا إلى جانب ضياعه هو بالشام، لم آل: لم أقصر ولم أبطـــئ، الغمـــر: الكريم الواسع الخلق، ربع: منزل، البحر: يقصد البحر فى الكرم، وسيلة: ذريعـــة، الوضاح: المنير، شفعت: توسلت، الإمام: المعتز، اقتضاء: قضاء المطلب، يدانى: يقارب، منتهى: غاية، مطلب: مطلوب، الجدا: الجدوى والعطاء، متبع: بصيغة اسم المفعول، شـــفعت إليه: أى إلى عبدالله بن المعتز، بالإمام: يقصد الخليفة المعتز، وابنه عبدالله، مشفوعا إليه: يقصد ابن المعتز، وشافعا: يقصد المعتز، متبع الأمر: مطاع أمره.

وكان البحترى قد توسل إلى ابن المعتز نفسه بشعر، أنشده فيه، يقول له: لقد جاور ربعى فى الشام رباعه، وليس الغنى إلا مجاورة البحر فـــى الكرم، وهو ابن المعتز، وبين أن له حاجة اتخذ فيها كل وسيلة إلى ابن المعتز القمر، الكريم، وأن الشاعر شفع إليه بالخليفة المعتز، فتشـــفع بالشمس اقتضاء إلى البدر وأن الشاعر لم ير مشفوعا إليه، وشـــافعا، يدانى ابن المعتز، والمعتز فى غاية المجد والفخر، فلهما فعال كريم الفعل مطلوب العطاء، وقول مطاع القول، متبع الأمر.

وقد استطاع البحترى بشعره أن ينال ما يريد، دلالة على قيمة الشعر عند المعتز، وابنه.

•••

حـــدث البحترى، وأبو معشر المنجم أنها ضاقا إضاقة شديدة، وكانا مصـــطحبين، فعن لهما أن يلقيا المعتز بالله، وهو محبوس، فيتوددا إليه، ويوصلا عنده وصلا، فتوسلا حتى لقياه فى حبسه.

قال البحترى: فأنشدته أبياتى التى قلتها فى محمد بن يوسف الثغرى، لما حبس، وخاطبت بها المعتز، كأنى عملتها فى الحال، وهى:

جعلت فداك الدهـــر ليس بمنفك — من الحادث المشكو والنازل المشكى
وما هذه الأيام إلا منـــــــــازل — فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك النائبات وإنمــــــا — صفا الذهب الإبريز قبـــلك بالسبك

على أنه قد ضيم فى حبسك الهدى — وأضحى بك الإسلام فى قبضة الشرك

أما فى نبى الله يوسف أســـوة — لمثلك محبوســا على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر فى السجن برهة — فآل به الصبر الجميـــل إلى الملك[1]

فـــأخذ المعتز الرقعة التى فيها الأبيات، فرفعها إلى خادم كان واقفا علـــى رأســـه، وقال: احفظها وغيبها، فإن فرج الله عز وجل عنى، فذكرنى بها، لأقضى حق هذا الرجل الحر.

وانصـــرفنا، وضرب الدهر ضربه، وصح الحكم بأمره، فدخلنا إلى المعتز بالله، وهو خليفة بعد المستعين.

قـــال البحترى: فتقدمت، وأنشدت المعتز قصيدة مدحته بها، وهنأته بالخلافة، وهجوت فيها المستعين، أولها:.

يجانبنا فى الحب من لا نجانبه — ويبعد منا فى الهوى من نقاربه

حتى انتهيت إلى قوله:

[1]- ديوان البحترى ١٥٦٣/٣، وفيات الأعيان ١٦٤/١، أخبار البحترى ص ٩٨، فـــوات الوفـــيات ٣٧٤/٢، الوافـــى بالوفيات ١٩٣/٢، جعلت فداك: دعاء له، النازل: يقصد ما نزل به، وهو السجن والحبس، رحب: واسع، ضنك: شدة وضيق، النائبات: جمـــع نائبة، وهى النازلة، والمصيبة، الإبريز: الخالص، السبك: تعرض المعدن للنار، ويقصـــد هنا الشدة، ضيم: ظلم، قبضة: جمع اليد، الإفك: الكذب، برهة: وقتا قصيرا، آل: انتهى.

فكيف رأيت الحق قر قراره		وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المغتر بالله إذ سرى		لينجز والمعتز بالله طالبه[1]

قال البحتري: فاستعاد مني هذه الأبيات مرارا، فأعدتها، ودعا بالخادم الذى كان معه فى الحبس، وطلب الرقعة التى كنت أنشدته الشعر الذى فيها فى حبسه، فأحضره إياها بعينها.

فقال المعتز: قد أمرت لك بكل بيت منها بألف دينار، وكانت ستة أبيات، فأعطيت ستة آلاف دينار.

ثم قال لي: كأني بك قد بادرت، فاشتريت منها غلاما، وفرسا، وجارية والتفت، وقال: لا تفعل، فإن لك فيما تستأنف معنا فى أيامنا، ومع وزرائنا، وأسبابنا، إذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك، ولكن افعل بهذا المال، كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذى وصل إليه من عبدالله بن جعفر، اشتر به ضيعة جليلة تنتفع بغلتها، ويبقى عليك، وعلى ولدك أصلها.

فقلت: السمع والطاعة، وخرجت، فاشتريت بالمال ضيعة جليلة.

والشاهد أن الأبيات الأولى التى أنشدها البحترى المعتز، وهو فى الحبس هى من قبيل مواساته فى مصيبته بالسجن، إذ يقول له: إن

---

[1]- الوساطة ص ٤٦، سر الفصاحة ص ١٨٨، الطراز ٣٦٦/٢، الطبرى ٣٥٣/٩، الموشح ص ٣٣٤، أخبار البحترى ص ١٠٤، ديوان البحترى ٢١٣/١-٢١٥.
يجانبنا: يبتعد عنا، قر: ثبت، آلت: انتهت، عواقب: جمع عاقبة، المغتر: الذى غر نفسه، سرى: سار ليلا، لينجز: يحقق

الدهــر لا يــنفك عن الحوادث والنوازل، وهذه الأيام منازل، منها الرحــب، ومــنها الضنك وإن النائبات قد هذبتك، كما يصفو الذهب الخــالص بالســبك، وإنه بحبسك قد ظلم الهدى، وصار الإسلام فى قبضـــة الشــرك، وإن فى نبى الله يوسف عليه السلام أسوة لك، فقد كــان محبوســا ظلما وإفكا، وصبر على الحبس، حتى نال بالصبر الملك.

أما فى الأبيات الثانية يذكر المعتز بأن الحق قد قر قراره، وأن الظلم قد أزيل، وأن المغتر بالله لم يكن لينجز ما يريد، والمعتز بالله يطلب ثأره منه، فانتصر المعتز.

– إن البحــترى وصــاحبه المنجم لما ضاقا لقيا المعتز فى حبسه، ليتوددا إليه، ويوصلا عنده، فتوسلا إليه، حتى لقياه، وأنشده البحترى شعره.

– إن المعتز قد احتفظ بالرقعة التى فيها شعر البحترى، وأمر الخادم أن يذكره بها، حين يصير إليه الأمر، ليقضى حق البحترى، ومعنى ذلك أنه يرغب فى إثابته، لكن ظروف حبسه تمنعه من ذلك، فليس لديه سوى أن يحتفظ بالرقعة ليثيب البحترى وقت ما يستطيع.

– إن المعتز حين صار إليه أمر الخلافة دخل عليه البحترى وأنشده شعره فيه، واستعاد من البحترى الشعر مرارا، وطلب الرقعة السابق ذكــرها، وأمــر للبحترى بكل بيت بألف دينار، فنال البحترى ستة

آلاف دينـــار، وقـــد نصـــحه المعتز بأن لا يشترى غلاما، وفرسا، وجاريـــة، ووعـــده بأنـــه سوف ينال فى مستأنف الأيام معه، ومع وزرائه، وأسبابه غناء عن ذلك، ثم نصحه بأن يشرى بها ضيعة له، ولولـــده، كما فعل عبيد الله بن قيس الرقيات، وقد اشترى البحترى ضيعة، كما نصحه المعتز.

إلى هذا الحد كانت منزلة الشاعر بشعره عند الخليفة المعتز.

***

روى أن عبدالله بن المعتز، كتب وهو معتقل، إلى أستاذه أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب، الذى كان فى رأى المبرد أعلم الكوفيين، كتب ابن المعتز إليه، يتشوقه:

ما وجد صار بالحبال موثق
بماء مزن بـــــارد مصفق
بالريح لم يكدر ولم يرنـــق
جادت به أخلاف دجن مطبق
بصخرة إن تر شمســا تبرق
ماد عليها كالزجـــاج الأزرق
صريح غيث خالص لم يمذق
إلا كوجدى بك لكن أتقـــى
يافاتحا لكل بــــاب مغلق

وصير فيا ناقـــدا للمنطق
إن قال هذا بهرج لـــم ينفق
إنا على البعـــــاد والتفرق
لنلتقى بالذكر إن لــــم نلتق[1]

***

فأجابــه ثعلب بقوله: أخذت، أطال الله بقاءك، أول هذه الأبيات مما أمليــته عليك من قول جميل بن عبدالله بن معمر العذرى، أو جميل بثينة:

| | |
|---|---|
| وما صاديات حمن يوما وليلة | على الماء يخشين العصى حوانى |
| كواعب لم يصدرن عنه لوجهة | ولا هن من يرد الحياض دوانــى |
| يرين حباب الماء والماء دونه | فهن لأصوات السقاة روانـــــى |

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢١٧-٢١٨
وجــد حزن، صاد: عطشان، موثق بصيغة اسم المفعول، مربوط، مزن: جمع مزنة، مصــفق: بصــيغة اسم المفعول، أى صفقته الريح، أى لعبت به، حتى لكأنه يصفق، يكدر: يعكر، ويغير، بصيغة المبنى للمجهول، يرنق: بصيغة االمبنى للمجهول، يكدر، جــادت: كرمت، أخلاف: اثداء يفيض منها اللبن، كأخلاف الناقة، الدجن: المطبق من الســحاب المــتراكم، مطــبق: بصيغة اسم الفاعل، ماد: مال، صريح غيث: أى غيث صــاف، لم يمذق: أى لم يمزج، يشبه الغيث القوى بالخمر الصرفة تصرع الشاربين، والفعــل مبــنى للمجهــول، مغلق: بصيغة اسم المفعول، الصيرفى: الحاذق فى تمييز النقود، جيدها، وزيوفها، ويريد به هنا البصير بنقد القول، المنطق: النطق، أى القول، الــبهرج: الباطل والردئ من الشئ، لم ينفق: لم يجر فى التعامل، أوكسد، ويقصد هنا النقد الأدبى.

بأكثر منى غلة وصبابـــــة　　　إليك ولكن العدو عرانـــــــى[1]

وقـــال ثعلب أيضا يخاطب ابن المعتز: وأخذت آخر الأبيات من قول رؤبة بن العجاج الراجز البصرى.

إنى وإن لم ترنى فإننـــــــى

أخوك والراعى إذا استرعيتنى

أراك بالود وإن لم ترنـــــــى[2]

قال ابن المعتز: فاستخفنى ثعلب فى ذلك، ونسب إلى سوء الأدب. والشـــاهد هنا أن هذه مدارسة شعرية لطيفة أراد بها ثعلب أن يعرف ابـــن المعتز أنه ناقد حصيف، مطلع على الشعر، يعرف دقائقه، وما خفـــى مـــنه، لـــذا حين كتب إليه ابن المعتز ينشوقه بهذه المقطوعة الأولـــى، أرسل إليه ثعلب أن هذه المعانى التى ذكرها إنما قد سبق إلـــيها ابن المعتز، فقد سبقه جميل بن عبدالله بن معمر العذرى، أو

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ٢١٨/١
صـــاديات: جمع صادية، وهى العطشى، حمن، حام: دار، حوانى: جمع حانية، وهى المـــنعطفة، كواعـــب: جمع كاعب، وهى الفتاة التى اكتملت، يصدرن: يتركن الماء، الحـــياض: جمـــع حوض، حباب: فقاقيع، أو نفاخات تعلو الماء، روانى: جمع رانية، بمعـــنى ناظرة، دوانى: جمع دانية، أى قريبة، العصى جمع عصا، غلة: بضم الغين، وتشـــديد الـــلام المفـــتوحة، الغليل، حرارة العطش، صبابة: بفتح الصاد، رقة الشوق وحرارته، عرا: غشى.

[2]- زهر الآداب وثمر الألباب ٢١٨/١
اســـترعيتنى: طلبـــت منى ملاحظة الشئ ورعايته، أراك بالود: أى أرعاك بالود، أو أعاملك به، والراعى: الحافظ الذى يلاحظ الشئ ويرعاه.

جميل بثينة، وذكر المبرد الأبيات التى هى الأصل فى هذه المعانى، والتى سبق بها جميل قول ابن المعتز.

كذلـــك فـــإن آخـــر أبيات ابن المعتز قد سبقه إلى معانيها رؤبة بن العجاج الراجز المشهور البصرى.

وهكذا وجدنا نقدا رائعا، بسهولته، ودلالته على علم الناقد، وبصيرته الحاذقة، وحفظه الشعر، واستطاعته توجيه الحياة الأدبية توجيها يدل على بصيرة بالشعر، وفهم صحيح لمعانيه، ومعرفة دقائقه.

ووجدنـــا أيضا مدارسة جميلة بين أحد أعلام اللغة والأدب وبين ابن المعتز صاحب السلطان، لكنه فى الشعر كأنما يستفتى أستاذه.

وهكـــذا كـــان النقد مسايرا للحياة الأدبية يعلى شأنها، ويطلب الجودة فيها.

***

روى أن ابن المعتز قد غضب على بعض وكلائه، فصار هذا الوكيل إلـــى أبى العباس المبرد، يساله أن يكلم ابن المعتز له، فكتب المبرد إلى ابن المعتز: أنت والله، كما قال مسلم بن الوليد فى جدك الرشيد:

بأبى وأمى أنت ما أندى يدا          وأبر ميثاقا ومـــــــا أزكاكا
يغدو عدوك خائفا فإذا رأى          أن قد قدرت على العقاب رجاكا[1]

والشـــاهد أن هـــذا الوكيل توسل بأبى العباس المبرد، حتى يكلم ابن المعتزلة، فكان كلام المبرد بيتين من الشعر، ذكر المبرد أنهما قالهما مســـلم بن الوليد فى هارون الرشيد الخليفة العباسى الخامس، وفيها المعنى الذى يقصده المبرد، فكأن المبرد اختار الشاعر، والشعر الذى قـــيل معبرا عن المعنى الذى يريد، واختار شعرا فى ممدوح هو جد هذا الممدوح، فكان اختيارا موفقا.

والشـــاهد أن الشـــعر كـــان وسيلة المبرد إلى ابن المعتز، وقد نجح الوكيل بنجاح المبرد فى التماس العفو من ابن المعتز.

***

روى أن الخليفة المعتمد على الله أنشد بيتين من الشعر، يقول فيهما:

أليس من العجائب أن مثلى          يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا          وما من ذاك شئ فى يديه[2]

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٦١.
بـــأبى وأمى: أى أفديك بأبى وأمى، أندى: أكثر ندى، أى عطاء، وكرما، ميثاق: عهد أزكاكـــا: أطهرك، يغدو: يمضى وقت الغدو، والمقصود منه ليس الزمن، وإنما مجرد الحدث.

[2]- العجائب: جمع عجيبة، مثلى: يقصد مثله فى الخلافة والسلطان، أى فى مثل مكانته، تؤخذ: تنال، الدنيا: يقصد ملك الدنيا، فى يديه: فى حوزته وملكه.

والبيتان يدلان على تحسر المعتمد على ضياع ملكه، وسلطانه، فإنه الخليفة الذى يملك الدنيا كلها بحكمه، ومع ذلك، فليس تحت تصرفه، وملكه، وحوزته شئ من هذه الدنيا، وأن ما قل صار ممتنعا عليه.

والبيتان فيهما نفثة ألم، وزفرة حزن، وهما من شعر خليفة يقرض الشعر.

***

روى أن الخليفة المعتضد العباسى نزل على آمد سنة ست وثمانين ومائتين من الهجرة، وكان محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ قد تحصن بها بعد وفاة والده، فوجه المعتضد شعلة بن شهاب اليشكرى إلى محمد بن أحمد، لأخذ الحجة عليه.

فاتصل الخبر بأم الشريف عمة محمد بن أحمدن وأخت أحمد بن عيسى، فأرسلت إلى شعلة بن شهاب، وسألته عن المعتضد، وأظهرت طاعتها، وولاءها، وسألت عن ابن أخيها محمد بن أحمد، وقالت لشعلة بن شهاب: فهل لك أن ترجع إليه بكتاب؟.

فكتبت كتابا حسنا لطيفا لابن أخيها محمد بن أحمد، أجزلت فيه الموعظة، وأخلصت فيه النصيحة، وكتبت فى آخره هذه الأبيات:

اقبل نصيحة أم قلبها وجع ... عليك خوفا وإشفاقا وقل سددا
واستعمل الفكر فى قولى فإنك إن ... فكرت ألفيت فى قولى لك الرشدا
ولا تثق برجال فى قلوبهم ... ضغائن تبعث الشنآن والحسدا

مثل النعاج خمول فى بيوتهم حتى إذا أمنوا ألفيتهم أســـــدا

وداو داءك والأدواء ممكنـــــة وإذا طبيبك قد ألقى إليك يــــــدا

واعط الخليفة ما يرضيه منك ولا تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولــــدا

واردف أخا يشكر ردءا يكون له ردءا من السوء لا تشمت به أحدا[1]

فـــأخذ شعلة بن شهاب الكتاب، وصار به إلى محمد بن أحمد، فلما نظر فيه، رمى به إليه، ثم قال: ارجع إلى صاحبك، يقصد الخليفة المعتضد. فـــرجع شـــعلة إلـــى الخليفة المعتضد، فسأله عن كتاب أم الشريف، فأظهره، فلما عرض على المعتضد أعجبه شعر أم الشريف، ثم قال: والله إنى لأرجو أن أشفعها فى كثير من القوم.

فلمـــا فتحت آمد، ونزل محمد بن أحمد على الأمان، وجه المعتضد شـــعلة بـــن شـــهاب إلى أم الشريف، ومعه خادم، فوجدها فى جملة نسائها، فلما بصرت به أسفرت عن وجهها، وأنشأت تقول:

---

[1]- الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤.
وجع: بفتح الواو وكسر الجيم، متوجع، السدد: بفتح الدال الأولى، الاستقامة والصواب والقصد من القول والعمل، الرشد: بفتح الشين، وفتح الراء المشددة: الرشاد، ضغائن: جمـــع ضـــغينة، وهـــى الحقد، الشنآن: البغض، نعاج: جمع نعجة، وهى معروفة فى الضـــأن، وبقر الوحش، خمول: جمع خامل، وهو الساقط الذى لا نباهة له، أسد: بضم الســـين، حركـــت لضرورة الوزن الشعرى، وهى جمع أسد، الأدواء: جمع داء، وهو المرض، اردف: أركب خلفه، أو اتبعه، ردء: عون، أخا يشكر: تقصد شعلة بن شهاب اليشكرى، وهو تعبير شائع عند العرب.

| | |
|---|---|
| ريب الزمان وصرفه | وعتوه كشف القناعـــا |
| وأذل بعد العز منـــ | ـتا الصعب والبطل الشجاعا |
| ولقد نصحت فما أطعـ | ـت وكم حرصت بأن أطاعا |
| فأبى بنا المقدار إلـ | ـلا أن نقسم أو نباعـــا |
| ياليت شعرى هل ترى | يوما لفرقتنا اجتماعـــا[1] |

فقـال لها شعلة: إن أمير المؤمنين وجهنى إليك، وماذاك إلاّ لحسن رأيه فيك، فكتبتْ إليَه كتابا يوصلهُ إلى المعتضد، وكتبت إليه بهذه الأبيات:

| | |
|---|---|
| قل للخليفة والإمام المرتضى | وابن الخلائف من قريش الأبطح |
| بك أصلح الله البلاد وأهلهـا | بعد الفساد وطال ما لم تصلـح |
| وتزحزحت بك قبة العز التى | لولاك بعد الله لم تتزحـــرح |
| وأراك ربك ما تحب فلا ترى | ما لا تحب فجد بعفوك واصفـح |
| يا بهجة الدنيا وبدر ملوكهـا | هب ظالمين ومفسدين لمصـلح[2] |

---

[1] - الروض المعطار ص ٤.
ريـب الزمان: حوادث الدهر، صرف الزمان: حدثانه ونوائبه، عتوه: مجاوزته الحد، والتجبر، القـناع: بكسـر القـاف، ما تقنع به المرأة رأسها، أطعت، أطاعا: بالبناء للمجهول، وكذلك نقسم أو نباعا، المقدار: القدر، وهو ما يقدره الله من القضاء.
[2] - الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤.
المرتضـى: بصـيغة اسم المفعول، الخلائف: جمع خليفة، قريش الأبطح من بطحاء مكـة، قـبة: بناء معروف، وهو على المجاز هنا، تزحزحت: تباعدت، أو تنحت، قبة العـز: تقصد أخاها، وابن أخيها فى أمد، فلا ترى ما لا تحب: أي أبعد الله عنك ما لا تحب، هـب ظالميـن ومفسدين لمصلح، إما أعف عن الظالمين والمفسدين من أجل المصلحين، و اترك عقاب هؤلاء لله تعالى.

فلما عرض شعلة بن شهاب الأبيات على المعتضد أعجبته، فأمر أن تحمل إليها تخوت من ثياب، وجملة من المال، وإلى محمد بن أحمد ابـــن أخيها مثل ذلك، وشفعها في كثير من أهلها ممن عظم جرمه، واستحق العقوبة.

والشاهد أن الأبيات الأولى التي كتبتها أم الشريف نصيحة غالية لابن أخيها بالطاعة، وقبول النصيحة منها، فهي أم قلبها موجع عليه خوفا وإشفاقا، فتنصحه، أن يقول السداد، وأن يستعمل الفكر في قولها، فهو إن فكـــر فـــي قولها وجد فيه الرشاد، وتنهاه عن الثقة في رجال في قلوبهـــم ضغائن تبعث الحسد والبغضاء، فهم مثل النعاج في بيوتهم، حـــتى إذا أمنوا صاروا أسودا، وتنصحه أن يداوي مرضه، والأدواء يمكـــن دواؤهـــا، إذا ساعدك الطبيب، كما تنصحه أن يطيع الخليفة، ويطيع رسول الخليفة إليه.

ولما سأل المعتضد رسوله كتاب أم الشريف، وقرأه، أعجبه شعر أم الشـــريف، وقـــال: والله، إني لأرجو أن أشفعها في كثير من القوم، دلالة على إعجابه بشعرها.

ولما فتح المعتضد آمد، وذهب رسوله إلى أم الشريف أنشدت شعرا آخـــر، قالت فيه: إن ريب الزمان كشف القناع، وأذل البطل الشجاع بعـــد العـــز، وقد نصحت ابن أخي فما أطاع، مع حرصي على أن

يطيع، لكن القدر أبى إلا أن نقسم، أو نباع، وتتمنى أن ترى لفرقتهم اجتماعا

وقد ظهر أن المعتضد قد حسن رأيه في أم الشريف، لذا كتبت رسالة وجهتها للمعتضد، وفيها شعر تقول فيه: قل للخليفة الإمام المرتضى ابـــن الخلائــف من قريش أن الله أصلح به البلاد وأهلها بعد الفساد الطويل، وتزحزحت به قبة العز، ولولاه لما تزحزحت، وأن الله أراه مـــا يحب، فليجد بالعفو والصفح، وتصفه ببهجة الدنيا وبدر ملوكها، وتلتمس منه أن يهب الظالمين والمفسدين لمصلح.

وقـــد أعجب المعتضد بالأبيات، وأمر أن تحمل اليها المكافأة، وإلى ابـــن أخـــيها، وشفعها في كثير من أهلها، كما رجا قبل ذلك، إعجابا بشعرها، وتأثرا بموقع هذا الشعر من نفسه.

ولعل ذلك الشعر يعبر عن شعر المرأة في هذا العصر، وقد وجهت أم الشـــريف هذا الشعر إلى المعتضد الخليفة، فنال استحسانه، ونالت هـــى مكافأتها على هذا الشعر، دلالة على مكانة الشعر، وقيمته عند الخليفة المعتضد العباسي.

•••

# الباب الثاني

## الشعر في قصور الخلافة العباسية

كان الخلفاء فى العصر العباسى الأول يهتمون بالشعر غاية الاهتمام، كمـــا كـــانوا يقدمـــون الشعراء فى مجالسهم، ويؤثرونهم بالتكريم، ويمنحونهم الجوائز السنية.

وســـرى هـــذا الاهتمام من الخلفاء إلى أولادهم، وأسرهم، فكان هذا الاهتمام بالشعر والشعراء أمرا عاما فى قصور الخلفاء.

ولـــيس أدل على ذلك من هذه الأمثلة التى نسوقها تأييدا لرأينا هذا، ودعما لموقفنا من قضية الشعر، وتشجيع الشعراء.

•••

روى أنـــه خطـــب صـــالح بن على العباسى عم السفاح والمنصور الخليفتين فقال: وإنى أقول:

أغركم أنى بأكرم شيعـــــــة ... رفيق وأنى بالفواحش أخرق

ومثلى إذا لم يجز أحسن سعيه ... تكلم نعمـــــــاه بفيها فتنطق

لعمـــرى لقد فاحشتنى فغلبتنى ... هنيئا مريئا أنت بالفحش أرفق

ثم قال: والسيف مشهر:

حتى يبيد قبيلة فقبيـــــــــلة ... ويعض كل مثقف بالهـــــام

ويقمن ربات الخدور حواسرا ... يمسحن عرض ذوائب الأيتام[1]

---

[1]- العقد الفريد ٢/٣٨٤

شيعة: أنصار، أو قبيلة، أخرق: ضد الرفيق، وهو الشديد الغليظ، فاحش: قال بالفحش، يبـــيد: يهلك، المثقف: بصيغ اسم المفعول، الرمح، الهام: الرؤوس، حواسرا: كاشفات وجوههن، عرض: بضم العين، وسكون الراء: جانب وناحية، والعرض: بكسر العين

والشاهد أن صالح بن على العباسى عم السفاح، والمنصور الخليفتين الأول والثانى فى الدولة العباسية يستشهد بالشعر، مما يدل على قيمة الشعر ومكانته فى بيت الخلافة العباسية.

والأبـيات فـيها تهديد ووعيد بالإبادة والقتل للرجال، والثكل للنساء، واليتم للأولاد.

والأبـيات استطاع صالح بن على أن يعبر بها عما أراد من التهديد والوعـيد، وقـد سـدت الأبـيات مسد الخطب الطوال، والأحاديث المفصـلة، فكانت إيجازا فى موضعه، واختصارا بليغا لما يمكن أن يقال فى مثل هذه المواقف.

فقـد عـبر الشعر عن رأيه أحسن تعبير، وقد صدق صالح بن على العباسـى فـى التعبـير عما أراد، وأجاد فى تعبيره ببراعة لا يخبو رونقها، ولا يخفى بريقها.

•••

روى أن عـبدالله بـن علـى عـم أبى العباس السفاح، وأبى جعفر المنصـور، حضر اثنان وثمانون رجلا من بنى أمية مجلسه ودخل عليه أبو محمد العبدى الشاعر.

---

وسـكون الـراء، رائحة الجسد طيبة كانت أو خبيثة، أو الجسد، ذوائب: جمع ذؤابة، وهـى الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة، أيتام: جمع يتيم، واليتم فى الناس من قبل الأب وفـى غـير الـناس من قبل الأم، حواسر: كاشفات عن وجوهن، أو رؤوسهن، ربات: جمع ربة بمعنى صاحبة

فقال له عبدالله بن علي. أنشدني قولك:

وقف المتيم في رسوم ديار

فأنشده أبو محمد العبدي، حتى انتهى إلى قوله:

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم      وبنو أمية من دعاة النار

من كان يفخر بالمكارم والعلا      فلها يتم المجد غير فخار[1]

فـألقى عـبدالله بن علي صرة خضراء فيها خمسمائة دينار إلى أبي محمد العبدي.

وقـال: لـك عـندنا عشرة آلاف درهم، وجارية، وبرذون، وغلام، وتخت ثياب، فوفى بذلك كله.

•••

ثم أنشأ عبدالله بن علي يقول:

حسبت أمية أن سيرضى هاشم      عنها ويذهب زيدها وحسينها

كلا ورب محمـــــد وإلهه      حتى يفـادوا زيدها وحسينها[2]

ثم أخذ قلنسوته من رأسه، فضرب بها الأرض، فأقبل الجند على بني أمية فخطبوهم بالسيوف والعمد.

---

[1]- العقد الفريد ٣/٢٠٥.
الدعاة: جمع الداعي، الجنان: جمع جنة، هاشم: جد العباسيين، المكارم: جمع مكرمة، المتيم: الذي تيمه الحب، رسوم: آثار، وهي مقدمة طللية غزنية.

[2]- العقد الفريد ٣/٢٠٥
أمية: بنو أمية، هاشم: بنو هاشم، زيدها: هو زيد بن علي الذي قتل وصلب في كناسة عنـى يـد بني أمية، الحسين: هو ابن علي بن أبي طالب، ومات مقتولا على يد بني أمية، يفادوا: يكونوا فداء

وقال الكلبى الذى بينهم، وكان من أتباعهم: أيها الأمير، إنى والله ما أنا منهم.

فقال عبدالله بن على:

ومدخل رأسه لم يدعه أحد    بين الفريقين حتى بزه القرن[1]

فضربوا عنقه.

فقد طلب عبدالله بن على العباسى إلى أبى محمد العبدى أن ينشده قوله: وقف المتيم فى رسوم ديار، وهذا المطلب دليل على الاهتمام بالشعر، والإعجاب به، والرغبة فى إنشاده.

وقد طلب إنشاد قصيدة فيها مدح لبنى العباس، وذم وهجاء لبنى أمية، وهذا شعر سياسى يوافق عبدالله بن على العباسى.

ثم كانت الجائزة على قدر الشعر، نظرا لارتفاع قدر الشعر عند العباسيين.

ثم استشهد عبدالله بن على العباسى ببيتين أخرين من الشعر السياسى يؤكد فيهما أن بنى هاشم لن يرضوا عن بنى أمية بعدما قتلوا حسينا، وزيدا، ويقسم أن ذلك لن يحدث حتى يقتصوا لهما.

---

[1] - العقد الفريد ٣/٢٠٥.
مدخل: بصيغة اسم الفاعل، بزه: غلبه وسلبه، القرن: المكافئ فى القوة، وهو بكسر القاف.

وكان ذلك الشعر إشارة إلى الجند لقتل بنى أمية، ولما أراد أحدهم أن يخرج نفسه من بنى أمية ذكر عبدالله بن على العباسى بيتا من الشعر يستشـــهد فـــيه لهذا الموقف أيما استشهاد، وكان هذا الاستشهاد فى موضعه مما يدل على براعته فى حفظ الشعر، وفهمه، وبصره به.

•••

وروى أن أبا دلامة الشاعر، أوصل إلى العباس بن المنصور رقعة، فيها هذه الأبيات:

قف بالديار وأى الدهر لم تقف ... على منازل بين الظهر والنجـــف
وما وقوفك فى أطلال منزلة ... لولا الذى استحدثت فى قلبك الكلف
إن كنت أصبحت مشعوفا بجارية ... فلا وربـــك لا تشفيك من شغف
ولا تزيدك إلا العل من أســف ... فهل لقلبك من صبر على الأســف
هذى مقالة شيخ من بنى أســد ... يهدى السلام إلى العباس فى الصحف
تخطها من جوارى المصر كاتبة ... قد طالما ضربت فى اللام والألــف
وطالما اختلفت صيفا وشاتيــة ... إلى معلمها باللـــــوح والكتف
صينت ثلاث سنين ما ترى أحدا ... كما تصان ببحر درة الصـــدف
بينا الفتى يتمشى نحو مســجده ... مبادرا لصلاة الصبح بالســـدف
حانت له نظرة منها فأبصرهـــا ... مطلة بين سجفيها مــــن الغرف
فخر فى الترب ما يدرى غدا تئذ ... لخر منكشفا أم غير منكشـــف
وجاءه القوم أفواجـــا بمائهم ... لينضحوا الرجل المغشى بالنطــف

فوسوسوا بقران فى مسامعـه     خوفا من الحن والإنســان لم يخف
شيئا ولكنه من حب جاريـــة     أمسي وأصبح من موت على شرف
قالوا: لك الخير ما أبصرت؟ قلت لهم     جنية أقصدتنى من بنى خلــــف
أبصرت جارية محجوبة لهـم     تطلعت من أعالى القصر ذى الشرف
فقلت من أيكم والله يأجـــره     يصير قوته منى إلى ضعفـــى
فقام شيخ بهى من تجارهــم     قد طالما خدع الأقــوام بالحلف
فابتاعها لى بألفى أحمر فغـدا     بها إلىَّ فألقاها على كتفـــى
بتنا كذلك حتى جاء صاحبهـا     يبغى الدنانير بالميزان ذى الكفـف
وذاك حق على زند وكيف بـه     والحق فى طرف والعين فى طرف
وبين ذاك شهود لم أبال بهم     أكنت معترفا أم غـــير معترف
فإن تصلنى قضيت القوم حقهم     وإن تقل لا فحق القــوم فى تلف[1]

---

[1] - العقد الفريد ١/٣٠٦
الظهـر والنجف: موضعان، والأخير بظهر الكوفة، وهو دومة الجندل، وبالقرب منها قبر علـى بن أبى طالب، استحدثت: بسكون التاء، الكلف: المحب، العل: بفتح العين وتشـديد اللام، العباس هوابن الخليفة أبى جعفر المنصور، ضربت فى اللام والألف: أى ضربها معلمهـا لتتقن الخط، شاتية: أى فى وقت الشتاء، الكتف: العظم العريض يكـون فـى أصـل كتف الحيوان كانوا يكتبون فيه، لقلة القراطيس، ضربت: بالبناء للمفعـول صـيِّنت: بالبنـاء للمفعول، درة: لؤلؤة، الصدف: جمع صدفة، بفتح الصاد والـدال فيهما، السدف: بضم السين وفتح الدال، جمع سدفة، وهى الظلمة، يهدى: من أهدى الرباعى، الصحف: جمع صحيفة، وهى الورقة، جوارى: جمع جارية، الغرف: جمـع غـرفة، منكشـفا: بصيغة اسم الفاعل، أفواجا: جمع فوج، النطف: بضم النون المشـددة، وفتح الطاء جمع نطفة، بضم النون، وسكون الطاء، وهى الماء الصافى قل أو كـثر، المغشى: بصيغة اسم المفعول، قران: يقصد القرآن، مسامعه: جمع مسمع، وهـو الأذن، شرف: بفتح الشين وضمها حافة، جنية: بتشديد النون والياء، واحدة من

فلما قرأ العباس الأبيات أعجب بها واستظرفها، وقضى عنه ثمن الجارية.

والغريـب فـي هذه الرواية أنها تحكى قصة أبى دلامة فى الزواج بجارية ابتاعها بألفى دينار لم يدفعها، وهو مطالب بدفعها، ويعرض هـذه الحكايـة علـى الأمير، ويطلب منه قضاء حق القوم فى ثمن الجارية، وإلا تلف حقهم، وبطلب معونة الأمير فى ذلك.

والغريب أيضا أنّ الأمير لا علاقة له بهذا العمل. وانما عرضه عليه أبو دلامة، وهو واثق من تدخل الأمير، وحل هذه المشكلة.

إن أبـا دلامـة حدد الثمن المطلوب، وهو ألفا دينار، وقد نالها، فقد قضى عنه الأمير ثمن الجارية، وهذا أيضا يؤكد مكانة أبى دلامة فى بلاط العباسيين.

وأقـول: لعـل هذه القصة كلها مختلفة من أبى دلامة، ولعلها حيلة احـتالها لينال بها ما يريد من الأمير، وقد نجحت حيلته، على رغم أنهـا قـد لا تـنطلى علـى الأمير، ولكنه الشعر ومكانته، وقيمته، ومنزلته، وقدره عند بنى العباس، والذى يمثله فى هذه الحكاية شعر أبى دلامة.

---

الجـن، الشـرف: بضم الشين المشددة، وضم الراء، جمع شرفة، ضعفى: بفتح الضاد والعين، لضرورة الوزن الشعرى، يأجوه: يثيبه أجرا، بهى: من البهاء، تجارهم: بكسر التاء ومـد الجيم المفتوحة، أحمر: يقصد الدينار الذهبى، الكفف: بكسر الكاف وفتح الفـاء، جمع كفة، بكسر الكاف أيضا، زند: اسم أبى دلامة، العين: يريد به الذهب، لم يبال: لا يهتم.

إن هذه الأبيات تحكى قصة شعرية بين الشاعر وهذه الجارية، وهو لون جميل برع فيه أبو دلامة، لرغبته فى تقديم الحيل التى ينال بها عطف العباسيين.

إن أبا دلامة قد تجاوز فى هذا الشعر الذى أنشده الأمير، وما كان له أن يتجاوز أمام الأمير إلى هذا الحد، لولا ما كان بينه وبين الخلفاء والأمراء من ميل إلى الدعابة، والمرح، وذلك مما يخفف من وقع هذا التجاوز الشعرى.

إن أبا دلامة فى هذه القصيدة قد سار على نظام القصيدة القديمة، حين بدأ قصيدته بالغزل، والوقوف على الديار، والأطلال مما يقوى لدينا فكرة أن الخلفاء، والأمراء العباسيين كانوا – لثقافتهم، وأدبهم الذى تربوا عليه على أيدى علماء اللغة، ورواة الشعر، ونقدته – من أنصار المدرسة التقليدية المحافظة فى الشعر فى العصر العباسى الأول.

•••

قالت علية بنت المهدى:

| | |
|---|---|
| اشرب على ذكر الغزال | الأغيد الحلو الدلال |
| اشرب عليه وقل لـــه | يا غل ألباب الرجال[1] |

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ٣/١.

وعلـــية هذه هى ابنة الخليفة المهدى، مما يدل على أن أولاد الخلفاء كانوا يربون على الأدب بعامة، وعلى الشعر بخاصة، وكانوا لثقافتهم الشـــعرية العالـــية يستطيعيون قرض الشعر، وفى هذا إعلاء لقيمة الشعر فى بلاط بنى العباس.

والعجيب أن هذا الشعر غزل رقيق، ولم يكن عيبا أن تنشد مثل هذه الفتاة شعرا فى الغزل الرقيق، لأن الغزل الذى عبرت عنه قد تضمنه فن راق، وهو فن الشعر، الذى تعلو منزلته عند العباسيين، فلا عجب أن تنشده فتياتهم، ويروى عنهن، ويؤثر لهن.

والعجيـــب أن علـــية بنت الخليفة المهدى قد أنشدت هذا الغزل الذى يجب أن يكون على لسان شاعر، وليس على لسان شاعرة.

فهـــى تدعـــو إلى الشرب على ذكر الغزال الأغيد الحلو الدلال، أى الفتاة التى تشبه الغزال.

وتقـــول: اشرب عليه، وقل له: يا غل ألباب الرجال، أى صار قيدا لعقول الرجال، من جماله، أو سحره.

وهـــذا يمـــثل غـــزل شاعر فى فاتنة فتنته، لا غزل شاعرة، وكأنها تحاكى الرجال، أو تتحدث باسم الرجال، أو تتمثل بشعر الرجال، أو هو نوع من إظهار المقدرة على قول الشعر فى فن الغزل، فتحرجت أن تذكر غزلا من فتاة، فذكرت الغزل الذى يقال على لسان المحب فى تغزله لمحبوبته، حتى لا تتهم فى أحد.

•••

وكانت علية بنت الخليفة المهدى لطيفة المعنى، رقيقة الشعر، حسنة مجارى الكلام ولها ألحان حسان، وعلقت بغلام اسمه رشأ، وفيه تقول:

أضحى الفؤاد بزينبا    صبا كئيبا متعبـــــا
فجعلت زينب سترة    وكتمت أمرا معجبا[1]

فـــنمى الأمر إلى أخيها الرشيد، الخليفة العباسى، فأبعد الرشيد رشأ، وقيل: إن الرشيد قد قتل رشأ لذلك.

والعجيب أن علية بنت المهدى، وهى ابنة خليفة، وأخت خليفة، وهى مـــن البيت العباسى تقول هذا الشعر فى الغزل، تحكى به قصتها مع غـــلام، وتكـــنى عن نفسها باسم زينب، ولا تتورع عن بيان حقيقة أمرها، حين تقول: فجعلت زينب سترة، وكتمت أمرا معجبا.

فزينب سترة عنها، والأمر المعجب هو أنها تتعلق بغلام، فما كان من الرشيد إلا أنه أبعده، أو قتله.

أمـــا الأمـــر العادى فهو أن الشعر كانت تعلو منزلته فى دولة بنى العباس، حتى إن الخلفاء، وأولاد الخلفاء ينشدون الشعر، ويقرضونه.

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ١/٤٤

زينـــبا: المد للوصل لضرورة الوزن، وهو علم ممنوع من الصرف، الصب: المحب حـــبا شـــديدا، كئيبا: حزينا، متعبا: بصيغة اسم المفعول، معجبا: بصيغة اسم الفاعل، السترة: بفتح السين المشددة، ما سترت به من شئ، كائنا من كان، معجبا: أى عجيبا.

وقــد أنشدت علية بنت الخليفة المهدى هذا الشعر على لسان الغلام، وهو يتغزل فيها، فلم تذكره، وإنما ذكرت الغزل على لسان الغلام، لا على لسانها.

إن الغــزل هــنا معناه أن المتغزل يبين أن فؤداه قد صار صبا كئيبا معجبا بزينب، وأن المحب قد ستر اسم محبوبته الحقيقى، وأظهر اسم زينب سترة لاسم المحبوبة الحقيقى، وكتم أمرا عجيبا.

وهــذا غــزل يقال على لسان شاعر، وليس على لسان شاعرة، مثل علية ابنة الخليفة المهدى.

***

وعلية بنت المهدى الخليفة العباسى هى القائلة أيضاً:

وضع الحب على الجور فلو ... أنصف المعشوق فيه لسمج

ليس يستحسن فى نعت الهوى ... عاشق يحسن تأليف الحجج[1]

وهــذه أبيات فى الغزل، لم تتحرج عليه بنت الخليفة المهدى، وأخت هارون الرشيد الخليفة أن تقرضها.

وهذا دليل على أن أولاد الخلفاء كانوا يقرضون الشعر، حتى قرضه بنات الخلفاء كبنيهم على السواء.

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ٤٤/١
الجور: الظلم، أنصف: عدل، سمج: قبح، نعت: وصف، الهوى: الحب، الحجج: جمع حجة، وهى التعلل بالأسباب.

وفى هذا أكبر دليل على قيمة الشعر فى دولة بنى العباس فى العصر العباسى الأول.

إن هـذا الشعر فى الغزل يرسم طريقة الحب، إذ يبين أن الحب قد وضع على الجور، فالمعشوق أولى به أن يسمج، حتى لا يجار عليه. وذكرت قضية أخرى وهى أنه لا يستحسن فى وصف الحب عاشق يحسـن تأليف الحجج، وإنما يجب أن يكون العاشق صادقا فى حبه، مخلصا لمحبوبته، وفيالها.

وكـأن علـية بنـت المهدى ترسم الطريقة الصحيحة إما للحب، أو الـتخلص مـنه بصـدق، وصراحة، بدلا من تأليف الحجج، وتلفيق الأكاذيب.

إن تـناول علـية بنت المهدى، وهى من بيت الخلافة العباسية هذه القضـية، أو هـذا الموضوع إنما يبين بجلاء حرية الأديب فى فن الشعر فى تناول موضوعات النفس البشرية، بغيرغضاضة، وإن كان ذلك التناول لا يروق أمام بعض النقاد الذين يميلون إلى النقد المبنى علـى الأخلاق، والقيم، والمبادئ، والمثل العليا، لكنه الفن الشعرى الذى يعبر به الشاعر بحرية عما يريد التعبير عنه، بغير خوف.

***

وعلية بنت المهدى الخليفة العباسى هى القائلة:

يا عاذلى قد كنت قبلك عـاذلا حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلا

الحب أول ما يكون مجانـــة فإذا تحكم صار شغلا شـــاغلا
أرضى فيغضب قاتلي فتعجبوا يرضى القتيل ولا يرضى القاتلا[1]

وهــذه أبيات غزلية لعلية بنت الخليفة المهدي، تحكي موقف العاذل، قبل أن يبتلي بالهوى، فيصير صبا ذاهلا، بعد ما كان عذولا لائما.

وتحكـــي قصــــة الحب فهو أول ما يكون عبثا، حتى يتحكم، فيصير شغلا شاغلا للحب.

وتحكي تجربة عجيبة، فتقول: أرضى فيغضب قاتلي بالحب، وتلتمس التعجب من هذا الأمر، أن القتيل يرضى، ولا يرضى القاتل.

وهــذا الشعر دلالة على أن بنات الخلفاء كانوا يقرضون الشعر، ولا يجدون غضاضة في ذلك.

والغريـــب أن هذه الأبيات تدل على موقفها من حب غلام، كما تقول الـــروايات فـــي كتب الأدب، فهي تعبر عن موقفها، ورأيها، فتقول: إنـــني قد كنت عاذلا فابتليت بالحب، فصرت صبا ذاهلا بالحب عن كل شئ، فلا تلمني، لأنك قد تخوض تجربة مثل تجربتي.

ثم تبين كيف يقع المحب في الهوى، فالهوى أول ما يكون عبثا، فإذا تحكم صار شغلا شاغلا للمحب.

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ١/٤٤

مجانـــة: بفـــتح المـــيم، وهـــي مرفوعة، لأن يكون هنا تامة، شغلا: بضم الشين، ولا يرضى: بضم الياء، وفتح الراء، وكسر الشين المشددة، المجانة: العبث.

وتصـــل إلـــى قضية أخرى، وهى أن المحب يرضى، فيغضب قاتله بالحـــب، وهـــذا أمـــر يدعو للعجب، أن القتيل يرضى، ولا يرضى القاتل، وفى ذلك ظلم، وأى ظلم.

وهـــذه الموضوعات التى تناولتها علية بنت المهدى تدل على ذوقها الرفيع، وأسلوبها السهل، وغزلها الرقيق، كما تدل على فهمها الشعر، وقرضها اياه، وثقافتها الأدبية الرفيعة.

•••

روى أنه خرج رسول علية بنت المهدى، أو عائشة، وكانت شاعرة، إلـــى الشـــعراء، وفيهم صريع الغوانى فقال: تقرئكم سيدتى السلام، وتقول لكم: من أجاز هذا البيت فله مائة دينار.

فقال الشعراء: هاته، فأنشدهم:

أنيلى نوالا وجودى لنا | فقد بلغت نفسى الترقوة

فقال صريع الغوانى:

وإنى كالدلو فى حبكم | هويت إذا انقطعت عرقوه[1]

فأخذ المائة دينار:

---

[1]- العقد الفريد ٤/٢٧-٢٨
نوالا: عطاء، الترقوة: بفتح التاء، وسكون الراء، وضم القاف، وفتح الواو، العظم الذى بيـــن ثغـــرة النحر والعاتق، ولا تضم التاء، هويت: بفتح الواو وسكون الياء، سقطت، وبكسر الواو مع المد، أحببت، والمعنى يطلب إلى محبوبته أن تنيله، وتجود عليه، لأن نفســـه قـــد بلغت الترقوة، وكادت تفارق الجسد، فأجاز صريع الغوانى بوصف نفسه وتعلقه بحبها كالدلو إذا انقطعت عرقوته هوى وسقط.

وهــذه مســاجلة شعرية بين الشعراء، دعت إليها علية ابنة الخليفة المهدى، تريدهم أن يجيزوا بيتا من الشعر، فمن عز بز، ومن غلب سلب، فأجازه صريع الغوانى مسلم بن الوليد، ونال على هذه الإجازة جائزة قدرها مائة دينار، وهى جائزة قيمة على بيت واحد من الشعر.

***

روى أن محمد بن يزيد المبرد أنشد لعلية بنت المهدى:

تمارضت كى أشجى ومابك علة ... تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

وقولك للعواد كيف ترونـــــه ... فقالوا قتيلاقلت أهون هـــالك

لئن ساءتى أن نلتنى بمســـاءة ... لقد سرنى أنى خطرت ببالك[1]

وهى أبيات غزلية فى غاية الرقة تحكى تجربة عاطفية واضحة، وإن كانــت هــذه الأبــيات مخاطــبة بين الحبيب ومحبوبته، يدعى أنها تمارضـــت كى يحزن، وليس بها علة، وإنما تريد قتله، وقد ظفرت بذلــك القتل، وقولها لعوادها سائلة عنه: كيف ترونه، فيجيبونها: إنه قتيل، فتقول: أهون مقتول.

---

[1]- العقد الفريد ٢/٥

تمارضـــت: ادعيــت المرض، أشجى: أحزن، علة: مرض، العواد: جمع عائد، وهو زائـــر المريض، وتاء الضمير فى تمارضت مكسورة، وكذلك كاف الضمير فى: بك، وكذلك تاء الضمير فى: ظفرت، وكاف الخطاب فى: وقولك، وتاء الضمير فى: قلت، وكذلك التاء فى نلتنى.

ثـم يقـول: لئن ساءنى أنك اسأت إلى بالقول، فقد سرنى أمر آخر غريـب، وهو أنى خطرت ببالك، فسألت عنى، حتى لو كنت قلت: أهون هالك، ونلتنى بمساءة.

ومن العجب أن هذه الأبيات الغزلية تصدر عن مثل علية ابنة الخليفة المهدى، وهى من ربيت فى بيت الخلافة العباسية.

•••

روى أن خـالدا الكاتب قال: جاءنى يوما رسول إبراهيم بن المهدى الخلـيفة العباسـى، فصرت إليه، فرأيت رجلا أسود على فرش، قد غاص فيها، فاستجلسنى، وقال: أنشدنى من شعرك، فأنشدته:

| | |
|---|---|
| رأت منه عينى منظرين كما رأت | من الشمس والبدر المنير على الأرض |
| عشية حيانى بورد كأنـــه | خدود أضيفت بعضهن إلى بعـض |
| ونازعنى كأسا كأن حبابهـا | دموعى لما صد عن مقلتى غمضى |
| وراح وفعل الراح فى حركاته | كفعل نسيم الريح بالغصن الغـض[1] |

فـزحف إبراهـيم بن المهدى، حتى صار فى ثلثى الفراش، وقال: يافتى، شبهوا الخدود بالورد، وأنت شبهت الورد بالخدود، زدنى.

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ١٥٨/٢

التحية بالورد كانت معروفة عند العرب، غمضى: نومى، صد: أعرض، راح: خمر، الغـض: الناضـر، عشـية: أى وقت العشية، الكأس: إناء، ولا يسمى كاسا إلا وفيه الشـراب، أما قبل ذلك فهو قدح، الحباب: بفتح الحاء معظم الماء، وقيل: نفاخات تعلو الخمر، وهى اليعاليل، المقلة: شحمة العين التى تجمع البياض والسواد.

فأنشده خالدا الكاتب:

عاتبت نفسي في هـــوا ... ك فلم أجدها تقبـــل
وأطعت داعيها إليـــــ ... ك فلم أطع من يعذل
لا والذي جعل الوجـــو ... ه لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبر عنـــ ... ك من التصابي أجمل[1]

فـــزحف إبراهـــيم بن المهدي، حتى انحدر من الفرش، ثم قال لخالد الكاتب: زدني.

فأنشده خالد الكاتب:

عش فحبيك سريعـــا قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي
ظفر الحـــــب بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحـــــــــل
فهما بين اكتئاب وضـــــنى ... تركاني كالقضيب الذابـــــــــل
وبكى العاذل لي من رحمة ... فبكائي لبكاء العـــــــــــــاذل[2]

فنعر إبراهيم بن المهدي، وقال: يا بليق، كم معك لنفقتنا؟

قال: ثمانمائة وخمسون دينارا.

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ١٥٨/٢
هـــواك: حبك، داعيها: حبها لك، يعذل: يلوم، تمثل: تقف أمامه، التصابي: الميل إلى الجهل والفتوة.

[2]- زهر الاداب وثمر الألباب ١٥٨/٢-١٥٩
عش: أمر الغرض منه الدعاء، حبيك: مد لضرورة الوزن، الضنى: المرض، دنف: بفتح الدال، وكسر النون، مريض، السقم: المرض، ناحل: نحيف، فهما: أي القلب والجسم، اكتئاب: حزن وغم، القضيب: العود الذابل: الجاف اليابس، العاذل: اللائم، رحمة إشفاق.

قال إبراهيم بن المهدى: اقسمها بينى وبين خالد، فدفع إليه نصفها.

والعجيب أن إبراهيم بن المهدى هو الذى أرسل الرسول إلى خالد الكاتب يطلبه بالمجئ إليه، ويستنشده من شعره، فينشده خالد الكاتب شعرا فى الغزل يبين فيه أنه رأى منه منظرين كالشمس، والبدر المنير على الأرض، وأنه حياه بورد كخدود أضيف بعضها على بعض، وأنه نازعه كأسا وصف حبابها بدموعه لما صد الغمض عن عينيه، كما نازعه الخمر، وكان يتمايل بفعل الخمر كما يتمايل الغصن الغض بفعل نسيم الريح.

وبرغم كون هذه الأبيات فى الغزل إلا أن إبراهيم بن المهدى استحسنها حتى زحف، وصار فى ثلث الفراش، وأعجب بتشبيهه الورد بالخد، وطلب منه أن يزيده فى الإنشاد.

فأنشده خالدا الكاتب أبياتا فى الغزل العفيف أيضا، يقول فيها: إنه عاتب نفسه فى هواها فلم يجد نفسه تقبل العتاب، وأطاع داعى نفسه إليه، ولم يطع العاذل، ثم يقسم بالذى جعل الوجوه تمثل لحسن وجهه أنه لا يقول: إن الصبر عنه أجمل من التصابى.

والعجيب أن هذه الأبيات استحسنها إبراهيم بن المهدى حتى زحف، وانحدر من الفراش، وطلب إلى خالدا الكاتب أن يزيده.

فأنشده شعرا آخر فى الغزل أيضا يقول فيه: عش فحبك قاتلى سريعا، والضنى إن لم تصلنى يصلنى، ظفر الحب بقلب مريض بك،

والسقم ظفر بجسم ناحل، فقد تركنى الحب والسقم بين حزن وتعب كالقضيب الجاف، حتى بكى العاذل من أجلى رحمة بى، فأنا أبكى لبكاء العاذل شفقة عليه وعلى نفسى.

فاستحسن إبراهيم بن المهدى هذه الأبيات، ومنح خالدا الكاتب نصف نفقته البالغة ثمانمائة وخمسين دينارا.

وهكذا كان حب إبراهيم بن المهدى الشعر، وتشجيع الشعراء.

•••

روى أن ابراهيم بن المهدى رثى الرشيد بعد موته بقوله:

ذكرت أخى هارون وهو ببلـدة ... تكلفها شهر وأوبتها شـــهر
بطوس ومن تكتب بطوس وفاته ... يطل من أخلاء الصفاء له الهجر
كملت فلما صرت للأرض زينة ... أفلت من الدنيا كما يأفل البـدر
فما الخير بالمأمول ما هبت الصبا ... ولا الشر بالمأمون ما برق الفجر[1]

وهذه نفثة مصدور حزين يرثى الرشيد الخليفة العباسى، فيقول فى رثائه: إنه ذكر أخاه هارون، وهو ببلدة مات فيها، وهى طوس السفر

---

[1]- الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٠٠؛
ابراهيم هو ابن الخليفة المهدى، تكلفها: مصدر، يقصد تكلف مشقة السفر إليها، أوبتها: العودة منها، أخلاء: إخوان، الصفا: الود، أفلت: غبت، يأفل: يزول، الصبا: بفتح الصاد المشددة: ريح، ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، ويقابلها الدبور.

إليها مسيرة شهر، والعودة منها مسيرة شهر، ومن يمت بطوس يهجر من أخلاء الصفاء.

ثم يدعى أنه كمل حتى صار زينة للأرض وقد أفل من الدنيا ورحل عنها، كما يأفل البدر، ثم يبين أن الخير ليس بالمأمول ما هبت ريح الصبا، وليس الشر بالمأمون ما برق الفجر، أى ليس الخير بالمأمول، ولا الشعر بالمأمون فى الدنيا.

وابراهيم هو ابن خليفة، وقد قال هذا الشعر مما يدل على تقديره لدولة الشعر فى عصر العباسيين.

•••

روى أنه لما رضى المأمون الخليفة العباسى عن إبراهيم بن المهدى، أمر به، فأدخل عليه، فلما وقف إبراهيم بين يدى المهدى قال:

| | |
|---|---|
| ذنبى إليك عظيم | وأنت أعظم منه |
| فخذ بحقك أولا | فاصفح بفضلك عنه |
| إن لم أكن فى فعالى | من الكرام فكنه[1] |

ودار بينهما حديث انتهى إلى عفو المأمون عن إبراهيم بن المهدى.

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ٢/١٧٥.
فكنه: أى كن فى فعالك من الكرام، أو كن أنت الكريم، عظيم: شديد، أعظم منه: أقدر على العفو عنى، بحقك: بالعدل، بفضلك: تفضلك، فعالى: أعمالى، الكرام: جمع كريم، وهو كريم العنصر، والأصل، أو كريم الصفات والطباع.

ثم أمر الخليفة المهدى برد ضياع إبراهيم بن المهدى، وأمواله، فقال ابراهيم.

ردد مالى ولم تبخل على به    وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
وقام علمك بى فاحتج عندك لى    مقام شـــــاهد عدل غير متهم
فلو بذلت دمى أبغى رضاك به    والمال حتى أسل النعل من قدمى
ما كان ذاك سوى عارية سلفت    لو لم تهبها لكنت اليــــوم لم تلم[1]

ومنها قوله:

فأين منك وقد جللتنى نعما    هى الحياتان من موت ومن عدم
البر بى منك وطى العذر عندك لى    فيما أتيت فلم تعتب ولم تلــــم
وقام علمك بى يحتج عندك لى    مقام شاهد عدل غير متهــــم[2]

والأبـــيات الأولـــى من إبراهيم بن المهدى استعطاف يستعطف بها المأمون الخليفة العباسي، ليصفح عنه، ولينال رضاه.

فاعـــترف بأنه اقترف ذنبا عظيما، لكن الخليفة أعظم من هذا الذنب، وأقـــدر علـــى العفـــو عنه، فإما أن تأخذ بحقك قصاصا، أو تصفح

---

[1] - زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٧٦.
حقن دمه: أصلها: حبس دمه فى العروق، ومنعه أن يسيل، والمقصود لم يقتله، شاهد عدل: صدق، أسل: أخلع، عارية: وديعة، وأمانة، والياء هنا مشددة، سلفت: سبقت، متهم: بصيغة اسم المفعول، لم تلم: بالبناء للمجهول.
[2] - العقد الفريد ٣/٤٩
جللتنى: ألبستنى الجل، وطى: مهد، عدل: غير مجرح.

بفضلك عنى، فإننى إذا لم أكن فى فعالى من الكرام، فكن أنت الكريم فى فعالك، واصفح عنى.

والأبيات استعطاف صادف موقعة من نفس المأمون الخليفة العباسى، اســتطاع بهــا إبراهيم أن يؤثر فيه تأثيرا شديدا بالشعر الذى جعله وســيلة إلى استرضاء المأمون عنه، فما كان من المأمون إلا أن عفا عنه، ونجحت وسيلة إبراهيم إلى الخليفة، ونجحت معها بغيته.

ولــم يقتصر الأمر على عفو المأمون عن إبراهيم بن المهدى، وإنما زاد علــى ذلــك برد ضياعه وأمواله، فكان ذلك العفو وهذا التقدير دافعين لإبراهيم بن المهدى لرد هذا الجميل بإنشاد شعر آخر، قال فيه مخاطــبا المأمون: رددت مالى على، ولم تبخل به، وحقنت دمى قبل ذلــك، وكان علمك بى حجة لى عندك، وشاهد عدل غير متهم، فلو بذلت دمى أبغى به رضاك، ومالى كذلك حتى أسل النعل من قدمى، أى جميع مالى ما كان ذلك إلا عارية سلفت وهبتها لى، ولو لم تكن قد وهبتها لى ما كنت تلام.

والأبيات تعبير عن الشكر والثناء والمدح لما صنع به المأمون، وقد أجاد فيها إبراهيم بن المهدى، وقد بدأها بالاعتراف بالجميل، وختمها بأنــه لا يســتطيع رد هــذا الجميل مهما بذل، نظرا لعظم قدر هذا الجميل.

وقــد أحسن إبراهيم بن المهدى حين جعل الشعر وسيلته إلى المدح، فصادف هذا الشعر هوى فى نفس المأمون.

•••

ثــم أنشــد إبراهيم بن المهدى أبياتا يقول فيها أين منك، وقد جللتنى بــنعمك الــتى هــى الحياتان: من موت، ومن عدم، فالبر بى منك، وقبول عذرى فيما أتيت، فلم تعتب على، ولم تلمنى، وقد تكرر البيت الأخير.

وهكذا كان شعر إبراهيم بن المهدى، وهو من بيت الخلافة العباسية.

•••

وكتب إبراهيم بن المهدى: فكنت فيما كان منك ومنا، كما قال زهير بن أبى سلمى:

وذى خطل فى القول يحسب أنه ... مصيب فما يلمم به فهو قائله

عبأت له حلما وأكرمت غيره ... وأعرضت عنه وهو باد مقاتله[1]

والبيتان يستشهد بهما إبراهيم بن المهدى على موقفه، وموقف الخليفة المأمون منه، وهو استشهاد صادف موضعه يقول فيه: رب صاحب خطــأ فى الكلام، أو كثرة فيه يحسب أنه مصيب فى قوله، فهو قائل

---

[1] - العقد الفريد ٣/٥١

خطل: كثرة الكلام، والخطأ فيه يلمم به: ما حضره من شئ، عبات: جمعت، أو هيأت، ولو شئت أصبت مقاتله، وأكرمت غيره: أى أكرمت نفسى بإعراضى عنه، أو أكرمت بحلمى وعفوى عنه غيره ممن راعيت حقه فيه، باد مقاتله: مقاتله ممكنة ظاهرة لى.

فـــى كـــل ما يحضره من الكلام، كنت عليه ذا حلم، وأكرمت غيره بحلمـــى علـــيه، وأعرضـــت عنه، وعفوت، وصفحت بينما مقاتله واضـــحة لى، ومن السهل استغلالها، وهذا دليل على معرفة إبراهيم ابن المهدى الشعر القديم.

•••

روى أن رجلاً أنشد زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور، وقال:

أزبيدة ابنـــــة جعفر ... طوبى لزائرك المثـــــاب
تعطين من رجليك ما ... تعطى الأكف من الرغاب[1]

فوثـــب إلـــيه الخدم يضربونه، فمنعتهم من ذلك زبيدة، وقالت: أراد خيراً وأخطأ، وهو أحب إلينا ممن أراد شراً، فأصاب.

سمع قولهم: شمالك أندى من يمين غيرك، فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ، أعطوه ما أمل، وعرفوه ما جهل.

والشـــاهد أن هذا الشاعر أنشد زبيدة هذين البيتين، فنقده الخدم دلالة على بصرهم بالشعر، ووثبوا إليه يضربونه، فمنعتهم زبيدة من ذلك، واعتذرت عنه، وأتت بالمبرر الذى يدافع عن قوله، مع أنه أخطأ فى التعبـــير عما يريد حين ذكر معنى رأى الخدم أنه معنى قبيح، وذلك

---

[1]- زهر الاداب وثمر الألباب ٢/٦٥-٦٦
طوبـــى: حســـنى وخير، وطوبى الجنة المثاب: اسم مفعول من أثاب، الرغاب: بكسر الـــراء المشـــددة، رغاب: بكسر الراء، جمع رغبة، أى ما يرغب فيه، ويراد، أزبيدة: منادى بالهمزة.

دلالـــة على بصيرة نافذة في الشعر، ولما تعللت زبيدة لقول الشاعر دل ذلــك على روعة فهمها الشعر، وأتت بمبرر يدل على فهم رائع للشــعر حين قالت: إنه قال: إنها تعطى من رجليها ما تعطى الأكف مــن الرغاب، وذلك حين سمع قولهم: شمالك أندى من يمين غيرك، فكـــان ذلــك مدعاة لقوله: إنها تعطى من رجليها ما تعطى الأكف، وكان ذلك تعليلا جميلا لقول الشاعر دفاعا عنه.

***

أنشـــد مـــروان بن أبى حفصة أبياتا، ورفعها إلى السيدة زبيدة ابنة جعفر، يمتدح ابنها محمدا الأمين بن هارون الرشيد، وفيها يقول:

لله درك يا عقيلة جعفـــر ماذا ولدت من العلا والسودد

إن الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبين محمـــد[1]

فأمرت السيدة زبيدة أن يملأ فم مروان درا.

وهـــذه رواية تدل على مدى اهتمام بيوت الخلافة العباسية بالشعر، فحين أنشد مروان بن أبى حفصة هذين البيتين، ورفعهما إلى السيدة زبيدة في مدح ابنها الأمين، أمرت أن يملأ فم مروان درا.

---

[1]- العقد الفريد ١/٣٦٢-٣٦٣، شعر مروان بن أبى حفصة ص ٤١.
لله درك: أســلوب يتعجــب بـــه يدل على المدح، العقيلة: المصونة الكريمة المخدرة، ويقصـــد هـــنا أن أباهـــا قد صانها، السودد: أى السؤدد، وسهل الهمزة تخفيفا، جبين: جبهة.

إلـــى هــذا الحـــد كانت قيمة الشعر فى أسر العباسيين، يهتمون به، ويمنحون الشعراء على إنشاده.

وقـــد أنشد مروان هذين البيتين يتعجب فيهما من السيدة زبيدة لولادة ابـــنها الأميـــن الذى يمثل العلا والسؤدد، والذى يظهر نور الخلافة للناظرين على جبينه.

هكذا كانت قيمة الشعر فى بلاط العباسيين.

***

روى أنـــه لما قتل المأمون الخليفة العباسى اخاه محمدا الأمين، وهو ابن زبيدة، أرسلت أمه زبيدة ابنة جعفر إلى أبى العتاهية يقول أبياتا على لسانها للمأمون.

فقال أبو العتاهية على لسان زبيدة أم الأمين العباسى.

| | |
|---|---|
| ألا إن ريب الدهر يدنى ويبعد | وللدهر أيام تذم وتحمـــد |
| أقول لريب الدهر إن ذهبت يد | فقد بقيت والحمد لله لى يد |
| إذا بقى المأمون لى فالرشيد لى | ولى جعفر لم يهلكا ومحمد[1] |

***

[1]- العقد الفريد ٢/١٧٨

ريـــب الدهـــر: صـــرفه، ونكبته، ومصيبته، تذم وتحمد: بالبناء للمجهول، يد: قدرة، والمراد ابنها الأمين اليد الأولى، والمأمون اليد الثانية، الرشيد: الخليفة العباسى، جعفر بن أبى جعفر المنصور، محمد: أى الأمين.

وكتبت زبيدة أيضا إلى المأمون تقول:

لخير إمام قام من خير معشر     وأكرم سام على عـــــود منبر
كتبت وعيني تستهل دموعها     إليك ابن يعلى من جفوني ومحجري
فجعنا بأدنى الناس منك قرابة     ومن زل عن كيدي فقل تصبري
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا     وما طاهر في فعله بمطهـــــر
فأبرزني مكشوفة الوجه حاسرا     وأنهب أموالي وخـــــرب أدوري
وعز على هارون ما قد لقيته     وما نابني من ناقص الخلق أعور[١]

فلمـــا نظـــر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحباء جزيل، وكتب إليها يسألها القدوم عليه، فلم تأته في ذلك الوقت، وقبلت منه ما وجه إليها. فلما صارت إليه بعد ذلك قال لها المأمون: من قائل الأبيات؟

قالت زبيدة: أبو العتاهية؟

قال المأمون: وكم أمرت له؟

قالت: عشرين ألف درهم.

قـــال المـــأمون: وقد أمرنا له بمثل ذلك، واعتذر إليها من قتل أخيه محمد الأمين، وقال: لست صاحبه، ولا قاتله.

---

[١]- العقد الفريد ٢/١٧٨-١٧٩
معشـــر: عشيرة، أو قوم، سام: عال، أو صاعد، عود منبر: أى خشب منبر، تستهل: تبتدر، محجر: بفتح الميم، وكسر الجيم، ما يبدو من النقاب، جفوني: جمع جفن، زل: سقط، تصبري: صبري، مطهر: بصيغة اسم المفعول، نقي، حاسرا: كشفت الوجه، أو أعيـــت، أو كـــل بصرها وانقطع نظرها من طول مدى، أدوري: جمع دار، هارون: تقصد الخليفة هارون الرشيد، ناقص الخلق أعور: تقصد طاهر قائد جيش المأمون.

فقالت زبيدة: يا أمير المؤمنين، إن لكما يوما تجتمعان فيه، وأرجو أن يغفر الله لكما إن شاء الله.

هـذه الـرواية تدل على قدر الشعر فى بلاط العباسيين، فحين قتل المـأمون الخلـيفة بن هارون الرشيد أخاه الأمين فجعت أم الأمين، وأرسـلت إلى أبى العتاهية ليقول شعرا على لسانها ترسله للمأمون، لأنهـا مشـغولة بمصيبتها فى ابنها الأمين، فأنشد أبو العتاهية شعرا على لسانها تقول فيه للمأمون: إن صروف الدهر تدنى وتبعد، وأيام الدهـر تـذم وتحمـد، فالدهـر لا يبقى على حال أبدا، وإنى أقول لصـروف الدهر إن ذهبت يد لى بموت الأمين، فقد بقيت والحمد لله لـى يـد غـيرها ببقاء المأمون، فبقاء المأمون بقاء للرشيد زوجها، وجعفر أبيها، ومحمد الأمين ابنها.

وكتبـت أيضا إلى المأمون تقول: كتبت لخير إمام من خير معشر، وأكـرم سام على عود منبر، وعينى تسيل دموعها، فقد فجعنا بأخيك أدنـى الناس قرابة منك، الذى سقط عن كبدى فضاع صبرى، وأتى طاهـر قاتله، وتدعو عليه: لا طهر الله طاهرا، وليس طاهر بمطهر فـى فعلـه، فأظهرنى مكشوفة الوجه، ونهب مالى، وخرب دورى، وذلـك يعز على أبيك هارون الرشيد ما قد لقيته، وما نابنى من هذا الناقص الخلق الأعور.

فلمـــا نظـــر المأمون إلى كتابها وجه إليها بحباء جزيل، وكتب إليها يسألها القدوم عليه، فلما صارت إليه سألها عن قائل الأبيات، فأخبرته أنه أبو العتاهية، فسألها عما أعطته، فلما ذكرت أنها منحته عشرين ألف درهم أمر لأبى العتاهية بمثلها.

وذلك يدل على مكانة الشعر عند العباسيين فقد منحت السيدة زبيدة، والخلـــيفة المـــأمون أبا العتاهية الشاعر أربعين ألف درهم على هذه الأبـــيات مـــن الشـــعر، وذلك يدل على ما بلغ الشعر من مكانة فى العصر الأول من الخلافة العباسية.

***

وروى أن محمـــد بن هارون الرشيد، وهو محمد الأمين تزوج لبانة بنت ريطة، فقتل محمد الأمين عنها، ولم يبن بها، فقالت ترثيه:

| | |
|---|---|
| أبكيك لا للنعيـــــم والأنس | بل للمعالى والرمح والفرس |
| يا فارسا بالعراء مطرحـــا | خانته قـــــواده مع الحرس |
| أبكى على سيد فجعت بـــه | أرملنى قبل ليلة العـــــرس |
| أم من لبر أم مـــــن لفائدة | أم من لذكر الإله فى الغلس |
| من للحروب التى تكون بها | إن أضرمت نارها بلا قبس[1] |

[1]- العقد الفريد ١٨٦/٢

مطرحا: بصيغة اسم المفعول مطروحا، أو ملقى، الغلس: بفتح الغين واللام، ظلمة أخر الليل، المعالى: جمع معلاة، وهى كل ما يعلى من قدر الإنسان فى الرفعة والشرف، العراء: بالمد، الفضاء لا ستر به، أرملت المرأة: مات عنها زوجها، ليلة

والشـــاهد هنا أن هذا الشعر لزوجة الأمين الخليفة العباسى ترثى به زوجهـــا بعد قتله، تقول: أبكيك للمعالى التى خصصت بها، وللرمح والفرس، أى لشجاعتك، أى أبكى للشجاعة من بعدك، فمن للشجاعة بعد قتلك، ثم تندبه: يا فارسا مطرحا بالعراء خانه قواده وحرسه، ثم تعلــن بكاءهـــا علـــى هذا السيد الذى فجعت به، والذى أرملها قبل الدخول بها، ثم تندب من بعده البر والفائدة وذكر الله فى ظلام الليلن والحروب التى كان يضرم نارها بغير قبس.

وهذه بكائية من امرأة عبرت بها عن مشاعرها أصدق تعبير.

***

روى أن أبا عكرمة، والمشدود المغنى حضرا مجلسا لأبى عيسى بن المتوكل، ووجدا فى المجلس زنينا ودبيسا، المغنيين، وسقتهم جارية شرابا فى كأس، فقال أبو عكرمة:

ما أشبه هذا بقول إبراهيم بن المهدى، يصف جارية بيدها خمر، تقول:

حمراء صافية فى جوف صافية    يسعى بها نحونا خود من الحور

حسناء تحمل حسناوين فى يدها    صاف من الراح فى صافى القوارير[1]

---

العرس: ليلة الزواج، والعرس: بضم العين وسكون الراء طعام الوليمة، والعرس: بكسر العين وسكون الراء، امرأة الرجل، البر: الخير، فائدة: نفع، أضرمت نارها التهبت، قبس: شعلة من نار، الغلس: ظلمة آخر الليل.

[1]- العقد الفريد ١٢٨/٤

حمـــراء صـــافية: يقصـــد الشـــراب، أو الخمر، صافية الثانية: الكأس، الحور: جمع الحـــوراء، وهـــى مـــن الحور، وهو شدة بياض البياض وسواد السواد من العين، مع

فالاستشهاد بالشعر الذى استشهد به أبو عكرمة فى مجلس أبى عيسى ابن المتوكل، مع حضور زنين، ودبيس المغنيين له دلالة كبيرة على الاحتفاء بالشعر، وتقديره حق قدره فى عصر بنى العباس.

كذلك فإن حضور زنين، ودبيس، وهما أشهر مغنيين فى العصر العباسى مجلس أبى عيسى بن المتوكل له دلالة على الاهتمام بالشعر، إذ هو مادة الغناء.

هذان البيتان اللذان استشهد بهما أبو عكرمة على الموقف الذى وجدوا فيه هما لإبراهيم بن المهدى، فى وصف جارية بيدها خمر، فهو شعر لأحد أبناء أحد الخلفاء العباسيين.

إن الوصف الذى وصفه إبراهيم بن المهدى جارية فى يدها خمر يدل على براعته فى الشعر، فقد وصف الخمر بأنها حمراء صفراء، وهو لون الخمر كما يظهر من أوصاف الشعراء الخمر فى خمرياتهم، ووصف الكأس بالصفاء، ووصف ساقية الخمر التى تسعى نحوهم بها بأنها فتاة ناعمة حسنة الخلق فى عينيها حور، وهى حسناء تحمل فى يدها حسناوين هما: الخمر الصافية، والقوارير الصافية.

---

سعتها واستداتها، حسناء: يقصد الجارية، حسناوين: يقصد الكأس والخمر، الراح: الخمر، القوارير: جمع قارورة، وهى وعاء من الزجاج تحفظ فيه السوائل، خود: بفتح الخاء وسكون الواو: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، وجمعها خود: بضم الخاء

وعلـــى رغـــم هذا الغرض الذى يبدو من وراء هذين البيتين، وعلى رغـــم عـــدم إيماننا بذلك إلا أننا نعدها براعة من أحد أبناء الخلفاء العباسيين.

•••

روى أن أحمـــد بـــن ســـعيد كـــان يؤدب عبدالله بن المعتز، الخليفة العباسى، فتحمل البلاذرى على قبيحة، زوج المعتز، وأم ابن المعتز، بقوم سألوها أن تأذن للبلاذرى أن يدخل على ابن المعتز، ابنها، وقتا من النهار، فأجابت، أو كادت تجيب.

فلمـــا اتصل الخبر بابن سعيد جلس فى منزله غضبان، لما بلغه عن قبيحة، بالإذن للبلاذرى فى تعليم ابنها، ابن المعتز، وتهذيبه.

فكتب ابن المعتز إلى ابن سعيد، وله ثلاث عشرة سنة:

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة ... عما يقصر من يحفى وينتعـــل

سربلتنى حكمة قد هذبت شيمـــى ... وأججت نار ذهنى فهى تشتعل

أكون إن شئت قسا فى خطابتـــه ... أو حارثا وهو يوم الحفل مرتجل

وإن أشأ فكر زيد فى فرائضـــه ... أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل

أو الخليـــل عروضيا أخـــا فطن، ... أو الكسائى نحو يا له عــــلل

تعلو بداهة ذهنى فى مراكبهـــا ... كمثل ما عرفت آبـــائى الأول

وفى فمى صارم ما سله أحـــد ... من غمده فدرى ما العيش والجدل

عقباك شكر طويل لا نفاد لـــه　　　يبقى بجدته ما أطت الإبــــــل[1]

وهـــذه المقطوعة كتبها ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة، ونحن نعلم أن ابن المعتز من أعلام الشعراء فى القرن الثالث الهجرى، وهو ابن خليفة، وقد تولى الخلافة لليلة واحدة.

يقول: أصبحت صديق مكرمة عما يقصز الناس، فقد ألبستنى حكمة هذبـــت أخلاقى، وأججت تفكيرى وذهنى، فصرت أستطيع أن أكون مـــثل قس فى الخطابة، أو الحرث بن حلزة فى شعره المرتجل، أو زيد بن ثابت الأنصارى فى علم الميراث، أو أبى حنيفة فى الفقه، أو الخليل بن أحمد فى العروض، أو الكسائى فى النحو، وقد علت بداهة ذهنى كآبائى الأولين، ولسانى صارم مسلول من الغمد، والعقبى أننى أشـــكرك شكرا طويلا لا نفاد له، يبقى جديدا ما بقيت الإبل تصوت،

---

[1]- زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٦٧
ابـــن سعيد: عالم كان يؤدب عبدالله بن المعتز، عاش فى القرن الثالث الهجرى، خدن: بكســـر الخـــاء، وسكون الدال، صديق، مكرمة: واحدة المكارم، يحفى: لا يلبس نعلا، ينـــتعل: يلـــبس نعلا، سربلتنى: ألبستنى، والمعنى ألبسه السربال، وهو القميص، شيم: جمـــع شـــيمة بمد الشين، وهى الطبيعة، والسجية، والخلق، أجج: أشعل، ،ألهب النار، قس هو ابن ساعدة الإيادى، وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم شعره، وعجب منه، حارث، هو الحرث بن حلزة اليشكرى، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته التى أنشدها بحضـــرة عمـــرو بـــن هند، زيد، هو زيد بن ثابت الأنصارى، الذى انتهى إليه علم الفـــرائض، نعمـــان هو أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه، سبق أهل العراق فى الفقه، الخليل هو ابن أحمد الفرهودى، أو الفراهيدى مبتكر علم العروض، الكسائى، هو على بـــن حمزة الكسائى، صارم: يقصد اللسان الذى يشبه السيف، سله: أخرجه من الغمد، أطت الإبل، بفتح الهمزة، وتشديد الطاء المفتوحة، صوتت، جدته: كونه جديدا.

أى تحيا. وهذا كله شعر لأحد أبناء الخلفاء العباسيين دلالة على قيمة الشعر عندهم.

وهــذه رسالة كتبها ابن المعتز إلى أستاذه أحمد بن سعيد شعرا عبر فيها عما يريد التعبير عنه ببراعة.

***

روى أن المشــدود، وزنيــناء، ودبيســا المغنين، ولم يكن فى زمان العصــر العباســى الأول أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء، حضروا مجلسا لأبى عيسى بن المتوكل، ومعهم أبو عكرمة.

فأنشأ المشدود يغنى :

لما استقل بأرداف تجاذبــــه واخضر فوق حجاب الدر شاربه
وتم فى الحسن والتأمت محاسنه ومازجت بدعائيها غرائبــــه
وأشرق الورد فى نسرين وجنته واهتز أعلاه وارتجت حقائبــــه
كلمته بجفون غير ناطقــــة فكان من رده ما قال حاجبــــه[1]

وهذه الأبيات من الشعر التى غنى بها المشدود أبيات فى الغزل، ولا أدرى أهى غزل فى مؤنث، أم غزل فى مذكر؟

---

[1]- العقد الفريد ١٢٩/٤

أرداف: جمع ردف، وهو الكفل، بفتح الكاف واللام، والعجز، بفتح العين، وضم الجيم، تجاذبــه: تشــاركه الجذب من الأمام والخلف، اخضر: اسود، الدر اللؤلؤ، شاربه: أى موضــع الشارب، التأمت: ائتلفت، محاسنه: جمع محسن، وهو مكان الحسن، حقائبه: جمــع حقيــبة، وهى العجيزة، نسرين: مشموم معروف، فارسى معرب، أو هو ورد أبيض قوى الرائحة، واحدته نسرينة، جفون: جمع جفن، وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها، الحاجب: العظم فوق العين بالشعر واللحم.

لكــن المعــنى علـــى أيـــة حال وصف للأرداف ومجاذبتها الجسم لضـــخامتها، وسواد الشارب، وهنا من الممكن أن نقول إنه شعر فى الغزل بالمذكر، وتمام الحسن، والتئام المحاسن، وممازحة الغرائب، وإشـــراق الورد فى الوجنة، حتى صارت حمراء كالورد، واهتزاز أعلاه، وارتجاج عجيزته.

يقــول الشـــاعر: لمـــا حدث ذلك كله كلمته بجفون غير ناطقة، أى بالرمز، فكان رده ما قال الحاجب بالرمز أيضا، وهى كلها معان فى الوصف والغزل.

والأبيات تحكى دلال المحبوب، وتمنعه، وعدم اكتراثه، مع بيان سبب ذلك، وهو جماله وحسنه، فهو يذكر فعل المحبوب، ويعلل لهذا الفعل.

•••

ثم غنى زنين بالوزن والقافية نفسيهما:

الحب حلو أمرته عواقبـــــــــــــه وصاحب الحب صب القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودعنـــى يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى ارفق بقلبك قد عزت مطالبـــه[1]

---

[1]- العقد الفريد ٤/١٢٩
أمرته: جعلته مرا، عواقبه: جمع عاقبة، وهى النتيجة أو الخاتمة، صب: رقيق الشوق حاره، ذائب: مذوب، الطرف: العين، ساكبه: صابه ومنسكبه، يهتف: ينادى، أو يدعو، أو يصـــرخ، ارفـــق: مـــن الـــرفق، وهـــو اللين والشفقة، عزت: بعدت، وامتنعت، واستعصت، وندرت.

***

وغنى أيضا بوزن آخر مع القافية نفسها:

وعاتبته دهرا فلما رأيتـــــــه          إذا إزداد ذلا جانبى عز جانبه

عقدت له في الصدر مني مودة          وخليت عنه مبهما لا أعاتبـــه[1]

والأبـــيات الأولى لزنين يقول فيها: الحب حلو أما عواقبه فهى مرة، وصاحب الحب رقيق الشوق، ذائب القلب.

ثـــم يقـــول: أستودع الله الذى ودعنى بالعين يوم الفراق، الذى سكب دموعـــه حزنا، ثم انصرفت يوم الفراق وداعى الشوق ينادى على: ارفق بقلبك فإن مطالبه استعصت.

والأبيات غزلية واضحة.

أمـــا البيـــتان الأخيران فيحكيان تجربة أخرى يقول فيها: عاتبت هذا المحبوب دهرا طويلا، فلما رأيته قد تعود على أننى إذا ازددت ذلاله عـــز جانـــبه عقدت  له مودة منى فى الصدر، وخليت عنه فيهما لا أعاتبه، حتى لا يزداد عزا جانبه. والبيتان فى الغزل أيضا.

والأبيات الأولى تقرير لمكانة الحب، وموقف صاحب هذا الحب، ثم شكوى المحبوب يوم الفراق، ووصف حاله.

---

[1]- العقد الفريد ١٢٩/٤

عاتـــب: لام، جانـــبى: موقفى، عقدت: جمعت، خليت: تخليت، مبهما: غامضا، دهرا: زمنا طويلا، ذل: خضوع، عز: تمنع.

والبيتان الأخيران يحكى تجربة بينه وبين محبوبه فى العلاقة بينهما، وموقف الشاعر من محبوبه أولا، وأخيرا.

•••

ثم غنى دبيس على الوزن والقافية نفسيهما:

بدر من الإنس حفته كواكبــه     قد لاح عارضه واخضر شاربه
إن يعد الوعد يوما فهو مخلفه     أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الأوداج صافيــة     فقام يشدو وقد مالت جوانبـــه[1]

والعجب أنهم غنوا بلحن واحد، وقافية واحدة، ثم إنهم غنوا على هذا النحو إلى انقضاء المجلس، إذا ابتدأ المشدود تبعه زنين، ودبيس، بمثل ما غنى.

•••

أمــا دبيس فهو يحكى تجربة أخرى فى الوصف والغزل، يقول: هى بدر من الإنس تحوطه الكواكب، قد لاح عارضه، واسود موضع شاربه. ثــم يصـــفه بخلــف الوعــد والكذب، وذلك مما يصف به الشعراء محبوباتهم وهذا وصف حسن، يقول: إن تعد الوعد تخلفه، وإن تنطق القول تكذب.

---

[1]- العقد الفريد ١٢٩/٤

حفــته: أحاطته، كواكبه: جمع كوكب، العارض: صفحة الخد، اخضر: اسود، شاربه: موضــع الشارب، وهو أعلى الفم، مخلفه: بصيغة اسم الفاعل، عاطيته: تعاطاه، وهى صــيغة فاعل، الأوداج: جمع ودج، وهو عرق فى العنق، وهو يقصد الخمر، يشدو: يغــنى، جوانــبه: جمــع جانب، بدر: يقصد الساقية على التصوير، ويقصد بالكواكب مثيلاتها من الساقيات.

ثم يصف مجلسا تعاطيا فيه شرب الخمر التى يصفها كدم العروق، والصفاء وأن محبوبه قام يغنى متمايل الجانب.

وهو شعر غزلى يحكى وصف المحبوب، ووصف أخلاقه، كما يحكى موقفا كان بينهما فى جلسة خمرية أرادها الشاعر، أو ادعاها.

***

وغنى المشدود، فابتدأ بقافية جديدة، فقال:

| | |
|---|---|
| يا دير حمنة من ذات الأكيراج | من يصح عنك فإنى لست بالصاحى |
| يعتاده كل محفى مفارقه | من الدهان عليه سحق أمساح |
| ما يدلفون إلى ماء بآنية | إلا اغترافا من الغدران بالراح[1] |

والأبيات أيضا غزلية يذكر فيها مكان المحبوب، وأنه لن يصحو عن هذا المكان، أى سيظل مجنونا بحب المكان لحب أصحابه، ثم يصف نساء المكان اللائى يعتدن الورود إلى الماء يغترفون باليد، وقد تطيبن.

---

[1]- العقد الفريد ١٢٩/٤

دير: مكان للعبادة، ودير حمنه، وذات الأكيراج: مكانان، يصحو: يفيق، يعتاده: يعتاد زيارته، محفى مفارقه: أى مفارقه، أو شعر مفارقه مبالغ فى قصه، الدهان: جمع دهن، وهو ما يدهن به، سحق، أى مسحوق، أمساح: جمع مسح، وهو البلاس، أو لون من الطيب، أو مبتل بالدهن، يدلف: يمشى رويدا، ويقارب الخطو، الغدران: جمع غدير، وهو النهر، الراح: جمع راحة، وهى باطن الكف، الآنية: الإناء، وهو الوعاء، اغترافا: نيلا باليد، أو الإناء، وهو أخذ الماء بكثرة، يصح: فعل مجزوم، الصاحى: يقصد الذى يصحو من جنون الحب، أو يفيق منه.

أو يصف الحى كله بأنهم يدلفون إلى الماء يغترفن من الغدران، لأنه ذكر هذا المعنى بوصف المذكر، وليس بوصف المؤنث.

وقد يكون هذا الوصف للتغليب.

وقد يكون ذلك المعنى للدعاء للحى.

وهى تجربة يصف فيها الشاعر مكان المحبوب، وشوقه إليه، ويصف محبوبته وقد ذهبت إلى الغدير مع أترابها يسقين من الماء.

***

وغنى زنين على الوزن والقافية نفسيهما، فقال:

دع البساتين من آس وتفـــاح　　　واعدل هديت إلى ذات الأكيراج

واعدل إلى فتية ذابت لحومهم　　　من العبادة إلا نضـــــــو سياح

وخمرة عتقت فى دنها حقبـــا　　　كأنها دمعة فى جفن سبـــــــاح[1]

والأبيات هنا ما بين الخمريات، أو الزهد.

فقـــد يكون المعنى: اترك البساتين، واذهب إلى هذا المكان، وبه فتية عباد، سياح، وخمر الصالحين فى الدنان كالدمعة فى عين السياح من الماء فى الصفاء.

---

[1]- العقد الفريد ١٢٩/٤

البساتين: جمع بستان، وهو الحديقة، آس: شجر عطر الرائحة، فتية: جمع فتى، بمعنى الشـــاب، نضو: مهزول، سياح: من السياحة، وهى الضرب فى الأرض، عتق الخمر: قدمهـــا عـــتقا بفـــتح العين وكسرها، الدن إناء الخمر، حقبا: جمع حقبة، وهى الدهر، هديت: بالبناء للمجهول جملة دعائية، اعدل: أى مل، أو امض، أو اذهب، دمعة: اسم مرة، سياح: صيغة مبالغة، وكذلك سباح.

وقـد يكـون المعـنى مختلفا، حيث يأمر بالذهاب إلى هذا المكان، والإلـتقاء بهـؤلاء الفتـية الذيـن يعشقون الخمر، ويصف خمرهم بالصفاء.

وقد فضل هذا المكان على البساتين ومافيها من آس وتفاح، ووصف فتية هذا المكان، كما وصف خمره.

والأبيات دعوة للذهاب إلى هذا المكان، وشرب الخمر فيه، ووصف الخمر.

•••

ثم غنى دبيس على الوزن والقافية أيضا:

لا تحفلن بقول اللائم اللاحـــي ... واشرب على الورد من مشمولة الراح

كأسا إذا انحدرت من حلق شاربها ... أغناك لألاؤها عن كل مصبـــاح

مازلت اسقى نديمى ثم ألثمـــه ... والليل ملتحف فى ثـــوب سياح

فقام يشدو وقد مالت سوالفـــه ... يا دير حمنة مـــن ذات الأكيراح[1]

---

[1]- العقد الفريد ١٣٠/٤

تحفل: تهتم، اللاحي: اللائم، الورد: بكسر الواو، وهو ضد الصدر، يقصد آخر النهار، أو الليل، مشمولة: تضر بها ريح الشمال حتى تبرد، وقيل للخمر ذلك إذا كانت باردة، الـراح: الخمـر، لألاء: بـريق، النديم: المشارك فى الشراب، ألثمه: أقبله، ملتحف: مغطـى، سياح: من السياحة، وهى الضرب فى الأرض، يشدو: يغنى، سوالف: جمع سـالفة. وهى ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة، انحدرت: يقصد نزلت من الحلق إلى الجوف.

والأبيات خمرية توضح أن الأبيات السابقة أيضا خمرية مثلها، وهو يدعـو إلـى عدم الاكتراث باللائم، كما يدعو إلى الشرب من الخمر علـى الورد كاسا مشمولة بريح الشمال باردة، لها أضواء تغنى عن ضوء المصابيح.

ثـم يقول: مازلت اسقى مشاركى فى الشراب، وأقبله، والليل مظلم، وهو يغنى.

والأبـيات من نوع ما يحكى أبو نواس أحد زعماء هذه الحركة فى الشعر العربى.

والأبـيات دعـوة إلـى ترك لوم اللائمين، وعدم الاكتراث بلومهم، ودعـوة إلـى شـرب الخمر، ووصف الخمر، ووصف تجربة حية عاشها الشاعر مع محبوبه فى سهرة ليلة فى شرب الخمر.

•••

ثم ابتدأ المشدود فغنى بوزن آخر وقافية أخرى، فقال:

باحورار العين والدعج ... واحمرار الخد فى الضرج
وبتفاح الخدود ومـا ... ضم من مسك ومـن أرج
كن رقيق القلب إنك من ... قتل من يهواك فى حـرج[1]

[1]- العقد الفريد ١٣٠/٤
احورار: من الحور، وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها، الدعج: شدة سواد العين مع سعتها، الضرج: الحمرة والدم، أرج: توهج ريح الطيب، وفوحه، حرج: ضيق أو

والأبـــيات غزلـــية يلــتمس من محبوبته أن تكون رقيقة القلب بمن يهواهـــا، لأنهـــا تـــأثم فى قتله، ووصفها باحورار العين، وسوادها، وســـعتها، وحمـــرة الخـــد، ووصف الخد بالتفاح، كما وصف طيب راحتها.

والأبيات التماس من الشاعر لمحبوبته أن ترفق به ووصف محبوبته، وأنها قتلته، وموقفه من هذه المحبوبة الفاتنة.

***

وغنى زنين على الوزن والقافية نفسيهما:

| | |
|---|---|
| كسروى التيه معتدل | هاشمى الدل والغنـــــج |
| وله صدغان قد عطفا | ببياض الخــــد كالسبج |
| وإذا ما افتر مبتسمـــا | أطلق الأسرى من المهج |
| ما لبابى منك من فرج | لا ابتلائى الله بالفـــــرج[1] |

---

إثم، تفاح الخدود: تصوير الخدود بالتفاح فى الشكل واللون، قتل: يقصد قتله بالحب، اى قتيل الحب، أو المحبوب.

[1]- العقد الفريد ٤/١٣٠

كســـروى: منسوب إلى كسرى ملك الفرس، أى فارسى، التيه: التكبر، معتدل: وصف للقـــوام، هاشمى: منسوب إلى بنى هاشم، أى عربى، الدل والدلال هو جرأة المرأة فى تكســـر وتغـــنج كأنها مخالفة وليس بها خلاف، الصدغ: بضم الصاد المشددة، ما بين العيـــن والأذن، ويســـمى أيضـــا الشـــعر المتدلى عليها صدغا، عطف: مال، السبج: بفتحتين، الخرز الأسود، وهو خرز معروف، الواحدة سبجة، المهج: جمع مهجة، وهى دم القلب، والروح، لا ابتلائى الله بالفرج: جملة دعائية، افتر: انكسر، أولان بعد شدة، أو سكن بعد حدة، فرج: يقصد التخلص من أسر حبه، أو قيده.

والأبـــيات غزلـــية يصف المحبوب بأنه فارسى عربى فى صفاته، ويصق قوامه، وتيهه، ودلاله، وغنجه، وصدغه، وخده، وابتسامته.
ثم يؤكد أنه لا يستطيع التخلص من أسر حبه، ويدعو على نفسه بأن لا يستطيع التخلص من أسر هذا الحب، ويدعى أن التخلص من حبه ابتلاء يدعو الله ألا يبتليه به.
والأبيات وصف المحبوبة، وتعلقه بها، وأنه لا ينفك عنها، ولا مخرج له عنها، وتمن أن لا يجد مخرجا من حبه محبوبته، وافتتانه بها.

***

ثم غنى دبيس على الوزن والقافية نفسيهما:

| | |
|---|---|
| تعمل الأجفـــــان بالدعج | عمل الصهبـــــاء بالمهج |
| بأبى ظبى كلفت بــــــه | واضح الخدين والفـــــلج |
| مر بى فى زى ذى خنث | بين ذات الضال من أمج |
| قلت قلبى قد فتكت بــــه | قال ما فى الدين من حرج[1] |

[1]- العقد الفريد ١٣٠/٤
الأجفان: جمع جفن، وهو غطاء العين من أعلاها وأسفلها، الدعج: بفتحتين، شدة سواد العيـــن مـــع ســـعتها، الصـــهباء: الخمر، وذلك للونها الأصفر الضارب إلى الحمرة والبـــياض، بأبى: أى أفديك بأبى، أى بأعز من أحب، الظبى: الغزال، كلف: أحب حبا شـــديدا، أو أولـــع، الفلج: بفتحتين تباعد ما بين الأسنان، زى: هيئة ومنظر، أو لباس، الخنث: بفتحتين التثنى والتكسر، الضال: السدر البرى، الواحدة ضالة، أمج: مكان، أو اشـــتداد الحـــر والعطـــش، فتك به: أهلكه، ما فى الدين من حرج، من القرآن الكريم، بمعنى الإثم.

والأبيات غزلية يصف جمال الأجفان، وسواد العيون، وعملهما الذى يشبه عمل الخمر فى الأرواح.

ثم يصف محبوبته، وخديها، وأسنانها، وتخنثها، وفتنها بقلبه.

ويذكر محاورة جميلة بينه وبين محبوبه حين قال لها: قلبى قد فتكت به، فقالت: ما فى الدين من حرج.

والأبيات وصف للمحبوبة، وأثر هذه الصفات فيه، بتجربة بينه وبين محبوبته، ومحاورة تمت بينهما فيها طرافة.

***

ثم ابتدأ المشدود بالوزن والقافية نفسيهما مع اختلاف حرف الوصل، فقال:

| | |
|---|---|
| ما يبالى اليوم من صنعا | من بقلبى يبدع البدعـــا |
| كنت ذا نســـك وذا ورع | فتركت النسك والورعا |
| كم زجرت القلب عنك فلم | يصغ لى يوما ولا نزعا |
| لا تدعنى للهوى غرضـــا | إن ورد الموت قد شرعا[1] |

---

[1]- العقد الفريد ١٣٠/٤

يبالى: يهتم، يبدع: يحدث، والبدع: جمع بدعة، وهى الحالة المخالفة، والمقصود أنها تأتى بأمور غريبة تحدثها فى قلبه، أو هو الغاية فى كل شئ، نسك: بفتح النون، وكسرها، وضمها، الزهد والعبادة، الورع: التحرج والتوقى عن المحارم، واستعير للتأثم من الحلال المباح، زجر: كف، ومنع، ونهى وانتهر، يصغى: يحسن الاستماع، نزع: كف وانتهى، لاتدعنى: لا تتركنى، الهوى: العشق، ورد: ورود وحضور، وهو ورود الماء للشرب، شرع: بمعنى بدأ، أو أخذ يفعل، أو صار مشروعا مسنونا.

والأبيات فى الغزل، يقول فيها: ما يبالى هذا الحبيب ما صنع، حيث إنه يبدع البدع بقلبى، فقد كنت صاحب ورع، ونسك، فتركت النسك والــورع، وقــد زجرت القلب أنهاه عن التعلق بالمحبوب، فلم يصغ القلب لى، ولم ينزع عن هواه.

ثــم يخاطب محبوبه قائلا: لا تتركنى للهوى غرضا، فقد شرع ورد الموت لى.

والأبــيات تحكــى ما صنعه المحبوب بقلبه، وأثر هذا الحب عليه، وعلــى قلــبه، وموقفــه وموقــف قلبه من هذا الحب، والتماس من المحبوب الشفقة عليه من هذا الحب الذى كاد يقتله.

***

وغنى دبيس على الوزن والقافية قوله:

اسقنى كأسا مصـــــــردة    إن نجم الليل قــد طلعا

قد شربت الحب شرب فتى    لم يدع فى كأسه جرعا[1]

والبيــتان فــى الخمريات والغزل، يلتمس أن يشرب كأسا باردة فى الليل، لينسى، فقد شرب الحب، ولم يدع منه جرعة واحدة، فأولى به

---

[1]- العقد الفريد ٤/١٣٠

الكأس: القدح ما دام فيه الخمر، مصردة بصيغة اسم المفعول، أى باردة، الجرع: بضم الجــيم، وفتح الراء، جمع جرعة، بضم الجيم، وسكون الراء، وهى المرة من الجرع، بفــتح الجــيم، وســكون الــراء، وهى الحسوة ملء الفم، فتى، الشاب أول شبابه بين المراهقة والرجولة.

أن ينســى همــوم الحب بشرب الخمر، فقد تقدم الليل، ولم ينم، لذا يلــتمس من مخاطبه أن يبادر بسقيه هذه الكأس التى يريدها لنسيان هموم الحب الذى سيطر عليه.

والبيــتان تجــربة عاشها الشاعر مع ساقيه، أو صاحبه، يحكى فيها موقفه من المحبوب، وأثر الحب عليه، وسبب هروبه إلى الخمر.

***

ثم ابتدأ أيضا دبيس فقال بوزن آخر وقافية أخرى:

يقولون فى البستان للعين لــذة　　وفى الخمر والماء الذى غير آسن

إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها　　ففى وجه من تهوى جميع المحاسن[1]

والبتان فى الغزل أيضا، يقول فيهما: إذا كان فى البستان لذة للعين، وإذا كــان فى الخمر والماء غير الآسن لذة للجسد فإن المحاسن كلها فى وجه من تحب، فإذا شئت أن تلقى هذه المحاسن كلها، فإنك تلقاها فــى وجــه الحبيب، وهى أجمل من البستان، وأكثر متعة من الخمر والماء.

والبيتان وصف للمحبوبة وصفا مبالغا فيه، يجعلها غاية فى الحسن.

***

[1]- العقد الفريد ١٣١/٤
البستان: جنينة فيها نخيل متفرقة يمكن الزراعة بينها، أسن: تغير وفسد، تهوى: تحب، وهى بفتح الواو، المحاسن: جمع على غير قياس للحسن، وهو دّل مبهج مرغوب فيه، أو الجمال، أو جمع محسنة، وهى ما يحسن، أو كأنه جمع محسن.

فغضب المشدود لما قطع عليه دبيس، وقال المشدود لدبيس: **غن على** غير هذه القافية واللحن، ثم نرجع إلى حالنا الأولى.

فابتدأ المشدود فغنى بوزن آخر، وقافية أخرى:

أدعوك من قلبى إذا لم أرك      **ياغاية الطرف إذا أبصرك**
قضى لك الله فسبحـــان من      **أحـــلك ومن قـــــــدرك**
لست بناسيك على حـــــالة      **يا ليت ما تذكرنى أذكرك**
صيرنى الله على مـــا أرى      منك فى الهجر كما صيرك[1]

والأبيات فى الغزل خطاب للمحبوب، يقول: أدعوك من قلبى، **لأنك** تسكن فيه، ويناديه: يا غاية ما تقصد العين إذا رأتك، **فلن تعدل عنك أبدا، قد قضى لك الله بهذه المنزلة العالية التى تؤثر فى، فسبحان الله** العظيم الذى أحلك هذه المنزلة، **وقدرك حق قدرك، وخلقك وسواك،** وأنا لست ناسكا على أية حالة، فياليتك تذكرنى كما أذكرك، **أو ياليت** الأمر على العكس، فأدعو الله أن يجعلنى فى الهجر مثلك، **فأهجرك** كما تهجرنى.

---

[1]- العقد الفريد ١٣١/٤

أدعـــوك: أناديك، من قلبى: أى يدعو صورته من قلبه، لم أرك: من الرؤية **بالبصر**، غاية: نهاية المنزلة، الطرف: العين، أبصرك: رآك أى الطرف، والطرف: **بفتح الطاء** المشددة، قضى: حكم، سبحان: كلمة تنزيه لله سبحانه وتعالى عن كل سوء، **وهى تدل** علـــى غايـــة الإعجاب، أو التعجب، أحلك: أى جعلك حلالا، أو أخرجك **من تبعة، أو** عهـــد، أو أجـــاز له ما كان ممنوعا منه، أو أحلك مكانا عليا، قدرك: **خلقك وسواك،** الذكر: ضد النسيان، صير حول.

والأبـــيات وصـــف للمحبوبة، وبيان موقفه منها، وبيان هجرها إياه، ورغبته في هجرها، وأنه لا يستطيع صبرا عنها.

•••

فقـــال زنين: وأنا فلابد أن اسلك سبيلكما، فابتدأ يغنى على وزن آخر وقافية أخرى، فقال:

| | |
|---|---|
| يا هائم القلب عاص من عذلك | ما نلت ممن هويته أملك |
| دعاك داعى الهوى بخدعتـــه | حتى إذا ما أجبته خذلك |
| فاحتل لداء الهوى وسطوتـــه | إنك إن لم تداوه قتـــلك[1] |

والأبـــيات غزلية يقول فيها: يا هائم القلب المحب للمحبوب الذى لا يـــرجع عن هواه اعص من لامك، فإنك ما نلت أملك من المحبوب، فقـــد دعاك الحب بخدعته وأسبابه، فلما أجبته خذلك، ولم يجبك كما أجبـــته، فاصنع حيلة تحتال بها على داعى الحب، وسطوته، وشدته، فإنك إن لم تداو نفسك من داء الحب قتلك الحب عشقا، أو زاد حتى يقتلك.

---

[1]- العقد الفريد ١٣١/٤.

هـــائم: اســـم فاعل من هام، يمعنى شغف حبا، عاص: أمر من عاصى، بمعنى بادله العصـــيان، وهو الخروج عن طاعته، ومخالفة أمره، أو الامتناع عن الانقياد، عذلك: لامـــك، هويته: أحببته، أملك: أمانيه وما يرجوه، داعى الهوى: اسباب العشق، خدعة: مصـــدر خـــدع، والخدعـــة بضم الخاء وسكون الدال، وفتح العين، وهى ما يخدع به الإنسان، خذلك: تخلى عن عونك ونصرتك، احتل: أمر من الاحتيال، أى اصنع حيلة، وهى وسيلة بارعة تحيل الشئ عن ظاهره ابتغاء الوصول إلى المقصود، داء: مرض، سطوة: بطش وقهر، تداوه قتلك: قد يكون التعبير حقيقة، أو مجازا.

والأبيات وصف لموقفه من المحبوبة، وموقف المحبوبة منه، ونصيحة له فى التعامل مع المحبوبة، والحب، والعلاج منه.

•••

ثم ابتدأ المشدود يغنى بوزن جديد وقافية جديدة، فقال:

| | |
|---|---|
| شققت جيبى عليك شقا | وما لجيبى أردت شقا |
| أردت قلبى فصادفتــه | يداى بالجيب قد توقى |
| ما لك رقى أبت عتقى | لولاك ما كنت مسترقا[1] |

والأبيات غزلية يقول فيها: إنه شقَّ جيبه على محبوبه وما كان ليقصد شق الجيب، وإنما كان يريد القلب فصادفت يداه فى الشق القلب وقد توقى بالجيب، لذا شق جيبه بدلا من قلبه، وهذا حسن تعليل جميل.

ثم يقول: إن محبوبته التى ملكت رقة أبت أن تعتقه من هذا الرق، فظل رقيقا، ولولا محبوبته التى ملكت رقه ما كان رقيقا، ولا مستعبدا، وإنما كان حرا، لكنها بحبه إياها استعبدته، ورفضت أن تعتقه، فظل أسير حبها.

---

[1]- العقد الفريد ١٣١/٤
الجيب: فتحة الثوب، أو ما يدخل منه الرأس عند اللبس، شق: صدع، صادف: لقى ووجد من غير موعد ولا توقع، توقى: حذر وتجنب، الرق: بكسر الراء، العبودية، مالك رقى: أى سيدى، أو الذى يستعبدنى، أو الذى يملك عبوديتى، وهو يقصد المحبوبة، أبت: رفضت، العتق: الخروج من الرق والعبودية، مسترقا: مملوكا، أو عبدا، أو أسيرا، وهو يقصد أسر الحب.

والأبــيات وصـــف لموقفـــه من المحبوب، وموقف المحبوبة منه، وأسرها إياه، وامتناعها عن عتقه من أسر حبها.

***

وغنى زنين على الوزن والقافية نفسيهما قوله:

قد ذبت شوقا ومت عشقــا    يا زفرات المحب رفقا
ثكلت نفسي وزرت رمسي    إن كنتَ للهجر مستحقا[1]

والبيـــتان فـــي الغزل يقول فيهما: قد أذابني الشوق، وأماتني العشق للمحبوب، فرفقا بي أيتها الزفرات التي تخرج من صدري، حتى لا يؤثر ذلك علي.

ثـــم يدعـــو على نفسه بالموت، وأن يفقد نفسه، ويسكن قبره إذا كان يســـتحق الهجر، فهو يرقق قلب محبوبه، أي هو لا يستحق الهجر، ولو كان يستحقه فلا عاش، وإنما يكون مستحقا للموت.

والبيـــتان تجربة يحكيها الشاعر، حدثت بينه وبين محبوبته، وهجرها إياه، وبيان موقفه أنه لا يستحق هذا الهجر من محبوبته.

***

[1]- العقد الفريد ١٣١/٤

ذاب: هـــزل، أو علـــى المجاز دلالة على شدة الشوق، كذلك مت عشقا: العشق: شدة الحب، زفرات: جمع زفرة، وهي من الزفير، وهو إخراج النفس بعد مده، وهو خلاف الشهيق، رفقا: أي ارفقي رفقا، ثكل: فقد، الرمس: القبر، المحب: بصيغة اسم الفاعل، مستحقا: بصيغة اسم الفاعل.

وغنى دبيس على الوزن والقافية نفسيهما قوله:

ظمئت شوقا وبحر عشقى ... يفيض عذبا ولست اسقى

أنا الذى صرت من غرامى ... على فراش السقام ملقـــى

فمن زفير ومن شهيـــــق ... ومن دموع تجود سبـــقا[1]

والأبيات فى الغزل أيضا، يقول: ظمئت شوقا على رغم كون عشقى صار كالبحر يفيض، وكماء النهر فى العذوبة، ويا للعجب لا أستطيع الشرب منه.

ثـــم يقـــول: لقد صرت على فراش المرض ملقى بسبب غرامى هذا المحبوب الذى أمرضنى بحبى اياه.

ثـــم يصـــف حاله فى المرض على الفراش بقوله: فأنا بين الشهيق، والزفير، والدموع التى تكثر وتفيض، وتتسابق.

والأبـــيات تجـــربة عاشـــها الشاعر، يحكيها يصور فيها موقفه من محبوبه، وما أصابه من جراء الحب ووصف حاله.

***

---

[1]- العقد الفريد ١٣١/٤

الظمـــأ: العطش أو شدة العطش، أو الاشتياق، بحر عشقى: على المجاز، يفيض: يزيد ويكثر، أسقى: بالبناء للمفعول، الغرام: التعلق بالمحبوب تعلقا لا يستطاع التخلص منه، الفـــراش: بكســـر الفـــاء، ما يفرش من متاع البيت، السقام: المرض الطويل، ملقى: بصيغة اسم المفعول، تجود: تزيد، سبقا: تسابقا، والمراد كثرة الدموع.

ثم ابتدأ المشدود يغنى بوزن آخر وقافية أخرى قوله:

ماذا على نجل العيون لو انهم ... أوموا إليك فسلموا أو عرجوا

أمنوا مقاساة الهموم وأيقنـــوا ... أن المحب إلى الأحبـــة يدلج[1]

والبيتان فى الغزل، يقول فيهما: ماذا يعود على المحبوبات نجلاوات العـــيون لو أشاروا إليك، أو مروا عليك، فالظاهر أنهم أمنوا مقاساة الهمـــوم، وتيقنوا من أن المحب يدلج دائما إلى المحبوب، فلما أمنوا ذلك، واطمأنوا إليه تيقنوا أننى سوف أعرج إليهم، فلم يسلموا، ولم يمروا. والبيتان تجربة يحكى فيها الشاعر عتابا بينه وبين محبوبته، وموقف محبوبته منه، ومعرفتها حاله.

***

وغنى دبيس على الوزن نفسه والقافية نفسها قوله:

هيا فقد بدأ الصباح الأبلـــج ... قد ضم مشبهة الغزال الهودج

بانوا ولم أقض اللبانة منهم ... وكذا الكريم إذا تصابى يلهج[2]

---

[1]- العقد الفريد ١٣٢/٤

نجـــل: جمـــع نجلاء، وهى المرأة واسعة العينين حسنتهما، أوموا: أشاروا، وقد ذكر الفعـــل متصلا بواو الجماعة، لو أنهم: تنطق بغير الهمزة للوزن العروضى، عرجوا: مروا، مقاساة: مكابدة، ومعالجة شدة، العيون: جمع عين، الهموم: جمع هم، يدلج: من أدلج، أى سار من أول الليل، المحب: بصيغة اسم الفاعل من أحب.

[2]- العقد الفريد ١٣٢/٤

هـــيا: كلمة حث، وهى بفتح الياء المخففة، أو المشددة، الأبلج: المسفر المنير، مشبهة: بصـــيغة اسم الفاعل، التى تشبه، الهودج: مقصورة ذات قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء، والهودج هنا فاعل ضم، مشبهة: مفعول به تقدم على الفاعل للوزن

والبيتان فى الغزل، يقول فيهما: هيا نسرع، فقد بدأ الصباح وأسفر، وأضـــاء، ليفارق الأحباب، فقد استعدت المحبوبة السفر، وقد ضمها الهــودج، وهى شبيهة بالغزال، وقد فارق الأحباب ولم أبلغ ما أريد منهــن، وكذلــك الكريم إذا تصابى، وحن إلى الصبوة والهوى يثابر ويعتاد على رؤية المحبوب، وهأنذا أصنع ذلك.

فهــو يصور وقت فراق الأحبة، ويصف محبوبته عند ذلك الفراق، ويســتحث نفسه على رؤية المحبوبة قبل فراقها، ويصف الكرام من أمثاله بأنهم يعتادون ذلك عند تعلقهم بالمحبوب.

•••

وغنى زنين على الوزن نفسه، وعلى القافية نفسها أوله:

السحر والغنج فى عينيك والدعج    والشمس والبدر فى خديك والضرج

الدر ثغرك لولا أن ذا بـــــرد    والحبر صدغك لولا أن ذا سمـــــج

أنضجت قلبى ولو أن الورى لقيت    قلوبهم منك ما لاقيت ما لهجـــــوا[1]

---

العروضى والقافية، بان: فارق، اللبانة: بضم اللام المشددة، ما يطلبه المرء عن رغبة وشهوة، لم أقض: لم أبلغ، وكذا: أداة تشبيه، واسم إشارة، أى ومثل هذا، تصابى: مال إلـــى الهوى، أو حن وتشوق، يلهج: يولع، ويثابر، ويعتاد، الكريم: يقصد كرم الأصل والشرف.

[1]– العقد الفريد ١٣٢/٤

الدعج: شدة سواد العين وسعتها، الضرج: الحمرة والدم، الدر: جمع درة، وهى اللؤلؤة العظـيمة الكبـيرة، الـثغر: الفم، برد: بفتحتين، الماء الجامد ينزل من السحاب قطعا صـــغارا، ويســمى: حب الغمام، وحب المزن، أو برد: بفتح الباء، وكسر الراء، أى بارد، الصدغ: بضم الصاد المشددة، وسكون الدال، ما بين العين والأذن، ويسمى أيضا

والأبـــيات فـــى الغـــزل يصـــف عينى المحبوبة بالسحر، والسواد، والاتســـاع، كمـــا يصف خديها بالضياء والنور، والحمرة التى تشبه الـــدم، ويصـــف الثغر بالدر، ويتحفظ على ذلك بأن الثغر أجمل من الدر، حيث إن الدر برد، أو كالبرد، فهو أقل فى الجمال من الثغر. وربما يكون التحفظ فى جانب آخر، بمعنى أن الثغر بارد، وذلك من صفات الجمال، أو قد عول عليها الشعراء كثيرا.

ويصـــور الصدغ فى جماله بالحبر، والمقصود الزينة، ويتحفظ على ذلك بأن الحبر سمج، والصدغ أجمل.

ثـــم يخاطب المحبوبة قائلا: إنك أنضجت قلبى، ولو أن الخلق لقيت قلوبهم منك ما لاقيت أنا منك ما أغروا بالحب، وما أولعوا به.

والأبـــيات وصف للمحبوبة وصفا ماديا، فهو وصف العينين، والخد، والصدغ، ووصف العلاقة بينه وبينها، والشكوى منها.

***

وابتدأ المشدود فغنى بوزن جديد، وقافية جديدة، فقال:

يا صاحب المقل المراض          انظر إلى بعـــين راض

إن تجفنى متعمـــــــدا          لتذيقنى جرع الحيـــاض

---

الشـــعر المـــتدلى عليها صدغا، والحبر: بكسر الحاء، وسكون الباء، المداد الذى يكتب به، أو الجمال والبهاء، سمج: بكسر الميم، قبيح، أنضجت: يقصد أتعبت، لهج: أغرى بالشئ فثابر عليه، أو أولع، الورى: الخلق.

فلطالمــــــــــا أمكنتني     منك المراشف عن تراض[1]

والأبيات غزلية، يصف فيها محبوبته بأنها ذات أعين مريضة جميلة، ويلتمس منها أن تنظر إليه بعين الرضا، فإنها إن تجفه متعمدة، لتذيقه مـــن جرع الحياض الماء، فطالما أمكنته قبلا من تذوق شفتيها وفمها عن تراض منها.

والأبيات شكوى من المحبوب لتغير موقفه من الشاعر، والتماس من الشاعر للمحبوب.

***

ثـــم غنى زنين على وزن مختلف، وقافية متوافقة مع القافية السابقة قوله:

هائم مدنف من الإعــــــراض     لا سبيل به إلى الإغمــــــاض

موثق النوم مطلق الدمع ما يعــ     رف ملحا من الحترف القواضى

ما برى جسمه سوى لحظـــات     أمرضته من العيـــون المراض[1]

---

[1]- العقد الفريد ٤/١٣٢.

المقل: بضم الميم، وفتح القاف، جمع مقلة، بضم الميم، وسكون القاف، المراض: جمع مريضـــة، ومرض العيون لون من الجمال، وهو فتور فى العينين، راض: اسم فاعل مـــنقوص من الرضا، وهو ضد الغضب، تجفنى من الجفاء، وهو الإعراض والقطع، متعمدا: بصيغة اسم الفاعل من التعمد، وهو القصد، الجرع: بضم الجيم، وفتح الراء، جمـــع جرعة، بضم الجيم، وسكون الراء، وهى المرة من الجرع، بفتح الجيم، وسكون الـــراء، وهى الحسوة ملء الفم، الحياض: جمع حوض، وهو مجتمع الماء، المراشف: جمـــع مرشـــف، بفـــتح الشين، موضع الرشف، والمقصود الفم، أو الشفتان، تراض: مصدر، وهو اسم منقوص.

يصـــف نفســـه بأنه مشغوف حبا، مريض من إعراض محبوبته، لا سبيل له إلى النوم، فهو مقيد النوم لكنه مطلق الدمع، لا يعرف الملح، لأنه حزين من الهلاك القاتل، فقد برى جسمه بفعل تلك اللحظات من هذه العيون الجميلة المريضة.

والأبيات وصف لحاله، وشكوى من هذه الحال، وبيان سبب حاله هذا.

•••

ثم غنى دبيس على القافية نفسها، بون آخر قوله:

| | |
|---|---|
| كن ساخطا واظهر بأنك راض | لا تبدين تكره الإعـــــــراض |
| وانظر إلى بمقلة غضبانـــــــة | إن كنت لـــم تنظر بمقلة راض |
| وارحم جفونا ما تجف من البكا | فى ليلة مسلوبة الإغمــــــاض |
| واحكم فديتك بين جسمي والهوى | فالحكم منك على الجوارح ماض[2] |

---

[1]- العقد الفريد ١٣٢/٤

هـــائم: اســـم فـــاعل مـــن هام، بمعنى شغف حبا، مدنف: بصيغة اسم المفعول: اشتد مرضه، الإعراض: الصدود والتولي، من أعرض، سبيل: طريق، الإغماض، انطباق الجفـــن، أى الـــنوم، موثق: بصيغة اسم المفعول، مقيد، مطلق: بصيغة اسم المفعول، ملح: بضم الميم، وفتح اللام، جمع ملحة، بضم الميم، وسكون اللام، وهى ما استحسن مـــن الأحاديـــث واستلمح، أو الكلمة المليحة، الحتوف: جمع حتف، بفتح الحاء، وهو الهـــلاك، القواضى: جمع القاضية، بمعنى المميتة، برى: نحت، لحظات: جمع لحظة، وهـــى الـــنظرة بمؤخر العين، أو الوقت القصير بمقدار لحظ العين، أمرضته: أصابته بمرض الحب، العيون: جمع عين، المراض: جمع المريضة، ومرض العيون فتور فى الأجفان، وهو من ألوان الجمال.

[2]- العقد الفريد ١٣٢/٤

الســـخط: ضد الرضا، راض: اسم فاعل منقوص، لا تبدين: لا تظهرن، تكره: مصدر تكره، الإعراض: مصدر أعرض، بمعنى صد، المقلة: شحمة العين التى تجمع البياض

يقـــول للمحبوب: كن سلخطا كما شئت، لكن اظهر بأنك راض، ولا تظهـــر تكره إعراضك وصدك، وانظر إلى بعين غاضبة إن كنت لم تـــنظر إلى بعين راضية، وارحم جفوني التى لا تجف من البكاء في لـــيلة ليس فيها غمض، ولا نوم، ولحكم بين جسمي والحب، فالحكم منك على جوارحي قاض وملزم.

والأبيات التماس من للشاعر للمحبوب بالرضا وعدم الإعراض، وأن يرحم حاله، ويحكم علي حاله حكما صحيحا.

***

ثم ابتدأ المشدود فغنى على وزن مختلف، وقافية مختلفة، فقال:

| | |
|---|---|
| يا ذا الذى حال عن العبد | ومن برانى منه بالصـــد |
| يسمرة الخال وما قد حوى | من حمرة في سالف الخد |
| ألا تعطفت على عاشـــق | منفرد بالبث والوجـــد[1] |

---

والسواد، راض: اسم فاعل منقوص، جفونا: جمع جفن، ما تجف: تكف، البكا: البكاء، وحذفـــت الهمـــزة للوزن، مسلوبة: بصيغة اسم المفعول، الإغماض: مصدر أغمض، فديـــتك: جملة دعائية، للهوى: للحب، للجوارح: جمع جارحة، وهو العضو الكامل من أعضاء الجسد، كاليد والرجل، ماض: قاطع، وهو اسم فاعل، اسم منقوص.

[1]- العقد الفريد ١٣٢/٤

حال: تحول، وتغير، العبد: يقصد نفسه بأنه عبد حبها، برى: نحت، الصد: الإعراض، الخال: نقطة سوداء في الوجه، أو الخد، حوى: شمل، سالف، وسالفة: جانب العنق، أو ناحـــية مقـــدم العـــنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة، تعطفت: ملت وتحننت، عاشق: محب أشد الحب، البث: الحزن، الوجد: شدة الحزن.

يخاطب الشاعر محبوبه قائلا: يا من حال عنى، وبرانى بالإعراض والصـــد، بجمال سمرة الخال، وحمرة الخد، هلا تعطفت على عاشق انفرد بالحزن.

والأبـــيات عتاب للمحبوب وتد لله بجماله، واستعطاف من الشاعر له للشفقة على حاله الحزين، وما آل إليه أمره من الحزن.

***

وغنى زنين على القافية نفسها قوله:

أظل بكتمان الهوى وكأنمـــــا ألاقى الذى لاقاه غيرى من الوجد

وعيب على الشوق والوجد والبكا ولا أنا بالشكوى أنفس من جهدى[1]

والبيـــتان فـــى الغزل، والمعنى: أن الشاعر يظل يكتم هواه، ويلاقى الحزن الذى لاقاه غيره، ويعاب عليه الشوق والحزن، والبكاء، لكنه مع ذلك يشكو، ولا يستطيع بالشكوى التنفيس من الحزن الذى بلغ الغاية. والبيـــتان يصف الشاعر فيهما حاله الذى آل إليه أمره بسبب الهوى والشكوى والحزن والمشقة.

***

[1]- العقد الفريد ١٣٢/٤

الهـــوى: الحب، الوجد: الحزن، البكا: البكاء، عيب: فعل مبنى للمفعول، أنفس، أخرج الـــنفس، وهـــو الـــريح تدخـــل، وتخرج من أنف الحى ذى الرئة، وفمه حين التنفس، والمقصـــود إطـــلاق الكبـــت، أو الضيق، الجهد: بفتح الجيم، بلوغ المشقة أو ما فوق الطاقـــة، أو الـــنهاية والغايـــة، وبضم الجيم: الوسع والطاقة، الشكوى: التوجع من ألم ونحوه، أو ما يشتكى منه.

وغنى دبيس على الوزن نفسه والقافية نفسها:

تهزأت بى لما خلوت من الوجد ولم ترث لى لا كان عندك ما عندى

وعيب على الشوق والوجد والبكا وأنت الذى أجريت دمعى على خدى

صددت بلا جرم إليـــك أتيته أكان عجيبا لو صددت عن الضـــد

ألا إننى عبد لطرفك خاضـــع وطرفك مولى لا يرق على عبـد[1]

والأبـيات غزلـية يقـول فيها مخاطبا المحبوب أو الصاحب، إنك سخرت منى لما خلوت من الحزن، ولم تشفق على، لا كان عندك ما عـندى من الحزن، وعيب على الشوق والوجد والبكاء، وأنت الذى تسببت فى إجراء دمعى على خدى، فأنت سبب حزنى.

وقـد أعرضت عنى بلا ذنب ارتكبته، فهل يكون عجيبا لو أعرضت عـن ذنبك أنت، أى تصد عن الإعراض عنى فهو ذنب لك، وأولى بـك أن تصد عن الذنب، وإننى عبد خاضع لحبك، ولجمال عينيك، وعيـناك لا ترقان على، ولا تشفعان، فهما لا يشفقان على عبد مثلى خاضع لحبك.

[1]- العقد الفريد ٤/١٣٢

تهزأ: سخر، خلا: فرغ، الوجد: الحزن، لم ترث: لم ترق لحالى، لا كان عندك: جملة دعائـية، يدعو له مبالغة فيما عنده، عيب: بالبناء للمفعول، ما عندى: يقصد ما حدث لـه، البكا: البكاء، صددت: أعرضت، جرم: ذنب، أتيته: اقترفته وارتكبته وفعلته، الضـد: العكس أو المقابل، عبد: رقيق، طرف: عين، خاضع: مستكين، مولى: سيد ومالك، لا يرق: لا يشفق.

والأبـيات شـكوى، يبـث فـيها الشـاعر ما يلاقيه من جراء حبه المحبوب، وعتاب للمحبوب ليرق لحاله، ويشفق عليه.

***

ثم ابتدأ المشدود بوزن مختلف، وقافية مختلفة، فقال:

أقمت ببلدة ورحلت عنهـا          كلانا عند صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا نصيبا          محب قد نأى عنه الحبيب[1]

والبيتان فى الغزل أيضا، يقول أقمت أنا ببلدة، ورحلت أنت عنها، أو أقمـت أنت ببلدة، ورحلت أنا عنها، فكل منا غريب عند الآخر، ثم ينثر حكمة طيبة يقول فيها: إن أقل الناس حظا فى الدنيا المحب الذى بعد عنه المحبوب، لقد فقد حظه فى الحياة.

والبيـتان شكوى من حاله مع المحبوب، وحكمة مستوحاة من موقفه مع محبوبه.

***

وغنى زنين بقافية مختلفة ووزن مختلف، فقال:

ويقنعنى ممن أحب كتابـــه          ويمنعنيه أنه لبخيـــــل
كفى حزنا أن لا أطيق وداعكم          وقد حان منى يا طلوع رحيل[1]

---

[1]- العقد الفريد ١٣٢/٤
أقـام: عاش واستقر، أقمت ببلدة ورحلت عنها: يجوز أن يكون الضمير الأول والثانى للمـتكلم والمخاطب بغير تحديد، صاحبه: يقصد محبوبه، نصيب: حظ، محب: بصيغة اسم الفاعل، نأى: بعد

والبيتان فى الغزل، يقول فيهما الشاعر إنه يقنع من محبوبه كتابه أو رسالته، لكنه يمنع رسائله لأنه بخيل، ثم يقول: يكفينى حزنا أننى لا أطـيق وداعكم، ويا للأسف فقد حان الرحيل منى على رغم أننى لا أطيق وداعكم.

والبيـتان شـكوى من عدم إرسال الرسائل من محبوبه، ويعلن أنه راحل عنها على رغم منه.

***

وغنى دبيس على وزن آخر، وقافية أخرى، فقال:

يا واحد الحسن الذى لحظاتـه — تدعو النفوس إلى الهوى فتجيب
من وجهه القمر المنير وحسنه — غصن نضير مشـــرق وكثيب
ألناظريك على العيون رقيبــة — أم هل لطرفك فى القلوب نصيب[2]

[1]- العقد الفريد ١٣٣/١
يقنعـنى: يكفيـنى قـناعة، من أحب: المحبوب، كتابه: رسالته، يمنعنيه: يحرمنى من الكـتاب أو الرسـالة، بخـيل فى إرسال الرسائل، أطيق: أحتمل بمشقة: حان: حل أو أزف. طلوع: اسم المحبوبة.

[2]- العقد الفريد ١٣٣/٤
لحظـات: جمع لحظة، وهى النظر بمؤخر العين، واحد: متفرد، النفوس: جمع نفس، وهى الروح. الهوى: الحب، فتجيب: أى النفوس، وجهه القمر المنير: أى وجه الحبيب يشـبه القمـر المنير، وحسنه أى حسن الحبيب، ذكره بالتذكير، غصن: ما تشعب من ساق الشجرة، وحسنه غصن، على التشبيه، نضير: ناضر، ذو رونق وبهجة، أو حسن ولإشراق، أو بريق وصفاء، مشرق: اسم فاعل من أشرق، بمعنى اضاء، وتلألأ حسنا، كثيب: الرمل المستطيل المحدودب، وهو على التشبيه أيضا، ناظريك: عينيك، رقيبة: مراقب، حارس، وحافظ، ملاحظ، طرفك: عينيك، نصيب: حظ وسهم.

**والأبـــيات فـــى الغزل، والمعنى يخاطب الشاعر محبوبه قائلا: أيها المتفرد بالحسن، الذى له لحظات تدعو الأرواح إلى الهوى، فلا تملك الأرواح إلا أن تجيـــب، والذى وجهه يشبه القمر المنير، وحسنه فى القوام غصن نضير، وكثيب، ثم يتساءل قائلا! هل لعينيك رقيب على العيون، أم هل لعينك سهم فى القلوب؟**

**والأبـــيات خطـــاب للمحـــبوبة، ووصـــف لجمال وجهها، وقوامها، ونظراتها، وعينيها.**

***

ثم ابتدأ المشدود فغنى بوزن مختلف، وقافية مختلفة، فقال:

**قلق لم يزل وصبر يـــــــزول        ورضا لم يطل وسخط يطول**
**لم تسل دمعتى على من الرحـــ        ـمة حتى رأيت نفسى تسيـــل**
**جال فى جسمى السقام فجسمى        مدنف ليس فيه روح تجـــول**
**ينقضى للقتيل حـــول فينسى        وأنا فيك كل يـــــــوم قتيل[1]**

والأبيات فى الغزل، والمعنى يقول فيه الشاعر: أعيش فى قلق دائم، وصبر لا يدوم، وسخط طويل، ورضا قصير ، ودمعتى سالت رحمة

---

[1]- العقد الفريد ١٣٣/٤

**القلـــق: حالـــة انفعالـــية تتميز بالخوف مما قد يحدث، أو الانزعاج، لم يزل: أى دائم، يزول: يختفى، لم يطل: قصر، والقلق والصبر ضدان، والرضا والسخط، أى الكراهة والغضـــب ضدان، لم تسل: تسيل، تجرى وتتدفق، الرحمة: الشفقة، تسيل: تخرج شيئا فشـــيئا، جـــال طاف غير مستقر، السقام: المرض، مدنف: اشتد مرضه وأشفى على الموت، تجول: تتحرك، حول: سنة، قتيل: محب حبا شديدا، أو قضى عليه الحب.**

كمـــا ســـالت نفســـى، وكادت تقضى، وقد دب فى جسمى المرض، وصار جسمى مريضا ليس فيه روح تدب فيه، والقتيل ينقضى حول له فينسى، وأنا فى كل يوم قتيل فى محبوبتى.

والأبـــيات تصـــوير لحاله الذى آل إليه أمره، ووصف لهذه الحال، وبيان السبب فيها، وتقرير لحقيقة أمره مع محبوبته.

•••

وغنى زنين على القافية نفسها بوزن مختلف، فقال:

| | |
|---|---|
| ليس إلى تركك من حيـــــلة | ولا إلى الصبر لقلبى سبيل |
| فكيف ما شئت فكـــن سيدى | فإن وجدى بك وجد طويل |
| إن كنت أزمعت على هجرنا | فحسبنا الله ونعم الوكيـــــل[1] |

والأبـــيات فـــى الغزل، والمعنى يقول الشاعر إنه ليست له حيلة إلى تـــركه، ولا يملك طريقا للصبر يؤثر به على قلبه، ويخاطب محبوبه قـــائلا: كـــن كما شئت فإن حبى لك دائم، وحزنى عليك طويل، فإن كنت عزمت على الهجر فحسبى الله ونعم الوكيل.

---

[1]- العقد الفريد ١٣٣/٤

تـــركك: ترك حبك، سبيل: طريق، ما شئت: ما أردت، أو ما أحببت أن تكون، فكن: أى صر، سيدى: نداء، وجد: حزن، وحب، أزمع على الهجر: عزم عليه، وثبت وجد فـــى مضائه، حسبنا: كافينا، الوكيل: الذى يوكل إليه الأمر، ويفوض إليه، ويكتفى به، فحسبنا الله ونعم الوكيل: مقتبس من القرآن الكريم.

والأبيات وصف لحاله مع محبوبه. وإطلاق العنان لمحبوبه، وتسليم أمره إلى الله فى هجر المحبوب.

•••

فأقـبل أبـو عيسى بن المتوكل على المشدود، فقال له: عن صوتا، فغنى المشدود:

يا لجة الدمع هل للدمع مرجوع        أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتى وفؤادى هائم أبـدا        بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لا والذى تلفت نفسى بفرقتـه        فالقلب من حرق الهجران مصدوع
ما أرق العين إلا حـب مبتدع        ثوب الجمال على خديه مَخلـوع[1]

فأمـر أبـو عيسى بن المتوكل لكل واحد منهم بجائزة، وانصرفوا، ولولا أن أبا عيسى بن المتوكل قطعهم ما انقطعوا.

والأبيات فى الغزل، والمعنى يخاطب الشاعر دموعه قائلا: هل للدمع رجـوع بعـد تدفقـه وسيلانه؟ أم هل النوم ممنوع من الجفون؟ فما حيلتى فى دموعى، وعدم نومى، وفؤادى الهائم أبدا بصدغ الحبيب،

---

[1]- العقد الفريد ٤/١٣٣-١٣٤
لجـة: بضم اللام، معظم الماء، مرجوع: أى رجوعْ، الكرى: النعاس هائم: محب واله مـن الهـيام، عقرب الصدغ، بضم الصاد، وسكون القاف، مابين خط العين إلى أصل الأذن، مصـدوع: مـتفرق، حرق: بفتحتين، أى إحراق النار، أو النار بعينها. جفون: جمـع جفـن، وعقـرب الصـدغ: على التشبيه، ملسوع: أى مصاب، تلفت: هلكت، الهجـران: الهجـر، مبتدع: أى ابتداع، أو على زنة اسم الفاعل، مخلوع: أى متروك على خديه.

ملســـو ع مـــنه، ويقســـم بمحـــبوبه الذى تلفت نفسه بفرقته أن القلب مصـــدو ع من حرقة الهجر، وأنه ما أرق العين إلا حب مبتدع، وأن ثوب الجمال مخلو ع على خدى المحبوب.

والأبيات وصف لحاله، وشكوى من الدموع، والأرق، وهيام القلب، وحـــرقة الهجر، ووصف جمال المحبوبة، ومعالم هذا الجمال، وبيان سبب الأرق الذى انتاب عينيه.

•••

وهـــذه الأمـــثلة كلهـــا دلالة على أن الشعر كان يعيش داخل قصور الخلافـــة العباســـية علـــى ألسنة أبنائهم، والشعراء الذين يزورنهم، ويناشـــدونهم الأشـــعار، وكـــل ذلك دلالة على قيمة الشعر فى بلاط العباسيين.

•••

# فهـــــــرست




مكتبة بستان المعرفة

لطباعة ونشر وتوزيع الكتب

كفر الدوار - الحدائق - بجوار نقابة التطبيقيين

☎٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨ الإسكندرية: ٠١٢٣٥٣٤٨١٤ & ٠١٢١١٥١٢٣٧